نورا نور الدين

الحقيقة

الكتاب : الحقيقة
المؤلف : نورا نور الدين
الطبعة الأولى : 2020
التصميم الداخلي : حمدي شوقي

رقم الإيداع : 20345 / 2020
الترقيم الدولي : 6 - 146 - 846 - 977 - 978

مؤسسة بتانة الثقافية

القاهرة
34 شارع طلعت حرب
عمارة يعقوبيان - شقة 25
ت : 49570 - 257 - 202+

دبـي
ص ب : 97721

www.battana.org
info@battana.org
@battana.org
@Battana_

Battana
PUBLISHING HOUSE

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر؛
طبقًا لقوانين حفظ حقوق الملكية الفكرية.

لا يُسمح بإعادة استخدام وطبع أو توزيع أي جزء من مادة الكتاب، مرئيًّا، أو صوتيًّا، أو مطبوعًا، أو إلكترونيًّا ، دون إذن مُسبَق من الناشر، طبقًا لقوانين حفظ حقوق الملكية الفكرية.

الآراء الواردة فى الكتاب تعبّر عن رأي مؤلفها، ولا تعكس بالضرورة رأي مؤسسة بتانة.

نورا نور الدين

الحقيقة

منشورات بتانة

«هي الحقيقة.. حين تريد أن تجرح،
تجرح أصحابها الذين كلّت أرواحهم في البحث عنها».

لأبناء جيلي..
إهداء إلى الناجين..
ورثاء لمن أخفقوا.

يقولون -وحقًّا ما قالوا- إننا نبقى صغارًا حتى تموت أمهاتنا..

وأنا كبرتُ منذ يوم فطامي..

حين مضيتي يا أمي مضيتُ أنا بعدك في هذه الحياة أضيف عُمرًا إلى عمرٍ..

والآن.. هل تستطيعين أيتها السيدة البسيطة أن تحسبي كم صار عمر ابنتك؟!

ليس ذلك العجز الذي يبدو واضحًا في خصلات الشعر البيضاء وحفر الوجه العميقة هو ما أقصده..

ولكنها الروح يا أمي..

تهرم ولا نستطيع تجميلها بصباغٍ يُعيد إليها صباها..

اليوم، أفتح صندوق الذكريات، وأنا في منتصف الطريق لأخبئ هناك كل ما صار بإرادتي أو رغمًا عني.. لا أريد لشيء أن يفلت من الأسر.. ربما لم يحن الوقت بعد.. ما زالت هناك بقية لهذا العمر لا أدري مداها..

ولكني وقد قررت أن أبدأ هذه الرحلة من جديد بعيدًا عن قيد هذا الجسد المفتون بقوته الكاذبة..

فسأتركه -هذا الجسد- ليجلس ها هنا اليوم جلسة ذلك العجوز الآسيوي الذي جاوز مئة عام أمام بيته في انتظار محبي الغرائب والطرائف من أنحاء العالم، وهم يأتون للاستمتاع بلمس تجاعيد وجهه، والتسلي بلعبة اختبار الذاكرة معه..

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أما هذه الروح الهرمة يا أمي.. فعديني أن تكوني في استقبالها هناك..

احتفي بها جيدًا..

فهي روح ابنتك الحبيبة التي ضاقت بها هذه الأرض، أو ضاقت هي بها، فوجدت أن سماء هذا الكون أرحب وأوسع..

سأقتلني يا أمي..

سأقتل تلك الطفلة التي لم يسعفك الوقت لتربيتها..

لم تمنحيها حنانك لتتدثر به من برد هذا العالم القاسي، كما لم تطعميها جيدًا لتتقوى على حمل كل هذه الأثقال.

بعض الطرق تبدو مألوفة ومعروفة نهايتها، وهذا الطريق قد اكتملت صورته يا أمي.. بدا واضحًا تمامًا أمامي.

أعلم كل ما سيأتي به الغد، وبعد غدٍ، وبعد بعد غدٍ من آلام جديدة أضيفها بجوار سابقتها.

لا يمكنني المضي قدمًا في الطريق المرسوم ذاته، وقد بدت ملامحه لا تعجبني ولا ترضيني، ولأنها حياة أحادية الاتجاه لا تعطينا فرصة للدوران والسير في الاتجاه المعاكس..

ولأن بعد منتصف العمر تختفي كل الدورانات عن عمد..

فلا توجد خيارات متعددة بعد..

لذا..

فقد قررت القفز للأعلى.

يقرأ الوالد المكلوم السطور السابقة، ممسكًا بورقة في يده لكل من يقابله في سرادق العزاء.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

مرّ ثلاثون يومًا على اختفاء ابنته بعد تركها هذه الرسالة على حساب فيسبوك الخاص بها.

وجدت الشرطة سيارتها بالقرب من كورنيش النيل بمنطقة إمبابة.

توقفت «مهد» بسيارتها بمحاذاة الكورنيش..

خرجت منها وتركت الباب مفتوحًا، لم تعثر الشرطة على حقيبتها، ولا على هاتفها المحمول.. فقد تمت سرقة كل شيء داخل السيارة.

ألقت بنفسها في المياه، لا سبيل للموت في هذا المكان المزدحم بغير ذلك..

أما جثتها فلم يعثر عليها بعد اللواء حمدي التونسي، جارها القديم، تولى البحث في القضية بنفسه.. استغرق وقتًا طويلًا في جلساته مع رئيس النيابة الذي تربطه به معرفة قوية بحكم العمل.

أخبره في الهاتف أنه قد تقرر حفظ القضية لعدم وجود شبهة جنائية، فذهب حمدي إليه على أمل العثور على يقين يريح الشكوك الكثيرة حول وفاة الفتاة التي كان دائمًا ما يعتبرها ابنته.

قدم له الساعي مشروب الكركديه الساخن دون سكر كما يحب، بينما ناوله رئيس النيابة ملف القضية، قائلًا:

- اقرأ بنفسك يا باشا.

مرر اللواء حمدي رشفة طويلة من المشروب المُرّ بصعوبة داخل حلقه، أملًا في ضبط ضغطه المنخفض، ثم بدأ حديثه بنبرة مستعطفة لا تناسب فارق العمر بينهما:

- أرجوك يا ابني، أنا مش بنام.. «مهد» دي بنتي.

Battanaitti PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تحولت نبرته من الاستعطاف إلى أخرى مخنوقة بدموع، أوقف مركزه نزولها، أردف قائلًا:

- دلّني ولو على جثتها ندفنها.

رد رئيس النيابة في ثقة وجدية، يطغيان على الشفقة والرثاء والضجر والحسم المتنازعين معًا المسيطرة على هذا الحوار:

- «نبحث في إيه يا فندم، كل شيء سليم في هذه القضية، أبواب ونوافذ شقتها المغلقة سليمة».

أضاف ساخرًا:

- دي ولا اللي مهاجرة!

لا ثقب تنفد منه نملة لنتهمها في ذرة سكر، استكمل حواره الجاد، ثم أكمل ساخرًا:

- حتى أكياس السكر في الشقة كلها سليمة.. «مفيهاش كيس مخروم».

ضحك على دعابته التي لم تلقَ أي رد فعل من حمدي الذي ما زال ينتظر المزيد، فلجأ إلى رباعي الأسى والشفقة والجدية والثقة ليحكموا ربط عباراته من مفاصلها لتبدو جادة وحزينة، واثقة ولكنها لا تخلو من التعاطف، وأضاف:

- السيارة نفسها يا فندم كما هي في مكانها.. كل شيء فيها سليم «بس لوحده».

ضحك هذه المرة ضحكةً أعلى أخرجت اللواء حمدي عن تركيزه في كوب الكركديه، أنزل الكوب على المكتب محدثًا صوتًا يقترب من تحطيمه،

أو تحطيم الزجاج، ثم لم يضحك في المقابل في إشارة إلى أنه جاد ليس في هذا الحوار، وإنما في معرفة الحقيقة بهذه القضية.

استعاد حمدي ملامحه الجادة، وخاصةً عينيه المغمضتين، ورأسه المهتز يمينًا ويسارًا في تعجب، ليؤكد ما سبق أن قاله:

- ولاد الحرام مسابوش شيء في السيارة.

رد صديقه كمن يقرأ منشورًا:

- هي أيضًا لم تترك لنا بابًا نطرقه، لا أصدقاء ولا أعداء، ولا سابق واقعة نستند عليها في البحث وفوق كل هذا رسالتها المنشورة على فيسبوك..

طغت الجدية وحدها على عبارته الأخيرة لينهي بها أي أسئلة قادمة، قال:

- عدم ظهور الجثة ليس مبررًا كافيًا يا باشا لاستمرار التحقيق «ياما جثث مبتظهرش».

أنهى حمدي مشروبه الذي برد، لجأ إليه مرة أخرى ليضبط تأثره بهذه النهاية المأساوية.

راح يهمس لنفسه كنت أتصور أني أستطيع رد حقها.. كان نفسي ألقى حاجة.

تم تفتيش شقتها التي تقيم فيها بمفردها، اختفى كل شيء؛ ملابسها ذات الماركات الثمينة، وساعاتها الأنيقة، ونظاراتها كبيرة الحجم غريبة الأشكال التي اشتهرت بها على إنستجرام.. الهاتف وجهاز اللابتوب الخاصان بها أيضًا اختفيا.

Ballandalli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

يعلم هو كل ذلك، ومع هذا أعاد سؤال رئيس النيابة عن كل شيء، ثم طلب مجددًا إخباره حال ظهور أي جثة مشابهة، افتعل الرجل الاهتمام والموافقة، بينما خرجت كلماته الساخرة مناقضة لهيئته الجادَّة:

- «أي جثة تدوم على حالتها كل الوقت دا يا باشا؟ إنت سيد العارفين»..

وأمام الانفعال المتحجر بين مقلتي اللواء حمدي صحح جملته سريعًا:

- «حاضر يا حبيبي، أي جديد هبلغك فورًا».

هو «سيد العارفين» بهذه القضايا.. هذا صحيح.

لا يمكن أن تبقى جثة غريقة شهرًا كاملًا بحالتها، إن لم تظهر فقد التهمتها التماسيح أو أذابتها المياه أو قذفتها لمن لم يرحمها على أي مرسى بعيد عن هنا، حيث لم يعد لإحساسه القدرة على الاستدلال عليها، ولكنه قلب الأب الذي لا يقبل باختفاء ابنته هكذا بلا أي أثر، لا يمكنه أن يغلق بيده ملف قضيتها بلا رجعة.

سأله رئيس النيابة خلال جلستهما عن «عبد اللطيف» جاره وصديقه ووالدها البيولوجي -إن جاز التعبير- هل ما زال يحمل شكًّا ضده؟!

قال مُخفيًا مقصده من السؤال:

- «صحيح، النيابة لم تصل لشيء في بلاغ (مهد) قبل وفاتها الذي تتهمه فيه بسرقة ميراثها، ولكن يمكن سيادتك لديك معلومات أخرى تساعدنا».

هز حمدي رأسه نافيًا أي شك لديه في عبد اللطيف، رد بانفعال:

- لا يمكن.. لا يمكن دي بنته..

هو ليس واحدًا من مليوني متابع لحسابها، وشهر ليس بالكثير لاختفاء

ابنته بالنسبة له، لا تربطه صلة قوية بأصدقائها، وحتى خطيبها بالكاد يمرره من بين أنيابه ليبتلع وجوده في مناسبات قليلة جمعتهما، فلم يصادفه حتى منشورات البحث عنها بعد انتشار خبر تهديدها بالانتحار.

خرجت همسات حمدي المختنقة لتُسمِع رئيس النيابة:

- «قلت له كتير.. دي بنت متسيبهاش تعيش لوحدها كدا يا عبد اللطيف».

- بتقول إيه يا باشا؟

-لا أبدًا..

كان حمدي من أكبر المعارضين لقرار «مهد» بالاستقلال بحياتها، لطالما ناقش عبد اللطيف في هذه المسألة التي لم تكن تؤرقه على الإطلاق.

عاد من أفكاره على صوت رئيس النيابة ينهي من جديد مرافعته الودية في قضية البحث عن لغز انتحار «مهد» النادي الفاشون بلوجر، والإنفلونسر المعروفة، تظاهر بتقليب أوراق الملف الموضوع أمامه، معيدًا سرد محتواه غيابيًّا.

- أقوال الشهود من جيرانها تؤكد أنها غادرت المنزل بشكل طبيعي جدًّا، كاميرات مراقبة المجمع السكني الذي تعيش فيه سجلت مرورها بسيارتها بالشكل المعتاد من البوابات.. سيارتها المفتوحة بشكل طبيعي بجوار النيل.. رسالة الانتحار.. كل شيء يشير لحقيقة واحدة:

«تركت كل شيء بكامل إرداتها، وودّعت الجميع برسالتها، وذهبت إلى النيل.. ألقت بنفسها بين مياهه.. وانتحرت».

انتبه حمدي لنبرة الضجر المتسربة من صوت صديقه، فاعتذر عن التعب الذي تسبب له فيه، مدّ يده مجددًا لينهي بسلامه السريع الوقفة الطويلة التي أعقبت هذه الجلسة.

استبدل رئيس النيابة الرثاء الذي دلدل ملامح وجهه السمينة بعلامات فخر مختلط بالفرح لانتهاء المهمة بنجاح.

وقال بحماس جديد:

- البقاء لله، وبرضو عمومًا «الموضوع عندي».

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

العزاء

سمحت الشرطة للأب باستخراج شهادة وفاة رسمية، نشر إثرها إعلانًا بموعد استقبال العزاء في وفاة المغفور لها ابنته دكتورة «مهد» عبد اللطيف النادي.

وقف اللواء حمدي التونسي على باب القاعة الملحقة بأحد المساجد الشهيرة، مجاورًا لعبد اللطيف يستقبلان المُعزّين.

كان جليًّا على الأب تماسكه الشديد.. يغالبه شعور بالفرح لا يستطيع أن يخفيه في بعض الأحيان عند استقبال المُعزّين من ذوي المناصب الهامة؛ قادة الشرطة، زملاء اللواء التونسي، أو المشاهير من نجوم المجتمع الذين كانت تجمعهم صلات صداقة أو عمل بابنته.

وتجاوبًا مع التعاطف الغامر الذي أمطره به الجميع، راح يحكي واقعة انتحارها، مستعرضًا الرسالة بتأثر، منتشيًا بتفاعل المحيطين به.

بدا موقفه غريبًا للبعض، لأب فقد توًّا ابنته الوحيدة في حادث مفزع.

لحق حمدي بمقعد يريح جسده فوقه بجوار زوجته «أم أحمد»، أمسك بيدها مهدئًا ليساعدها على التماسك بعد أن ملأت دموعها المكان نيابةً عن كل الحاضرين المتماسكين، استطاع تهدئتها، فلاحقته هي بعباراتها الهامسة والغاضبة عن عبد اللطيف «صاحبك» -كما تسميه دائمًا حين تريد الشكوى منه- قل لصاحبك إننا في عزاء بنته، مش فرحها، ميصحش ضحكه ورغيه مع الضيوف.

وضع حمدي يده على فمه، مشيرًا لها بالسكوت.

سحبها من يدها ليساعدها على الوقوف استعدادًا للمغادرة، هامسًا:

- الله يرحمها.. خلاص لا هينفعها فرح ولا عزاء.. يلّا نمشي.

على باب القاعة سمع كلاهما آخر عبارات عبد اللطيف، يقولها لواحدة من المُعزّين:

أخيرًا بنتي ارتاحت، ياما اتعذبت في حياتها.

جاوبته الفتاة بلطف «إن شاء الله يا عمو (مهد) في الجنة».

She was an angel

غادر الجميع بعد رحيل اللواء حمدي التونسي، ومن ورائه معظم الشخصيات الهامة التي حضرت العزاء.

لم تبدُ مهمة مواساة عبد اللطيف شاقة، كما تصورها البعض.. انتهى الأمر سريعًا.

وقف عبد اللطيف مع مسؤول القاعة ينهي بعض الحسابات الخاصة باستئجار المكان، تدخل «محمود» خطيب «مهد» قبل أن يتحول الأمر لمشادة لاعتراض عبد اللطيف على الفاتورة الكبيرة، ثم تطوع بدفع الحساب، أبدى عبد اللطيف اعتراضًا مصطنعًا.

Battanalii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

فأجابه محمود بنبرة حزن حقيقية:

- كان مفروضًا أدفعها لفرحنا.

ربت عبد اللطيف على كتفه:

- تعيش يابني.. هي أكيد عروسة في الجنة.

ترك محمود يستكمل حسابه مع مسؤول القاعة، ولحق هو كآخر المُعزّين بباب القاعة الذي أوشك العاملون على إغلاقه، استقل سيارته عائدًا للبيت.

ساعة إضافية أخرى دفع ثمن استئجارها لمسؤولي القاعة، ليقضيها وحيدًا يعيد تأمل صفحة فيسبوك الخاصة بخطيبته من شاشة هاتفه، يعيد قراءة رسالة الوداع وينهار في كل مرة مع كلماتها مجددًا.

يرتدي نفس ملابسه التي عاد بها مسرعًا من ألمانيا، تي شيرت أسود، ممطوطة ياقته وباهت لونه وبنطلون جينز قديم وحذاء رياضي، لأسبوعين كاملين ظل يجوب الشوارع بهذا المظهر الرث، طارقًا أبواب المستشفيات العامة والفنادق ومنازل معارفها وأصدقائها بحثًا عنها بلا جدوى.

وصل عبد اللطيف لبوابة بيته في منطقة حدائق الأهرام؛ منزل يتكون من خمسة طوابق بخلاف الدور الأرضي الذي يسكنه اللواء حمدي، والذي يتشارك معه ملكية المنزل، كما كانا يتشاركان الجيرة في بيتهما القديم بحي إمبابة، يسكن كل منهما بشقة كبيرة بمساحة دور منفصل، بينما يتقاسمان باقي الشقق في الأدوار الأخرى، جميعها مغلقة في انتظار عودة أبنائهم المحجوزة لهم.

شقة لكل من أبناء حمدي الثلاثة، وشقة لمهد في الدور الأخير، كان يفترض أن تتزوج بها قبل أن تقرر أن تستقل بحياتها على الطرف الآخر من المدينة.

فتح البوابة الحديدية ليصطدم بمقعدين بلاستيكيين باللون الأبيض يتوسطان الحديقة الصغيرة التي تسبق المبنى، يجلس فوقهما أم أحمد واللواء حمدي.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

باداه حمدي بالسؤال، مستنكرًا إنهاء العزاء سريعًا، أرسل رده المقتضب ليبرر وجهته المسرعة لداخل البيت وعدم رغبته في الوقوف للحوار، بأن الجميع قد غادروا، وانتهى الأمر.

رد حمدي بنبرة لوم:

- معقول، كان يفترض أن تنتظر «مهد» معارفها كتير وأنت أيضًا.

أجاب باقتضاب:

- عمومًا، محمود هناك.

وضعت أم أحمد يدها على صدرها وشهقت:

- يا حبيبي، وسابته لوحده!

استكملت حوارها المعاتب الذي كانت تهمس به لحمدي قبل قليل، حسنًا لم تكن الكلمات لتبيت في جوفها، كما قال لها زوجها، أنّبت عبد اللطيف على جهله باختفاء ابنته حتى عرف خطيبها «البعيد» في ألمانيا، فعاد مسرعًا ليبدأ هو البحث عنها، وعلى تقاعسه في متابعة التحقيق الذي تولى حمدي كل شيء فيه.

- حتى العزا سابته ومشيت، قالت آخر جملة لها.

ليرد عبد اللطيف بشرار صادر من عينين جاحظتين تشيران إلى فهمه ما ترمي إليه من اتهامات بإهماله في حق ابنته كعادتها.

تذكر نيته بغلق باب الحوار، تركهما مستأذنًا بأدب لا يناسب الموقف ليكمل طريقه إلى شقته بالدور الرابع.

عادت أم أحمد لحديثها الهامس مع حمدي تحاول إشراكه معها في لوم

Battanalli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

عبد اللطيف، بينما يدافع هو عنه، هل تصل القسوة بأب لقتل ابنته، تؤكد أم أحمد أن بخله وطمعه يدفعانه لذلك وأكثر، حكت كل القصص التي تقرؤها على فيسبوك لمواقف شبيهة.

فقد قتل أب ابنته لرفضها البحث عن «فردة جورب» تائهة، وقتل آخر ابنه لرفضه مساعدته في الفرن الذي يعمل به، وكثيرة هي حوادث زوجات الآباء اللاتي يدفعنهم لقتل أبنائهم بدم بارد إرضاءً للعروسة الجديدة.

خرجت من صدرها تنهيدة بعمق فلسفتها في الكلام قائلة:

- إذا ماتت الأم ينسى الرجل أن له أطفالًا.

- يعني هي الأم اللي بتفكره؟! استنكر حمدي رأيها الذي طاله بالاتهام هو الآخر، فعدّلت من حدتها في اللوم، وأعادت تذكيره بالفرق الكبير بينه، بحنيته وشهامته ورعايته لأبنائه وبين عبد اللطيف، رددت جملتها المعتادة «أنا عارفة ازاي دا صاحبك؟».

بطريقته الهادئة في تبسيط الأمور، أعاد هو الآخر دفاعه عن صديقه، رفع بطنه المنتفخ لأعلى وقلّب شفتيه ليحركا شاربه الثقيل وحاجبيه معًا، وقال بعمق يضاهي فلسفتها:

- صحيح هو رجل جامد شوية، لكن مستحيل يكون أذاها، تنهد مضيفًا: دي بنته يا حاجة، حد يقدر يئذي ضناه.

انفجرت أم أحمد في بكائها الحار من جديد، متذكرةً «مهد» التي ربتها طفلة منذ وفاة أمها كوالدتها الحقيقية، قالت:

- ضنا، وهو شاف فيها ضنا؟

Battanaiit PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أمسك بيدها لتستند قائمةً، قائلًا:

- ما صدقنا هديتي، خلاص بقى يا حاجة.

وأمام ضغط ثقل حجمها وتأثره بحزنها، خرج صوته مختنقًا، مُعيدًا عليها كل التفاصيل التي شرحها له رئيس النيابة، ونتائج التحقيق في بلاغ «مهد» ضد أبيها الذي انتهى لكون «ثريا» زوجته وأم «مهد» باعت له كل شيء بعقود صحيحة قبل وفاتها، أنهى تسميع أدلته ما إن وصلا لباب المبنى.

أوصلها لباب شقتهما، وعاد هو لإغلاق بوابة العمارة بالقفل الحديدي وتأمين المبنى، كما يفعل كل ليلة، ثم تبعها إلى البيت، ليجدها استغرقت في النوم، فاستلقى هو الآخر قليلًا على الكنبة المجاورة للباب، ليلحق بها متأثرًا بتعب اليوم.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

محمود

كان الصوت عاليًا ملأ سكون الشارع الهادئ، ثم تردد صداه في المسافات الفارغة الكثيرة التي تتوسط عمارات الحي القليلة، يبدو الصوت معتادًا للجيران الذين اكتفوا بالنظر من شرفات البيوت باتجاه بيت أم أحمد.

محمود.. حاسب «مهد» يا محمود.

كابوس.. عادي.. دي أم أحمد.. ربنا يعينها.. ربنا يقويها.

التقطت أذنا محمود الذي كان قد ترك العزاء ليقود سيارته هائمًا حتى أوصلته لبيت «مهد»، سمع اسمه يتردد بين الصراخ.

بدا أنه الوحيد الذي أرَّقه الصوت، فجرى مسرعًا باتجاهه، لحسن الحظ يمتلك نسخةً من مفتاح البوابة الحديدية بحكم تردده على البيت لزيارة خطيبته.

طرق باب شقة «خالتي أم أحمد» كما تحب أن يناديها الجميع:

«محدش يقولي طنط دي مبحبهاش».

رفع محمود صوت خبطة يده على الباب، بينما تصلبت يده الأخرى فوق زر الجرس، وعلا صوته مختنقًا بآثار بكائه طوال اليوم وبحشرجة أنفاسه اللاهثة:

- خالتي.. افتحي.. أنا محمود.

جاءه صوت اللواء حمدي من خلف الباب.

- أهلًا يابني ثواني افتحلك.

Battanauli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انفتح الباب لتظهر أم أحمد جالسةً على واحد من مقاعد الصالون الذهبية الضخمة، وبجوارها كأس من العصير بللت آثارها المنضدة الصغيرة الملاصقة لها.. واللواء حمدي ببجامته فوق الكنبة، يفتح عينيه بصعوبة.

انحنى أمامها على ركبتيه مقبلًا يدها، سألها مستفسرًا:

مالك يا خالتي، ومالها «مهد»؟

فغالبت ثقل دماغها المترنح مجيبةً:

- شفتها يا محمود، عمك حمدي مش مصدقني طبعًا.

- أحلام خالتك يا سيدي، جاوب حمدي بضيق.

عهدها منذ زواجهما الطويل، فتاة حالمة ليس بالمعنى المتداول لهذه الكلمة، ولكنها حالمة فعلًا، بل وتصدق أحلامها، غير أن صدمة وفاة ابنهما الأصغر «محمود» حولت كل أحلامها لكوابيس لا تفارقها.

أكملت أم أحمد حلمها الطويل لمحمود، بينما تشرب كوب العصير.

حكت حلمها؛ رأت «مهد» تسير وبجوارها محمود يمسك يديها ويفتح لها أبواب بيت كبير، وفي كل غرفة تُفتح يضحكان، حاولت دخول البيت معها، ولكن «مهد» غافلتها واختفتن خرجت جريًا من البيت، بحثًا عنها، نظرت للخلف.. فوجدت محمود أغلق الباب.

انهارت باكيةً عند هذا الحد، وتعالى صراخها:

- كنت افتح ودخلني يابني.. كنت افتح ودخلني.

مسَّد محمود يديها لتهدأ في حكيها.. هدأت بالفعل لتبدأ تفسر الحلم كعادتها أن «مهد» أكيد هربت من الموت.

هي كانت في خطر ونجت.. أكيد نجت.

انتهى التفسير وانتهى مفعول العصير، وانتهى مفعول تمسيد اليد، فعادت لها مرارة حلقها ورعشة يديها وبكاؤها المندفع بقوة المطر.

- أنا ولادي ميموتوش أبدًا.

ميموتوش ويسبوني كدا أبدًا.

نقلها حمدي بمساعدة محمود لغرفتها لتعود لنومها بعد أن ناولها حبة الدواء.

اختصر حمدي الحوار الطويل الذي كان يفترض أن يدور بينه وبين محمود قائلًا: من يوم الله يرحمه وهي كدا.

رد محمود متأثرًا:

- عارف يا عمي والله.. وآسف إني جيت في الوقت دا، سمعت الصوت افتكرتها بتنده عليّا أو في مشكلة لا قدَّر الله.

رد حمدي باقتضاب وهو يتثائب:

- ولا يهمك، نوّرت يا حبيبي.

استشعر محمود رغبته في إنهاء الحوار، فأضاف معتذرًا:

- اليوم كان طويلًا ومتعبًا أنا عارف.. لكن..

لم يتركه اللواء حمدي ليكمل جملته.

- كان طويلًا عليك أنت يابني أكتر واحد.

رحلة طيران مستعجلة تلتها أيام بحث طويلة في كل مكان قبل أن يستسلم محمود والجميع لقرار النيابة، اصطحبه حمدي لباب الشقة،

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

قائلًا بحسم:

- روح ارتاح يابني.

لم يظهر على محمود استعداده للمغادرة دون أن يقول ما جاء من أجله.

- هي النيابة هتحقق في الموضوع تاني طبعًا يا عمي، أنا برضو مش مصدق إن دكتور عبد اللطيف يعمل كدا أو حتى يتسبب فيه، بس برضو.

قاطعه حمدي:

- ما بسش.. التحقيقات خلصت.

قدرها يابني..

ربنا يرحمها ويعوضك.

أنهى جملته وفتح الباب الذي صار ملاصقًا لكليهما، لم يجد محمود بدًّا من توديعه والمغادرة.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

اليوم التالي

في هدوئها المعتاد تظهر مياه النيل كصورة الغلاف لصفحة «مهد» على فيسبوك، تضيء بفعل الأنوار المنعكسة عليها ليلًا إلى جانب ابتسامة «مهد» الواسعة وفستانها المتطاير بفعل هواء الكورنيش وعلامة النصر التي كانت تحب إبرازها في كل وضعيات صورها.. تقف على طرف باخرة سياحية.

راح يتذكر الأحداث الأخيرة قبل الحادث متأملًا صورتها، عادت كلمات الحاجة أم أحمد تبرق في عقله عن مشاجرة «مهد» مع عبد اللطيف قبل اختفائها، حكت له أنها سمعتها تهبط الدرج تصرخ وتبكي وتسبّه، تابعها عبد اللطيف مسرعًا حتى خرجت من البوابة الحديدية، وعاد هو مطلقًا السباب بحقها، سمعت أم أحمد من خلف الباب شتائمه كلها.

قالت أم أحمد: «الفلوس.. كل دا عشان طالبته بالفلوس».

وصل بخواطره حتى منزل «مهد» مرة أخرى، حيث عاود محمود زيارة بيت اللواء حمدي، تحجج برغبته في الاطمئنان على خالته، جلس مطرقًا رأسه باتجاه ركبتيه المهتزتين في قلق حتى خرجت هي بحالة صحية جيدة.. فرفع رأسه مبتهجًا بقدومها.. أسرعت في خطوتها واحتضنته ليعاودا معًا البكاء من جديد، ربتت على ظهره لتهدئته ثم دعته للجلوس بجوارها.. دبّت الثقة في نفسه، مستندًا إلى وجودها بجواره.. وبدأ حديثه المؤجل في حلقه عمَّاذا حدث في المحضر؟

سأله: في جديد؟

- لا يابني التحقيقات انتهت ولا دليل على أي شبهة جنائية.

- ولكن يا عمي أنت عارف الخلافات بينها وبين عمي كانت..

قاطعه حمدي بصوت منفعل:

- خلافات إيه؟! وانت بقى هتعرف اللي بينهم أكتر مني؟

رفض اتهامات محمود، وصفها بأنها هذه ليست أدلة اتهام تأتي بها لضابط شرطة، نقل بصره لزوجته، قائلًا: «دا كلام خالتك الحاجة، مش كلام ناس مثقفة».

جفل محمود لردة الفعل القوية وابتلع ريقه بصعوبة.

فزاد حمدي ضرباته القوية التي حطم بها منطق محمود تمامًا، قال:

- هو انت هتبقى أحن على بنته منه؟!

تدخلت أم أحمد في الوقت المناسب الذي كان ينتظره محمود، هتفت قائلةً: بنته إيه اللي بنته.. ولا عمرها كانت بنته ولا تعب فيها.. ثم اختنق صوتها بالبكاء، وهي تعيد حكي الواقعة التي روتها أكثر من مرة لحمدي الذي رفض تمامًا أن تحكيها أمام النيابة، ولكنه لا يستطيع منعها من تكرارها على مسامعه في البيت.

رفع حمدي صوته قليلًا بالحجة الجديدة التي وجدها لمحاولة إثبات موقفه.

- ما هي ياما طالبته بالميراث، وهو ياما اتخانق معاها.. وبعدين مش قرينا كلنا الرسالة اللي بتقول إنها انتحرت.

Battanalu
نسخة غير مخصصة للطباعة

لمح محمود لينًا في وجه حمدي، شجعه على استرداد صوته الذي ابتلعه بعد كل الإحراج الذي تعرض له، حرّك يديه بهاتفه مستعرضًا شخصيته كمهندس كمبيوتر، وبدأ يشرح كيف يمكن اختراق الحسابات الشخصية، وبث رسائل بغير علم أصحابها.

ممكن يا عمي الرسالة متكونش منها، قال بثقة العارف ثم حكى جانبه هو الآخر من القصة الذي لم يشفع بشيء في التحقيقات سوى في المزيد من استجواب عبد اللطيف الذي كاد يخسف به الأرض بعد شهادته هذه.

حكى محمود أن «مهد» قبل اختفائها أخبرته عن نيتها مفاتحته في موضوع هام، حدثته بنبرة حزينة وباقتضاب على غير عادتها، كل ما قالته إنه موضوع قديم، مترددةً منذ فترة في إخباره به، انتهت المحادثة بينهما، ولم ترد بعدها على رسائله الكثيرة التي حاول الاستفسار فيها عمَّا كانت تنوي قوله.

أسبوعان كاملان اختفت «مهد» قبل أن يفاجأ مثل أي شخص آخر بالرسالة إياها على صفحتها.

وقف محمود منفعلًا، ثم أضاف:

- وبعدين دي لا لغة «مهد» ولا طريقة كتابتها.

لوى حمدي شفتيه علامةً على ضجره بإصرار محمود فتح الجدال إياه بمشاركة خالته.

رفع الهاتف إلى أذنه وبدأ بإجراء مكالمة ثم ضغط علامة فتح الصوت ليسمع الجميع للمكالمة.

Baffanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

إيه يا باشا؟

أهلًا.. يا حبيبي، تسلم.

طمني، إيه الجديد؟

ما أنا بلغت سيادتك.. التحقيق اتقفل.

بضجر واضح في نبرة صوته كرر الكلام الذي قاله في النيابة، تفريغ كاميرات المراقبة أمام بيتها، أقوال الشهود من جيرانها، التحقيق مع عبد اللطيف، كلام محمود عنه لا يفيد بشيء، خاصة مع الخصومة المعروفة بينهما، لا علامات فتح أو كسر بالسيارة المفتوحة بشكل طبيعي جدًّا حتى سحب الكاسيت منها تم بهدوء وحرفية.

أضاف ضاحكًا:

دا الحرامي نفسه شكله كان رايق، وهو بيفك كل حاجة كأنها عربيته.

قطع حمدي حس صديقه الساخر، معتذرًا عن إزعاجه مجددًا، حاول ادعاء شكوك جديدة دفعته لمعاودة الاتصال به كأن يكون شخص ما دفعها بالقوة للانتحار، أو أخفاها ودبر قصة السيارة.

استنكر رئيس النيابة مجددًا أي احتمال لاستخدام القوة في القضية، غير أنه أضاف:

بس اختفت دي يا باشا!! مين عارف، مدام مفيش جثة كل شيء جايز.

كان محمود ما زال واقفًا في الانتظار لتنتهي المكالمة التي وقفت عند هذا الحد.

Battandalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

التقط الجملة الأخيرة، وذكّر حمدي بأن كاميرات المراقبة أوضحت خروج «مهد» من بيتها ليوم يسبق نشر رسالة الانتحار.

- راحت فين بقى؟! قال محمود.

فأعاد حمدي طلب الرقم الأخير مرة أخرى، اعتذر لصديقه عن معاودة الاتصال ثم قال بروتينية إنه نسي سؤاله عن نتائج التحقيقات حول اليوم السابق لرسالة «مهد»، كان يعرف الرد مجددًا، ويعرف حتى النكتة التي سيلقيها صديقه:

السكة بقى من الرحاب لإمبابة يا باشا، ضاحكًا أجابه كالعادة.

لا أحد يعرف أين قضت «مهد» هذا اليوم الكامل، خرجت من بيتها وفي اليوم التالي ظهرت رسالتها، أسبوعان من البحث ليجدوا سيارتها فقط بجوار النيل، أما هي فلا أثر.

أسبوعان آخران وتم حفظ القضية.

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حادث انتحار

لا شبهة جنائية في الموضوع، قال حمدي لمحمود الذي تجاهل كل ما سمعه وبنفس حماسته، قال:

دا كلام دا؟! حد يقضي يومًا كاملًا.. أربع وعشرون ساعة في السكة.

ترك حمدي جلسته ليقف هو الآخر بمحاذاة محمود، وكمن يلقي محاضرة مكتوبة أمامه، أوضح:

هذا هو السيناريو الوحيد للحادث، ولا يستطيع عاقل إثبات أي كلام غير ذلك.

لم يفلح كل جدال محمود في زرع الشك داخل اللواء حمدي، كيف تحزم فتاة عاقلة حقائبها وتتجه للموت كما لو كانت ذاهبة في رحلة سفاري، لا ينتحر البشر كل يوم دون سبب، حتمًا هناك سبب، كأن يكون مثلًا هناك شخص ضايقها ودفعها لذلك!

رد حمدي بنفاد صبر:

حتى لو، فهذا الشخص ليس عبد اللطيف.

أكملت أم أحمد الجزء المفضل لها دائمًا في القصة حول قسوته معها وشجارهما وخلافاتهما الدائمين، وأخيرًا واقعة المشاجرة على الدرج نيابةً عن محمود، الذي تدخل لتأكيد كلامها، قائلًا: أيوا هي حكت لي.

- رد حمدي متهكمًا، قالت لك إيه بقى يا أخويا؟!

- قالت في موضوع مهم عاوزه أفاتحك فيه.. وأنا متأكد إن دا الموضوع،

Battandiin PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

خناقتها معاه اللي خالتي بتحكيها دي.. كانت عاوزاني أتدخل أكيد.

ابتلعه حمدي بنظرة اخترقت جسده الضئيل، ثم قال ضاحكًا: تتدخل؟!

لمعت الدموع في عيني محمود عاجزًا عن الرد.

لَانَ حمدي قائلًا:

- وليكن يا ابني، إيه اللي نقدر نعمله دلوقتي؟

حمدي أيضًا شاهدًا على أنهما دائما التشاجر، ودائمًا ما يهددان بعضهما، هي تقول إنها ستفضحه وتسجنه، وهو يقول إنه سيربيها ويؤدبها من جديد.

طرح محمود آخر سؤال في جعتبه حول لابتوب «مهد» وهاتفها.

تملك «مهد» أكثر من هاتف وأكثر من لابتوب، حتمًا كان بحوزتها أحدها لتكتب عليه رسالتها الأخيرة، فأين الباقي؟

هذا هو السؤال الوحيد الذي يجعل من حمدي مستمعًا مهاودًا لزوجته ولمحمود على الرغم من نهره لمحاولاتهما لدفعه في هذه القضية، يقف في صفهما، مستفهمًا بلا جواب عن متعلقات «مهد» المختفية من بيتها، وأمام شروده المعتاد بحثًا عن رد لهذا السؤال.

تجرأ محمود على طلبه:

نفتش شقته؟

لو معاه، يبقى هو اللي كتب الرسالة وهو اللي..

قاطعه حمدي بنظرته الهازئة:

وأنت متصور إن الشرطة مفكرتش في الاحتمال دا!

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تم تفتيشها بالطبع، ولم تعثر الشرطة على أي شيء يخص «مهد».

أجاب محمود بصوت خفيض متردد:

- الشقة المقفولة، في الدور الخامس، شقة «مهد».

رفع حمدي بصره غاضبًا لأم أحمد الجالسة أمامهما تراقب الحوار ما يعني أنه فهم أن هذه هي خطتها، محمود لا يعرف شيئًا عن هذه الشقة.

انتفض قائلًا:

- أنت اتجننت أنت وخالتك رسمي، تركهما مغادرًا البيت.

غادر محمود هو الآخر، ولكن بعد أن نفذت خالته خطتها، تعرف إن حمدي طيب سينفعل قليلًا ثم لن يعارض، أخرجت ميدالية مفاتيح من البوفيه الخشبي بغرفة نومها أعطتها له، ليجرب أيًّا منها هو المفتاح الصحيح، ونبهت عليه أن يعيدها سريعًا قبل عودة حمدي مساءً.

عبد اللطيف عقارات

لولا موت «مهد» وانتقال ملكية سيارتها النيسان الحديثة إليه، ما فكر أبدًا في تغيير سيارته الشاهين موديل التسعينيات أبدًا.. إذا فكرت في تتبع ممتلكات وثروات عبد اللطيف لتبحث فيها ستغرق في متاهة، فمصادر ثروته متداخلة يشاركه فيها كثيرون، يبدو أحيانًا كمن يملك كل شيء، وعند اللزوم هو بالفعل لا يملك أي شيء، فدائمًا هناك شريك آخر خفي؛ حمدي جاره، أخوه الذي يعيش في الكويت منذ زمن طويل، ومرة «مهد» نفسها، فجزء كبير من هذه الثروة يعود لميراث أمها الذي بدأ به أعماله في مجال العقارات، وحصل بفضلها على لقب عبد اللطيف عقارات.

هذه العمارة واحدة من كثير غيرها يمتلكها عبد اللطيف، الذي على الرغم من شهرته في الاستثمار العقاري، يحتفظ في بطاقته الشخصية بمهنته كأستاذ علم النفس وبمظهره الكلاسكي، بذلاته القديمة الطراز التي لا تخرج ألوانها عن الألوان الرسمية، وحذاء واحد يبدّله بآخر يشبهه تمامًا عندما يفقد صلاحيته تمامًا.

- لماذا شقة الدور الخامس تحديدًا؟! سأل محمود خالته عندما اقترحت عليه البحث وراء «مهد» في هذه الشقة.

- لأنها كانت ملك «مهد» قالت، كتبها عبد اللطيف باسمها ترضيةً لها بعد إحدى مشاجراتها معه، وتملك «مهد» مفتاحها، وأكيد «مهد» سابت حاجتها قبل ما تمشي فيها.

Battanaiih PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- تمشي فين يا خالتي، قصدك هو يقتلها؟

قالت بجدية تغالب دموعها وألم ركبتيها وأنفاسها الضيقة من أثر حساسية الصدر التي تداهمها نوباتها بين الحين والآخر:

- بنتي عايشة يا محمود، ريّحني بس ودور في الشقة، يمكن تلاقيها هي كمان، تلاقيها مستخبية مننا، لولا رجلي كنت طلعت دورت عليها بنفسي.

يصدقها قلبه، حيث تسكن بقايا حبه الكبير لخطيبته، رافضةً انتهاء حياتها بهذا الشكل البسيط بساطة مخلة، لا يجرؤ على مصارحة خالته بأنه لا يمكن أن يعيش شخص متخفيًا لمدة شهر كامل في شقة مغلقة، ألم تطلب طعامًا ولو لمرة واحدة.

«مهد» تنتحر ولا أصدق أنها تطبخ لنفسها يوميًّا، عاودت الابتسامة وجهه لأول مرة منذ غياب «مهد»، متذكرًا مرحها وجنونها وحبها لطلب الطعام..

«دليفري».

هذا ردها على مزاحه معها، كيف سنأكل؟ مطالبًا إياها أن تتعلم شؤون البيت والطبخ قائلةً: «أنا أموت ولا أقف في المطبخ».

ليس جادًّا، لم يكن يومًا بالشاب الشرقي التقليدي الذي يبحث عن مدبرة منزل برتبة زوجة، حياته في أوروبا خلصته من هذه العقدة، كان يحب نجاحها، بل ويستلهم منها القوة لإدارة حياته مثل كل متابعيها على السوشيال ميديا.

- يا ريت تطلع عايشة، قالها مستسلمًا لجنون خالته وهلاوسها.

لن يجدها يعرف عقله، ولكن ربما وجد خيطًا يقوده لمكانها إن كانت حيَّة، أو للثأر لحقها إن كان هناك من دفعها للموت أو الانتحار.

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

إذا كان عبد اللطيف وراء ذلك، فبالتأكيد هو أيضًا من أخفى متعلقاتها، وربما حتى هو من سرق الهاتف الذي كانت تستخدمه، وليس اللصوص.

الشقة المغلقة هي أكثر مكان آمن، فإذا انكشف أمره يمكنه وقتها ادعاء أنها تخص «مهد» ببساطة.

انتهت تحليلاته هو وخالته، وجاء وقت تنفيذ الخطة.

ما إن دلف محمود باب الشقة المغلقة لمحت عيناه اللابتوب ماركة آبل، وفوقه هاتف الآيفون موضوعين معًا فوق منضدة السفرة المواجهة لباب الشقة.

- غبي فعلًا يا دكتور بطيخة كما يطلق عليك الطلبة، همس محمود لنفسه، ثم التقط الجهازين بخفة وحذر على الرغم من علمه أن لا أحد بالشقة، أغلق الباب من خلفه بهدوء، هبط السلالم مسرعًا حتى وصل إلى الدور الثاني، وعند باب شقة عبد اللطيف فاجأه صوت الباب ينفتح، ارتبكت حركته، فسقط من فوق الدرج وسقط الجهازان من يديه، من خلف درابزين السلم، سمع محمود صوت ارتطامهما بالأرض.

انطلقت شرارة الغضب من ملامح عبد اللطيف في وجه محمود لتزيد آلام جسده التي راح ينقل يده فوقها واحدة تلو الأخرى، يتحسس كوعه الأيسر ثم ركبته اليمنى ثم خده الذي سحلته الدحرجة.. أخرج آلامه على هيئة سباب وصراخ عاليين.

-حتى لو اتكسروا، وجودهم عندك معناه إن أنت اللي سرقتهم زي ما سرقتها، ولو «مهد» ماتت يبقى انت برضو اللي قتلتها.

ما زال في العمر بقية

«ربما لم يحن الوقت بعد.. ما زال في العمر بقية» كيف لفتاة مقدمة على الانتحار أن تكتب جملة كهذه.

كثيرة هي مشاكل مهد «أنا حفرت طريقي في الحياة بإبرة كروشيه مقاس 0.2 يا محمود» جملتها الشهيرة، تلقيها في وجهه ضاحكةً، فتح نافذة الرسائل الأخيرة بينه وبينها لعله يجد شيئًا أغفل قراءته في المرة الأولى، عشرات الرسائل الطويلة منه وردود مختصرة متعجلة منها.

مضت أيام به على هذه الحال في شقته التي يقيم بها وحيدًا، قريبًا من منزل أسرة «مهد»، حيث تعود أصول عائلته قبل الهجرة لألمانيا بمنطقة الهرم، شقة كبيرة نسبيًّا يتخبط فيها هو وأفكاره الحائرة بغرفها الواسعة، لا شيء هنا سوى رائحتها.

هداياها له، مشترياته من أجل تجهيز شقة الزوجية المنتظرة وصدى صوتها في محادثات الهاتف بينهما.

تحيطه أجهزة الكمبيوتر الكثيرة التي يقتنيها منذ صغره بكل إصداراتها تقريبًا، بدءًا من إصدار صخر الذي اشتراه له والده كهدية عيد ميلاده العاشر، ثم رحلته الطويلة في تجميع الرامات والشاشات وتطوير أحجام الهاردات، وعدد لا نهائي من أقراص الفلوبي ديسك والأسطوانات والفلاشات، طفل وحيد تربى هنا، وشاب منعزل عن المجتمع عاش هناك حتى عاد إلى مصر لتملأ «مهد» ذاكرته بأسطواناتها، وبـ«الآبجريدز» الكثيرة في حياتها وفي علاقتها به.

Battanaiiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أعاد صوت والدته القادم من الماسنجر تذكيره بأنه لا يملك شيئًا في مصر وبانتهاء الخطبة لا سبب يدعوك للبقاء هناك الآن، رد عليها:

أنا لسه مطمنتش عليها، لازم أعرف حصل لها إيه.

خلخلت اندماجه في حالة الأسى والوفاء رثاءً لخطيبته، مذكرةً إياه بجفائها في علاقتها معه وبتضييعها عليه فرصة العمر برفضها السفر معه إلى ألمانيا.

دافع محمود عن قراره متجاهلًا تلميحات أمه، دا التزام أدبي وأخلاقي قبل كل شيء يا ماما.

«مهد» صديقته قبل كل شيء، أنقذته هي سابقًا من تخبطه في الحياة، وضعته بيدها على أولى عتبات النجاح على الرغم من كل «لخبطة» شخصيتها، كانت ملهمته «فاقد الشيء هو أكثر شخص قادر على منحه» كما تقول هي دائمًا.

أنت مختلف، شاب مهذب ومتفتح في الوقت نفسه، بكلماتها هذه وافقت أخيرًا على طلبه اللحوح للارتباط بها بعد محاولات كثيرة، استمرت خطبتهما 6 أشهر، وهو رقم كبير يستند محمود إليه ليشير لقوة علاقتهما.. وكان سعيدًا بوقوع اختيار الإنفلونسر الشهيرة عليه ليشاركها حياتها، هي الشخصية القوية صاحبة القرارات العاصفة أحيانًا والمخالفة لكل التقاليد.

فقد سبق لها فسخ ثلاث خطبات تلت زيجتها الأولى الفاشلة، وفي كل مرة يزدحم «وول» فيسبوك بصورها مع خطيبها الجديد على فيسبوك، لتثير جدلًا حول علاقة الفاشونيستا المعروفة وفلان.. رجل أعمال في مرة ثم طبيب تجميل، ثم إنفلونسر مشهور أيضًا، وسرعان ما تعلن خبر انفصالها

في شهر أو أكثر أو أقل من ذلك أحيانًا.. بدءًا بقرارها الأهم ألا تصير بأي حال جزءًا من أملاك عبد اللطيف.

أن تصير مثل أبيها هذا آخر ما تتمناه.

جدّت في دراستها بالقسم العلمي حتى التحقت بكلية الصيدلة.. وعلى الرغم من غضب عبد اللطيف الدائم منها لخذلانها له في مواقف كثيرة، يظل هذا أكبر حبال الأمل التي علقها عليها هذا الرجل، حيث لا يجد أشياءَ كثيرة في حياته يفاخر بها في تربيته لابنته سوى نجاحها الدراسي الذي واصلته في الجامعة أيضًا.. يدافع دائمًا عن تربيته لها أمام أي شخص ينتقد تصرفاتها على السوشيال ميديا «بنتي شاطرة وناجحة».

تخرجت «مهد» ضمن أوائل دفعتها لتتوالى قراراتها مخلفة ثقوبًا عميقة في علاقتها المهترئة مع عبد اللطيف، مش هشتغل في الصيدلة.. مش هتعين في الجامعة هدرس تنمية بشرية.. هشتغل لايف كوتش، حتى أصبحت واحدة من أهم مشاهير السوشيال ميديا.

Battanaili
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

قضية رأي عام

هو الحسد، العين التي أصابتها لنشر تفاصيل حياتها على الملأ للعالم «تصدّر هذا الحدس كتفسير أولي للحادث».. كانت «مهد» قد نشرت منذ فترة قصيرة صورًا لحفل إطلاق خط أزياء خاص بها، وماركة تجارية تحمل اسمها.

أحدهم اكتشف لاحقًا تفسيرًا خطيرًا، وهو أسطورة مدربي التنمية البشرية المُدّعين للفهم والاستقرار النفسي وهم أحوج ما يكونون إليه.

وأخيرًا هؤلاء الذين يؤكدون أن..

«مهد» حية!! هكذا تزعم لانا زيدون الفاشونيستا العربية المشهورة صديقة «مهد» وشريكتها في خط الأزياء والماركة التجارية المزمعين.

عدد متابعي «مهد» يتجاوز المليونين، كما تعرف يا عمي، بدأ محمود شرح أهمية القضية التي تصدرت «التريند» شهرًا كاملًا حتى إعلان خبر استقبال عزائها، للواء حمدي محاولًا إقناعه من جديد بمساعدته في فتح التحقيق مرة أخرى.

أخفى محمود شكوكه حول تورط عبد اللطيف في قتلها، ليقنع اللواء حمدي بمساعدته فقط بحجة أنها قضية رأي عام، ولا يمكن إغلاقها بسهولة هكذا.

اكتفى حمدي بأن يطلب منه متابعة صفحة «مهد» وإبلاغه بأي جديد.

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

رشا النادي

«مهد» كانت مصابة باكتئاب، كانت مضطربة ومتعبة ولا أحد يعرف شيئًا عن ألمها النفسي سوانا نحن أقرباءها، نعم كانت تفكر دائمًا في الانتحار، وحاولت ذلك أكثر من مرة.

يقرأ محمود بوستات رشا حول «مهد» وتعليقاتها على المتابعين ويهز رأسه مصدومًا من الدهشة.

ما كل هذا الهراء؟

كان آخرها بوست نشرته عن «مهد»، وما قالته ذات يوم بجلسة عائلية جمعتهما معًا.

هي ابنة عم «مهد» التي تصغرها بعام واحد..

اعتبرت نفسها المتحدث الرسمي باسم العائلة عبر السوشيال ميديا، تتحدث عن «مهد» وحياتها وتحلل وتفسر أسباب انتحارها.

يذكر محمود هذه الجلسة، ويذكر أن «مهد» قالت هذا بالفعل.. قالت: «نفسي أروح أي بحر وأرمي كل حاجة هناك، وأرجع تاني زي ما ولدتني أمي».

صرخ محمود مغلقًا الهاتف: هذا ليس دليلًا أيتها المدّعية، كما أن هذه كانت المرة الأولى التي تقابلين فيها «مهد» منذ سنة وأكثر لم تتقابلا خلالها.

صارت أكاذيب رشا وافتراءاتها عن «مهد» حقيقة لا جدال فيه، ما اضطر

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

محمود للذهاب بشكواه منها إلى حمدي، وقد صار يتردد عليه ليفيده أولًا بأول بما يكتب عن «مهد».

شرح له محمود محتدًّا، لا هي ولا هذه الأخرى «لانا» لم تكن أبدًا صديقة ولا مقربة من «مهد»، ولكن هو هكذا إذا سقط الثور كثرت السكاكين كما يقولون.

رغم إنصاته الجيد لا يجيبه حمدي بما يريحه أبدًا، كل معلوماته يعرفها هو ربما أكثر من محمود نفسه.

لم يكن لمهد صديقة مقربة.. على الرغم من عشرات الأصدقاء القريبين منها.. تحب وحدتها في شقتها، تحدث هو معها كثيرًا في هذا، ومع عبد اللطيف بلا جدوى.

إحنا السبب يا عبد اللطيف، قالها باكيًا يوم سمع بالخبر، مكنش لازم نسيبها تعيش لوحدها، للآن لا يجد ردًّا على محاولات محمود استفزازه لتوجيه الاتهام لعبد اللطيف، سأله محمود عن حطام الأجهزة الخاصة بمهد التي التقطها وسلمها له في محاولة لإعادة إصلاحها وفتحها، فأجابه منفعلًا فشلنا يا سيدي الأجهزة باظت من الوقعة.

زاد الانفعال الذي داهم ملامحه احمرار وجهه شديد البياض، أعاد تكرار تفسيره أن عبد اللطيف لا يعرف شيئًا عن ابنته التي كانت تعيش وحدها بالأساس.

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

نقل دفة الهجوم لمحمود معاتبًا إياه على فشله في إقناعها بالعودة لمنزل أبيها، كما طلب منه حمدي قديمًا.

حاول محمود فعلًا إقناعها بالعودة للعيش مع والدها، حين اشتكت له الكوابيس التي تمزق نومها لقطع بلورية تشبه المرآة المحطمة، ترى نفسها في كل شريحة منها أو في كل فقرة نوم خاطفة بصورة مختلفة، ليلة واحدة تمنتها طويلًا لتنام فيها نومًا متواصلًا لتجمع أجزاء هذه المرآة بما يسمح لها أن ترى وجهها مكتملًا، وترى نفسها واضحة «على حقيقتها».

طيب طالما بتخافي ما تروحي تعيشي مع عمي عبد اللطيف، قال..

ضحكت «مهد» وجاوبته دا أنا كدا مش هشوف النوم تاني.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

شركة تيكنو موووود

فتح محمود مقر شركته التي أغلقها قبل شهرين ماضيين قبيل سفره الأخير لألمانيا..

ضغط كل لمبات المكتب التي صادفها في طريقه لحجرته، مقررًا استئناف العمل..

«تيكنو موووود».

هي اختارت الاسم، كانت دائمًا ما تناديه بـ«موووود».

«موووود» هذه الكلمة التي عاشت ترددها أكثر من أي شيء آخر.

مش في المود.. مليش مود.. مودي وحش..

فتح اللابتوب فوق المكتب، وجلس على مقعده، محدثًا نفسه:

وإذا اختفت أجهزة «مهد»، فلن يكون صعبًا عليه فتح حساباتها بطريقته، هذا تخصصه بالأساس.

وجود متعلقات «مهد» في شقة عبد اللطيف أكبر إثبات للشكوك التي تحيط به، لن ينسى ما قالته له «مهد» قبل وفاتها.. إنها قررت مواجهته بفضائحه حتى لو كان الثمن أن يقتلها.. استنكر محمود وقتها الفكرة، يذكر كيف نصحها، مستحيل لا يمكن.. دا أبوكي بالنهاية يا «مهد»..

المجرم!!!

أكيد نفذ تهديده لمّا طالبته بالميراث..

بدأ محاولاته لفتح الحساب بالطريقة العادية يحدوه يقين بقدرته على تخمين كلمة السر الخاصة بها.

بدأ فعليًا في تجربة كلمات سرية كثيرة..

اسمها بكل الطرق الممكنة لكتابته!

تاريخ ميلادها!

رقم هاتفها!

«مهد» ليست ساذجة لهذا الحد.

جرب جميع التواريخ التي تربطهما، وكانت خيبته مضاعفة عندما لم يفلح أي منها..

يبدو أن عليه أن يبحث أبعد من نفسه ليجدها..

بعد محاولات طويلة لتجربة كل الأشياء التي تحبها «مهد».

أخيرًا وصل لكلمة السر الصحيحة..

ثريا موووود 81.

كيف لم يفكر فيها من قبل؟

لا تحب «مهد» شيئًا في حياتها أكثر من اسم أمها، ومن هذه الكلمة التي تحرص دائمًا على كتابتها بحرف الواو مكررًا ثلاث مرات متتالية.

فتح محمود صفحتها «كايرو موووود»..

فنجان قهوة وحيدًا فوق سور كورنيش النيل بصورة الغلاف، ومهد تنظر للسماء وتبرز أشعة الشمس المنعكسة على وجهها لمعة عينيها في مكان الصورة الشخصية.

Battanaiin PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ألبوم صور خط الأزياء الجديد كان آخر ما نشرته.

نصائح ضبط المزاج وتحسين المود لمتابعيها.. جملتها الشهيرة المثبتة بأعلى الصفحة:

«إذا كان كل يوم يمر بإرادتك أو من دونها، فبيدك أنت تجعله يومًا حلوًا أو مرًّا على قلبك.. خذ القرار، أن تكون أيامك كلها حلوة.. صباحكم جميل».

جرعات تفاؤل وثقة بالنفس تطل من بين سطورها تحيي النفوس، فكيف أماتت صاحبتها؟! ألبومات صور لرحلات «الميديتيشن» التي تنظمها لمتابعيها، والرسالة الأخيرة.

خابت توقعاته التي وضعها باحتمال دخول أدمن آخر للصفحة نشر بوست الانتحار بدلًا منها، لا يوجد شخص يدير الصفحة سواها.

خرج محمود من الصفحة لحائط الحساب الشخصي لها.

نفس البوست أيضًا، امتدت يده ليغلق الحساب غير أن عينه تعلقت بتاريخ المنشور.

أسبوعان سابقان ليوم نشره بالصفحة.

نفس البوست بتاريخ مسبق، ولكنها ضبطت خصوصيته إلى الحالة «أونلي مِي».

بروفة انتحار

أعاد محمود قراءته، كما لو كان يقرؤه لأول مرة..

«يقولون -وحقًّا ما قالوا- إننا نبقى صغارًا حتى تموت أمهاتُنا، وأنا كبرت منذ يوم فطامي..

حين مضيتي يا أمي ومضيت أنا بعدك في هذه الحياة، أضيف عمرًا إلى عمرٍ..

والآن.. هل تستطيعين أيتها السيدة البسيطة أن تحسبي كم صار عمر ابنتك؟

ليس ذلك العجز الذي يبدو واضحًا في خصلات الشعر البيضاء، وحفر الوجه العميقة هو ما أقصده..

ولكنها الروح يا أمي..

تهرم ولا نستطيع تجميلها بصباغ يعيد إليها صباها..

اليوم أفتح صندوق الذكريات وأنا في منتصف الطريق.......».

انتهى المنشور عند هذه الجملة.. هل هي بروفة لرسالة الانتحار.. كيف يا «مهد»؟! تُعدّين لانتحار منذ أسبوعين ولا يعرف عنك أحدٌ شيئًا.. لا أعرف أنا عنك شيئًا.

عاودت نظرات الحزن احتلال وجهه، وهو يقلب منشوراتها النابضة بالتفاؤل السابقة على المنشور.

Battanůiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

من أين جاءتك هذه اللغة الحزينة؟ سائلًا نفسه.. دائمًا ما ميزتها لغتها العفوية البسيطة، ضحك متذكرًا «مهد» الطالبة المتفوقة في دراستها التي دفنتها «مهد» البلوجر المشهورة، في صغرها كانت نموذج «البوك نيرد» بامتياز، حكت ذلك في أحد فيديوهاتها بفخر.

هبط بالمؤشر للأسفل، صورة مفلترة لحديقة واسعة، و«مهد» تجلس أرضًا نهارًا ذيلتها بواحدة من عباراتها المشهورة.

وكأنك تستيقظ لأول مرة.. وكأنك ولدت للتو.. كما لو كنت تجرب لتوِّك فتح عينيك ومشاهدة الحياة.. عِشْ كل يوم جديد بإحساس الطفل الذي يخطو لتوِّه على الأرض، ويجرب هذا العشب الندي تحت قدميه الصغيرتين..

صورة أخرى تليها «مهد» تتوسط مجموعة من النساء بإحدى ورشها التي كانت تقدمها للمتعافيات من العلاقات السامة، كتبت تحتها احصلي على المساعدة التي تحتاجين إليها لتجاوز أزماتك لا تترددي في طلب الدعم.

لماذا لم تفعلي ذلك؟ لماذا؟! ملأ محمود جدران مكتبه بصراخه، لماذا لم تطلبي المساعدة يا «مهد».. أنا كنت هنا جاهزًا ليتك نفذتي النصيحة.

وصل بالمؤشر لبوست نشرته «مهد» سبق أن قرأه هو قبل أن ينقطع اتصاله بها.

كتبت: لا يوجد أي شيء يجعلك تجبرين نفسك على الاستمرار في علاقة لا تقدم لك ما ترغبين في الحصول عليه.. إذا لم تجدي الشغف الذي تبحثين عنه اهربي.. انفدي بجلدك من أي شخص.. من أي شيء يسرق روحك ويحبسك.

Battanaili
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ولو كان الحبس داخل قفص ذهبي.. اهربي..

واجهي ضعفك بقوة تهزمه.. واجهي خوفك من الفشل.. أنت تستحقين حياةً تحبين نفسك فيها أكثر من كل شيء آخر.

لمعت عينا محمود، همس لنفسه هذه «مهد» التي أعرفها..

مستعيدًا كلام خالته الذي تأكد منه بنفسه، سرق عبد اللطيف اللابتوب والهاتف الخاصين بها، هذا البوست الانتحاري لشخص سرق هاتفها، هذه اللغة الحصيفة هي أبرز ما يميز الدكتور عبد اللطيف في أسلوب كلامه المقعر دائمًا.. ربما لهذا انقطعت «مهد» عن التواصل معه لمدة أسبوعين.

ربما حبسها أو أخفاها هي الأخرى أولًا لمدة أسبوعين، وحرمها من أي طريقة للتواصل ثم نفذ جريمته.

هذه الرسالة الانتحارية ليست لـ«مهد»، أبدًا ليست لغة «مهد» ولا طريقتها.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ثريا

ربما لولا حظر التجوال الذي تم فرضه على سكان القاهرة يومها قسرًا لحبوت على وجهي أهيم بشوارعها، أشعل النيران بكل شبر في هذه المدينة التي بدأت رحلة قبحها من بعدك، ولكني مع هذا أحبها.. أحب هذه الأرض.

ففوقها نشأتي وأنشأتيني يا أمي..

لا..

_ لم تكن لتهون على قلبي الأرض التي حملتك.

ما زال ترابها يحمل من آثار خطوات قدمك في كل طريق مشيتي فيه.

كيف أشرقت شمس أول نهار على الدنيا من دونك!

كان يجب أن تشعر بالخجل، كيف تتجرأ وتعود لإنارة الدنيا من دونك يا أمي، تصنع دموعي المتساقطة عليها كل يوم من ترابها صخرًا من أجل أن تترك لي سطحًا صلدًا يحتمل خطواتي بهذا العالم، التي صار عليّ أن أخطوها كطفلة يتيمة بلا أم.

حالة البوست «أونلي مِي».

أفلت هذا الرثاء عنق عبد اللطيف من حبل الاتهام، وأوسع دائرته الملتفة حول رقبته، لا يعقل أنه كاتبه، ضحكة مريرة لامست بالكاد شفتي محمود، متذكرًا ما يعرفه عن عبد اللطيف، همس لنفسه: ومن أين لبطيخة بهذه المشاعر أساسًا؟!

يتذكر محمود رواية «مهد» عن هذا اليوم؛ هي لم تفعل حتمًا شيئًا من خطتها السرية هذه..

(فبراير 1986)

كانت ما زالت في بداية عامها الخامس..

احتاج عبد اللطيف لبعض الوقت حتى يعيد ترتيب أوراقه، ويستطيع تعويض غياب ثريا عن الحياة..

ورَّطته بموتها المفاجئ..

كان يزور «البلد» لتحصيل إيجارات الأرض التي تملكها ثريا في قريتها بالدقهلية، ويحمل توكيلًا عامًّا بالتصرف فيها.

ووجد نفسه مضطرًا للبقاء هناك، غير مسموح له بالعودة إلى القاهرة.

لم يتمكن من وداعها للمرة الأخيرة، بسبب فرض حظر التجوال الذي تم فرضه بسبب ما عرف بأحداث الأمن المركزي.

ثلاثة أيام لا يعرف شيئًا عن مصير ابنته..

التي تولتها جارتهم «أم أحمد»..

لم تكن أبدًا صديقة ثريا.. تكره حذلقتها وكلامها المتواصل في السياسة.

ولكن هذا لم يمنعها أبدًا من البكاء عليها بكاءً حارًّا عوض غياب أمها وزوجها وأقاربها بالدقهلية الذين لم يستطع أيٌّ منهم حضور الجنازة..

كما لم يمنعها من حب «مهد» كما لو كانت ابنتها.. استعصى عليها نطق اسم «مهد»، ثم قررت أن تناديها بـ«مي»، حتى كبرت «مهد»

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وعرفت من المدرسة اسمها الحقيقي، وأصرّت على أن يناديها به الجميع، اعتبرته منحةً من أمها، تميزها وتذكرها بها.

تذكر «مهد» دائمًا هذه الحكاية بمزيد من الامتنان لخالتي أم أحمد.

لم يكن لثريا إخوة وبالتالي لم تعرف «مهد» سوى خالتها أم أحمد، أغدقتها بعنايتها، بل واعتنت بعبد اللطيف نفسه وبإطعامه في أحيانٍ كثيرة إكرامًا لها، ولخاطر حمدي أيضًا زوجها وصديقه.

هذا الجزء السعيد من الحكاية، إلى جانب الجزء الآخر المتسبب في كل مشاكل «مهد» مع أبيها، وهو كيف نقل عبد اللطيف كل أملاك ثريا لنفسه بالتوكيل الذي يحمله منذ هذا اليوم، تحكي «مهد» هذه الحكاية مرتين، مرة حين تريد مدح خالتها أم أحمد عرفانًا بجميلها عليها، ومرة حين تريد أن تشكي عبد اللطيف وتبرر رفضها للحياة معه وعداءها المستمر معه.

.....

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

الرسالة لـ«مهد»

بغيرها من الرسائل أخرى بذات اللغة الحزينة تحكي فيها «مهد» أسرارها التي لا تشارك فيها أحدًا، تخصصها دائمًا بالحالة «أونلي مِي» وإن بدت شخصًا آخر وكأنه لا يعرفها.

لا يمر أسبوع أو أسبوعان حتى تملأ التايملاين بالبوح الحزين.

سحب محمود شريط التايملاين إلى الخلف شهرًا كاملًا بحثًا بين جميع الرسائل المخفية..

ولا كلمة واحدة تشير لما حدث لها.. فقط بوستات كثيرة عن ضجرها بحياتها، وحلمها بترك كل شيء والهرب إلى واحة، وبدء حياتها من جديد.

كلام يمكن قبوله في أي ظروف عادية..

جميعنا نكره حياتنا وأعمالنا ومع هذا لا ننتحر.

زال إحباطه، ولمعت عيناه حين لمح أخيرًا وجودًا لنفسه في هذه الأجندة الإلكترونية السرية.

صورته معها.. الصورة من حفل خطبتهما ترتسم البسمة على وجهيهما، بينما يمسك بيدها وفي خلفيتهما «كوشة الفرح الأسطورية»، تغطيها أزهار التيوليب البيضاء وعقود اللؤلؤ الأبيض وشرائط اللمبات المضيئة.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه، واستعد ليقرأ ما كتبته عن الصورة لنفسها..

كتبت «مهد»: انظري جيدًا لهذه الصورة..

Baffandi
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

سترافقك هذه الضغطة على يدك لآخر عمرك.. سيظل يقبض بيديه الضعيفتين الخاليتين من كل شيء إلا من الدائرة الفضية التي يرسمها حول إحدى أصابعه، ويعتبر بها أنه امتلكك.. هي قبضة واهية يا «مهد».. قبضة تعيدك لـ«مهد» الفتاة التي رباها عبد اللطيف على جمود عقله، ووضعت قلبها أسفل قدميها لتعلو على مشاعرها لتحقيق المصلحة..

مهندس غني وسيم وابن عيلة.. برافو..

حسبتيها جيدًا يا ابنة عبد اللطيف..

ولكن يجب أن تعلمي أن هذه القبضة واهية لا تحكم على شيء فيكِ.. لا روحك ولا إحساسك ولا قلبك.. وخصوصًا قلبك.. هذا الذي طار بعيدًا رغمًا عن إرادتك.. ولن تقنعيه أبدًا أن دوائر فضية أو ذهبية تلتف حول أصابعنا يمكنها أن تحدد له ما يريد.

لا شيء بين هاتين اليدين يا «مهد».

لا حب ولا حلم ولا فهم ولا احتواء ولا شغف..

فاسحبي يديك من بينهما..

واهربي..

.....

حجر صلب مثل نيزك قادم من الفضاء ارتطم بداخله، مترنحًا بين عقله وقلبه اللذين يهويان معًا الآن، تجهم وجهه وقف جامد الأطراف لا يعرف كيف يمسك بيديه الخارجتين، كل هذه الأشياء اللا محسوسة التي تتدمر في هذه اللحظة بداخله..

ينقذ من؟ ويترك من؟

حبه لها، ثقته بنفسه وبها، دفاعه عنها وإشفاقه عليها، أم إعجابه بشخصيتها الثائرة على كل شيء التي حررته بجوارها وهي تخفي كل هذا الجبن والخداع.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

القضية

استطاع عبد اللطيف إقناع اللواء حمدي بقصته المختلقة لتبرير وجود هاتفها واللابتوب الخاص بها لديه، سحبهما منها بالقوة نعم، ووضعهما بشقة الدور الخامس عقابًا لسوء أدبها معها في الحديث، طردها من المنزل ولم يسمح لها باستردادهما وقد تركتهما فوق المنضدة بنفسها، تملك «مهد» في شقتها لابتوب آخر وأكثر من هاتف آخر فلم تتضرر ولم تبحث عنهما.

قال إنه فعل ذلك في لحظة غضب، ليريها أنه ما زال أباها وصاحب الفضل على حياتها، ويستطيع نزع كل شيء منها.

اقتنع حمدي بكلامه، خاصة أن «مهد» اتصلت تليفونيًّا بالحاجة زوجته أكثر من مرة بعد الحادث، أكبر الألغاز بالنسبة له ما سجلته التحريات عن اختفاء كل متعلقاتها من بيتها حتى ملابسها، ثم مطالبتها بميراثها، إذا كانت ذاهبة للموت، فلماذا كانت تطلب استرداد أموالها، الموت مجاني ومتوفر لا يحتاج لأموال لشرائه.

ظلم كبير ما فعله عبد اللطيف، لقد نقل ميراث أمها كله باسمه في طفولتها، وأذاقها مرارة بخله إلى جانب مرارة اليتم الذي عاشته، تركها تعافر في هذه الحياة لتثبت نفسها بكل الطرق، عاوده الحنين لـ«مهد»، اتصل بمحمود ليستفسر عن اختفائه المفاجئ، عادةً ما يجده منتظرًا بمكتبه يوميًّا قبل وصوله، يذيع عليه أخبار بوستات فيسبوك التافهة ويحاول تحليلها بسذاجته المضحكة.

نسخة غير مخصصة للطباعة

أصرّ محمود على مواصلة تهربه من اللواء حمدي، لم يعد ممكنًا مصارحته بالمزيد.

لا يخص الأمر الشرطة الآن في شيء، كما أن هدفه إسعاد خالته حين ينقل لها خبر عثوره على «مهد» حية بات سرابًا، الآن يحتاج لمن يبحث عن جثته هو..

......

صدمة يا محمود؟ قالت له أمه الشخص الوحيد الذي أمكنه أن يحكي معه..

لم يقل بالتأكيد كل شيء.

لا يهاوده عقله لتصديق أن هذا الكلام يخصه، ربما كانت تكتب قصة جديدة، تؤلف رواية، راح يبرر تصرفها أمام أمه..

سبق لها وأصدرت رواية..

ركيكة..

صحيح..

ولكنها كانت ألطف من كل ما كتبته على أي حال.. أو ربما هي تحكي عن شخص أو حب قديم في حياتها، قال لأمه مدافعًا عن الرصاص والقذائف المنطلقة من فمها تجاه سيرة «مهد».

لم يجد حجة تسنده في تفسيره أن يكون المقصود شخصًا آخر.

مر وقت كافٍ ليهدأ الانفجار الكبير الذي وقع للتو، أسبوع لم يرد فيه على اتصالات حمدي الذي افتقد ثرثرته لأول مرة، حتى أنه طلب من زوجته الاتصال به.

نسخة غير مخصصة للطباعة

أعادته خالته بطريقتها لخط سير القضية «تهون عليك يا محمود.. تنساها وتسيب حقها»، بينما يئست أمه من إقناعه بدعوتها المتكررة له بالعودة لألمانيا.

ولو يا أمي قال لها، أنا أعرف أن هناك جريمة، ويمكنني المساعدة في حلها وإعادة الحق لأصحابه.

ختمت أمه جدالها معه بجملتها المتكررة أيضًا بلا فائدة «طول عمرك مهووس بالشعارات الفاضية، براحتك».

استعاد هدوءه أخيرًا بعد الجري المتواصل الذي انقطعت أنفاسه فيه منذ اختفاء «مهد» ثم العثور على سيارتها ومشاركتها للبوست الذي قلب الدنيا من حوله..

ابنة عبد اللطيف.

ربما هذا أصدق ما كتبتيه حتى الآن يا «مهد»، إنتي فعلًا ابنته مهما حاولتي الابتعاد عن هذه الحقيقة، تعيدك جذورك التي ارتوت بمائه العطن إليه وإلى عالم الغش والخداع والفساد المستتر خلف ثوب الفضيلة.

وافق على إلحاح اللواء حمدي بالاستمرار في البحث بحسابات «مهد».

أنا قفلت القصة دي من حياتي خلاص، الحي أبقى من الميت معلش يا عمي، فقط لأجل خالتي ولأجلك قال، فرد عليه اللواء حمدي مبتسمًا لامتثاله المعتاد للأوامر بعد جدال مفتعل يخفي فيه رقة طبعه وطيبته «أومال، أكيد يابني تسلم ربنا يخليك».

عاد يناقش خيوط الحادث بذهن رائق يبحث عن الحقيقة دون تحيز..

أعاد قراءة البوست مرة أخرى، يرافقه كوب شاي دافئ لا هو حار يلهب حلقه المتعجل لنقل الكافيين لعقله، ليستوعب ما يجري ولا هو بارد بقدر مشاعره الجديدة نحو مصير حبيبته.

تذوق الشاي والكلمات على مهل.

إذن «مهد» صاحبة بوست الانتحار، وأكثر من ذلك هي أيضًا صاحبة بوستات كثيرة غيره تكرهه فيها وتكره نفسها وحياتها وتكره أباها.

أغلق دائرة الشك التي دوخته طويلًا، قائلًا لنفسه: بعد الازدواجية دي كلها «نتيجة منطقية أنها تنتحر».

أغلق فيسبوك واللابتوب بعد أن أغرقته صور «مهد» بذكرياته معها، وأغلق أبواب الشركة، مضى يجول بسيارته في الشوارع كعادته تطارده شظايا روحه بأسئلتها وتثير غبارًا يبكي عينيه رغمًا عنه.

لماذا يا «مهد»؟!

تكرهين أبوكِ مفهومة، تكرهين عملك ربما، ولكن لماذا أنا؟! لماذا كنتي تكرهيني يا «مهد»؟!

منذ البداية وهو لا يستطيع بلع أن أبًا مهما بلغ الخلاف معه يقتل ابنته.. عصبي وبخيل وفاسد نعم، لكن كما قالها لها من قبل، مش للدرجة دي يا «مهد»، دا أبوكي مهما كان، ولكنه سار مطمئنًا في طريقها، مقتنعًا بما تقوله دون أي شك كعادته معها.

سائلًا نفسه لو عرف عبد اللطيف بما كتبته «مهد» عني لحق له اتهامي بقتل ابنته؟!

Battanain PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تذكر كلام عبد اللطيف معها بكل مشاجرة حضرها معهما.

أنا ربيتك أحسن تربية، عمري ما بخلت عليكي بحاجة.

خاطب نفسه مضيفًا لهذا الزائر الجديد لعقله -ذكرى منصفة لعبد اللطيف- بتربيته الجيدة لـ«مهد».

أنا أيضًا لم أبخل عليكي بشيء يا «مهد»، تركت أهلي وحلمي وجلست بجوارك، أحقق أحلامك وأردد عباراتك وأهلل لنجاحك، لأجدني اليوم «كوسبلاي» صورًا تم محاكاتها من شخصياتك الوهمية التي ترسمينها لمتابعينك.

تذكر جملتها «هذه القبضة واهية لا تحكم على شيء فيكِ، لا روحك ولا إحساسك ولا قلبك، وخصوصًا قلبك».

غاصت عيناه داخل محجريهما لآخرهما محاولًا تهجئة كلماتها «سيظل يقبض بيديه الضعيفتين الخاليتين...».

أتعبته التهجئة، صرخ قائلًا: أنا حتى لا أعرف هذه اللغة التي تكتبين بها..

لم تبخل «مهد» عليه ببوست «أونلي مِي» ثاني مخصوص حول علاقتهما.

كتبت «مهد»: كيف هو الحال حين نضطر لمنح أنفسنا بالمجان لشخص لا يجمعنا به سوى صورة في برواز مذهب، هههه وكيف هو الحال حين تكون شخصًا لا يطيق البراويز المذهبة، لم تحن روحك يومًا بالأساس للتسمر فوق حائط مزركش، وإن كان لي أن أسأل نفسي الآن في هذه الجلسة الصريحة التي لا يشاركني فيها أحد سوى نفسي ماذا تريدين الآن، فسأقول بثقة: أريد كسر البرواز ومفارقة الحائط، أريد انهيارًا أصنعه أنا

بكامل إرادتي لكل هذا الزيف الملون، أريد أن أواجهه بالحقيقة..

هذا الذي يحسدني عليه كل شيء..

أنا لا أحبه..

أنا لا أحبه..

أنا لا أحبه..

....

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أم أحمد

لم يكن مجرد بوست انتحاري إذن.. كانت جلسات نفسية تجريها «مهد» لنفسها على حسابها الخاص، ولا تُطلع عليها أحدًا، ولكنها لم تكن لتفعل شيئًا من هذا، يقينه أنها في النهاية «مهد» الفتاة القوية الجدعة الحلوة، كما وصفها لأمه يوم قرر خطبتها.

وسط دموع يلين لحرارتها الحجر، حكت أم أحمد مرة أخرى ما حدث في المشاجرة إياها، سمعت «مهد» تصرخ وتجري أمامه بيدين فارغتين، للأمانة قالت ممتعضة لاضطرارها لتبرئة عبد اللطيف بنفسها، ثم أعادت معلوماتها عمَّا فعله بها هذا الوحش، أصوات أشياء تنكسر كان يقذفها بها ربما.. وكلامًا كثيرًا عن رفضه الاعتراف بحقها في ميراث أمها، وسبابًا لا نهاية له.

المسافة بعيدة بين شقتهم بالدور الأرضي وشقة عبد اللطيف في الدور الرابع، ولكنها تؤكد أنها سمعت كل شيء قاله لها.

مهد كمان كانت جامدة قوية وعصبية برضو استطردت أم أحمد بنبرة هادئة أكثر تخلصت من تشجنها وبكائها السابقين لتكمل حكايتها على مهل «هي الصراحة شتمت كتير برضو، قالت له أنت حرامي وأنا هفضحك وهوديك في داهية».

تعيد الحكاية لمحمود في كل زيارة يزورها لها، تفاصيل ما بعد ذلك معروفة لمليوني شخص المتابعين لـ«مهد»، البلاغ المعروف للجميع الذي قدمته

Battanalii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

«مهد النادي» الإنفلونسر المشهورة في النيابة تتهم فيه والدها الدكتور عبد اللطيف أستاذ علم النفس المعروف بالاستيلاء على ميراثها بطريقة غير شرعية ومطالبتها بالتحقيق في مصدر ثروته الكبيرة.

عاد محمود لمواصلة عمله بجدية ناويًا تعويض ما فاته بسبب انشغاله بحادثة خطيبته يرتدي في كل يوم بذلة رسمية أنيقة كعادته، بعد أن أرسلت له والدته حقيبة ملابس كاملة، واشترى ما يحتاج إليه بما يكفيه لفترة إقامة طويلة في مصر، يوضب شعره بما يليق بمظهر الرسمي.. يمكث في مكتبه وحيدًا بعد انتهاء العمل ومغادرة الجميع فترات طويلة يتابع فتح حسابها ومحايلة الإنترنت المتقطع في تحميل المنشورات القديمة.

لا جديد.. المنشورات الكثيرة التي يعرفها جيدًا عن اجتذاب الطاقة الإيجابية من خلال البعد عن «التوكسيك بيبول»، واتباع الخطوات السبع التي وضعتها للتخلص من الطاقة السلبية..

استلقِ إن كنت واقفًا، وقف أن كنت مستلقيًا، تنفس بعمق، أغمض عينيك، مد أطراف جسدك لآخرها، استحضر صورة لسماء مفتوحة أو أرض خضراء واسعة، أبدأ العد التنازلي، وأخيرًا ابتسم.

وجد محمود نفسه يطبق النصائح لا إراديًّا.. شعر ببعض الراحة فعليًّا وزادت ابتسامته حين صادف بين المنشورات صورًا لأحد الكامبات، كان قد حضره معها.. اعتادت «مهد» تنظيم هذه الرحلات دائمًا مرة إلى قرية تونس بالفيوم، ومرة إلى الواحات البحرية لتجربة حياة العزلة والهدوء والبعد عن الإلكترونيات، وصخب المدينة.

Battanaili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

صور للصحراء السوداء والبيضاء وللجبال بالواحات، ولشلالات المياه، وبحيرة قارون بالفيوم.

لفت صفاء ذهنه بفعل الريلاكسيشن والصور انتباهه إلى علامة الماسنجر بأعلى الأكونت..

الرسائل؟!!

كيف لم يفكر في فتح رسائل الماسنجر.. كنتي رائعة حقًّا يا «مهد» في تحويل دفة القلوب بأبسط طريقة.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ماسنجر

عدد كبير من محادثات الماسنجر مع حاتم صِدّيق صاحب شركة الأدوية التي كانت تعمل بها قبل تركها لمجال الصيدلة، ومشرفها على رسالة الماجستير قبل أن تتخلى عنها أيضًا.

سحب شريط الرسائل للأسفل بشكل عشوائي محاولًا التقاط المعلومات من المنتصف ومن النهاية.

محايلات من «مهد» لإقناعه بمشاركتها، كتبت أنها ستدفع له كل الأموال التي ستحصل عليها من أبيها لإنقاذ شركته من كبوتها..

آآه يا «مهد».

ألهذا كان إصرارك على استرداد الميراث!!!

تأكد لمحمود شكوكه في جدية الخلاف هذه المرة بينها وبين عبد اللطيف، هذه المرة لم تكن مطالبة «مهد» بميراثها مجرد مطالبة عادية.

خطط ومشروعات تحتاج إلى الأموال بشكل عاجل وحقيقي، يبدو حاتم من ردوده رافضًا بشدة لقرارها، يعترض باستمرار على عرضها، ولكن واضح أيضًا من المحادثات أنه وافق بالنهاية، كان الاتفاق النهائي بينهما أن تنتهي أولًا من مشاكلها مع عبد اللطيف، ليعيدا التشاور في مسألة المشاركة في العمل.

لمح اسمه بين أسطر المحادثة الطويلة التي انتهت قبل وفاتها بأسبوعين، تحديدًا اليوم الذي توقفت عن مراسلته هو أيضًا فيه، وإن كان لا يستطيع

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حتى الآن تحديد أولها، يضغط علامة «تحميل المزيد من الرسائل» وينتظر بفارغ الصبر ليعرف ماذا هنالك..

وأخيرًا التقط اسمه «محمود».

خلاص مبقتش قادرة استحمله، ابتلع محمود ريقه مع الجملة ليعاود سؤال نفسه كان يكفي أن تقولي لي ذلك، هل حكيتي لآخرين أيضًا؟!

مرة أخرى أسطر متلاحقة من المحادثة عن عدم ارتياحها لعلاقتها به، وحيلتها بإقناعه بالسفر لألمانيا ليترك لها مساحة تفكر فيها.

يرد حاتم دائمًا ردودًا مقتضبة.

«فكري كويس.. شوفي مصلحتك.. خدي القرار اللي يريحك.. فجاء رد «مهد» الحاسم لكل شكوك محمود».

أنا خلاص هفسخ الخطوبة، مهدتله الموضوع وهبلغه بالقرار.

تصلبت يد محمود على مؤشر اللابتوب.. هذه المرة لا يوجد ما يتحطم بداخله، لا مجال ليخدع نفسه بأن هناك آخر مقصودًا غيره، هذه ليست قصة جديدة ولا حتى إحدى رواياتها الركيكة.

تركت عيناه الشاشة لتتابع مع خلايا عقله وقلبه الحوار المؤجل بينهم جميعًا..

هذا إذن هو القرار المؤجل الذي كانت تنوي مفاتحته به؟!

استعاد محمود عبارات أمه المعاتبة له عن طيبته المبالغ فيها، وعن قلبه الضعيف الذي يورطه في هذه الزيجة.

فارقت عيناه قلبه وعقله وانعزلت لتسيل الدمع المحبوس بداخلها منذ قرأ رسالتها الأولى، راح يخاطب صورة مهزوزة لمهد ما زالت تتراقص أمامه بابتسامتها الواسعة ذاتها وعينيها اللامعتين دومًا.

كنت أحبك يا «مهد».

كنت أحبك حقًّا.

لطالما ساعدتك وساعدتيني أنت أيضًا، لطالما استوعبت جنونك وحماقاتك بطيب خاطر.. علمتك عن الحلم وعلمتيني القوة، علمتك كيف يكون للإنسان قضية وعلمتيني كيف يكون له أظافر حادة ليدافع عنها، لوقت طويل ظننت أننا نشكل ثنائيًّا رائعًا من المثالية والشطارة، فلماذا لم تعتبريني حتى ذلك الصديق الذي كنتي تحلمين معه بالمستقبل وتحكي لي أنا أولًا..

كنت دائمًا معك أحقق أحلامي، ظننتك أنتي أيضًا تحققين حلمك معي..

فعلت معك ولأجلك كل شيء.. السوشيال ميديا والورش الأونلاين حتى تحضير الكامبات، والشركة التي أسستها بناءً على اقتراحك وأغلقتها بناءً على قرارك أيضًا.

كيف هبطت أنا من قائمة أصدقائك الذين تشاركينهم أسرارك على الماسنجر..

لم تبقيني ولو صديقًا يا «مهد»!

كنت أنتظر منك سرًّا واحدًا من كل هذه الأسرار التي وهبتيها عن طيب

Battanaiiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

خاطر لرجل لا يربطك به سوى أنه سيشاركك في العمل، ليتك حكيتي لي أنا يا «مهد» ربما كان بإمكاني مساعدتك.. ربما استطعت إنقاذ حياتك.. كنت سأتركك بعدها تعيشين حياتك كما تريدين ولو مع غيري.

صدقيني أحببتك إلى هذا الحد.

فقط كنت أتمنى لو أن تعيشي ولو مع غيري.

كفكف دموعه التي أغرقت لوحة مفاتيح اللابتوب، عاد للمؤشر الجانبي يغالب وجعه من أجل أن يعرف كيف انتهت هذه المحادثة بينهما.

تحركت الكلمات أمامه كشلال جارف على الرغم من ضيق المساحة الصغيرة لصندوق الرسائل تهدم كل ما تبقى مما جاء من أجله إلى هنا.

اهدئي يا «مهد»، فكري مرة أخرى.

أنا لا أحبه يا حاتم، شخص لا يفهمني.. يسرق روحي وعقلي معًا، إذا بقيت معه لا أجد الحماسة حتى لأعد كوبًا من الشاي..

أتفهمني يا حاتم!

أتفهم كيف يصيبك شخص بالبلادة بوجوده لدرجة ألا تجد رغبة في النجاح في فعل شيء بسيط ككوب شاي.

ومن هو حاتم ليفهمك؟! ردد محمود من بين دموعه التي أغرقت أزرار اللابتوب.

Battanaili
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حاتم

ردت «مهد» غيابيًّا من مخبئها، أتريد معرفة حاتم من خانة رسائل الماسنجر الذي يفوق نهر النيل العظيم في طوله، أم من منشورات «الأونلي مِي» التي راح يبحث عنها بجدية تفوق ملل بطء الإنترنت الذي يجعله يزهد بعد واحدة أو اثنين على الأكثر منها؟!

وكأنها هنا أمامه تقف لتخرج لسانها له، تسأله هذا السؤال الذي كان في غنى عن الحصول على إجابة عنه.

في صندوق الرسائل مشروعات وخطط وأحلام وطموحات مشتركة..

متفقين..

متفقين تمامًا كلاهما..

متفقين على كل شيء تقريبًا..

تحكي معه أدق تفاصيل حياتها وأسرارها لأول مرة يعرف محمود معلومات مثل كم تربح من الصفحة وقناة اليوتيوب، علاقاتها بشركات الإعلان التي تتعامل معها..

حاتم هو من يقول هل توافق أم ترفض..

ويمليّها بعضًا من موضوعات منشوراتها، وكثيرًا من المعلومات التي تقدمها، هو من يبحث لها عن آخر الأبحاث العلمية لتقدمها بطريقتها.

تتركه «مهد» في صندوق الرسائل لتستكمل حديثها عنه في منشوراتها الخاصة..

Battanalii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تحكِي وتحكِي وتحكِي كشهرزادٍ عاشقة بلا ملل..

عن صاحب العيون القوية الذي أرداها قتيلةً هواه، بطلّته البهية..

تحجرت بقايا الدموع وبقايا كل مشاعر ناحيتها بداخله..

أيقن محمود أن كل شيء بينه وبين «مهد» انتهى أو بمعنى أصح كان بالفعل منتهيًا.. كل ما كان يتمناه الآن هو لو أنها كانت تعجلت في مصارحته قليلًا، وكشفت له سرها هذا في آخر اتصال بينهما، لوفرت عليه مشقة هذه الفترة الطويلة من التعب..

ليتك صنعتي فيّ هذا الجميل على الأقل، كنت سامحتك الآن، كنت سأحزن عليكِي أيضًا، ولكن ليس هذا الحزن الذي ورطتيني به.. إنتي صديقتي التي لملمتني من بين طرقات هذه العاصمة التي لا أعرف فيها شيئًا سوى أن قلبي يهيم بين زحامها بحثًا عن شخص واحد من كل هذه الجموع يحتويه ويطمئنه ويخبره أن له بيتًا يمكن أن يعود إليه وقت الحاجة.. ووطنًا يثور ويخلص من أجله.. جئتها حالمًا بفعل كبير للوطن وللشعب وللتاريخ.. فانتهيت بين يديك أحلم بالمكسب والتجارة والنجاح والشهرة.

لم يكن حلمي بك هينًا، كان كل ما تبقى لي من الأحلام العريضة، كان ما أملكه من زاد لرحلتي هنا، كنتي انتصاري الوحيد..

لن أنسى لك كيف أعدتي تكويني وترتيب أحلامي الصغيرة منها والكبيرة، الحقيقية والمزيفة..

حلمت معك من أجل نفسي لأول مرة ربما..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE نسخة غير مخصصة للطباعة

ما عرفت الأحلام الخاصة قبلك أنا أعترف..

استندت عليكي -لا أنكر أيضًا- لتحقيق أحلامي.. حولتيني لهذا الفتى المستوفي للمواصفات المناسبة لفتاة مثلك..

ونجحت..

بالفعل نجحت.. بفضلك نجحت..

صورتك بجواري وحدها كانت كافية لمساعدتي في ذلك.

وأنا لست جاحدًا أو ناكرًا للجميل يا صديقتي.

صفق محمود لهذه المرافعة العظيمة التي ألقتها روحه، فقد ساعدته كثيراً ألا ينجرف لزوبعة الكره والغضب التي لفته للتو، وأبقت على هذا الفتى النقي السريرة الباحث عن الحق والعدل ولو في قضية كان هو ضحيتها.

استعاد ذكرياته عن لقائه الأول مع «مهد» بنهاية ثورة يناير، كان خارجًا للتو من مكتب اللواء حمدي بعد استجوابه للمرة كم لم يعد يحسب؟ أصبح زبونًا وصديقًا لحمدي، قال له حمدي مرة مازحًا «أنا حاسس إنك بتنزل المظاهرات عشان تيجي تسلم عليّا والله».

كانت «مهد» في زيارة لعمها أيضًا اصطدمت به عن غير قصد، وحدث ما يحدث في الأفلام الكلاسيكية كلها رفع عينيه ليصطدم بعينيها ويقع في غرامها.

جذبها هو أيضًا بلكنته الغربية، ومظهره اللطيف وعينيه الرماديتين وشعره البني الفاتح اللتين تأتيان به إلى هنا كمشتبه به كلما التقطته الكاميرات واقفًا أو مارًّا بجوار مظاهرة.

Battanaiu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أقنعته بالابتعاد عن جو المظاهرات والالتفات لحياته الخاصة وتأسيس شركة متخصصة في الكمبيوتر «مجاله».

قالت له، كلنا نزلنا في اللجان الشعبية وعملنا اللي علينا على الرغم من أن المظاهرات كان ممكن تقف ويوافقوا على 6 شهور كمان للريس، لكن نعمل إيه بقى في بتوع الأجندات مُصرّين يحولوها لسوريا والعراق، اللي بيحصل دلوقتي دا مؤامرة، شوف مستقبلك وسيبك من الجو دا..

كانت هي أيضًا قد بدأت نشاطها على السوشيال ميديا في اللايف كوتشنج وتوطدت علاقتهما من لقاءاتهما الكثيرة ومحادثاتهما، لمساعدته لها في إدارة صفحتها ومساعدتها له في جذب عملاء جدد لشركته.

أنهى محمود حواره الداخلي، وبطيبته المعهودة خاطب خيالها الذي ما زال يتراءى أمامه باسمًا، سأكتفي بكونك كنتي تحملين نية طيبة لمصارحتي، سأسامحك، لأجل هذا الشخص الذي يقف أمامي في مرآة شركته الخاصة.

انضبطت حياته كثيرًا بفضلها وبفضل سُمعة والدها على الرغم من كرهه له وبفضل توطيد علاقته باللواء حمدي، لم يعد زبونًا للأقسام، وإنما طرف في كل الإيفنتات والكامبات وصديق للعديد من المشاهير والشخصيات المهمة.

حقق نجاحًا كبيرًا وربحًا لم يكن يتخيل تحقيقه في مصر، قالت والدته مرة ضاحكةً لو نعرف إنك هتكسب كدا مكناش هاجرنا.

أغلق اللابتوب، أغلق أبواب الشركة، ومضى بارتياح لا يلائم كل ما قرأه عن نفسه، ربما هو الألم الذي يخلصنا من الوهم، هكذا يكون مريحًا مثل مذاق الدواء المرّ ووخز إبرته المدببة.

شكرًا يا «مهد».

راحت نفسه تعيد كل مشاهد علاقته بها وتكشف له في كل مرة وجهًا آخر لما كان يظنه ذكريات سعيدة.

المرات التي انتظرها فيها ولم تأتِ، والمكالمات التي طلبها ولم ترد.. كان يصبر كثيرًا مقنعًا نفسه بكونه خطيب «مهد» النادي «مش أي حد» قال لها في مرة مازحًا أشعر أني أمثل دور المرأة الزنانة في علاقتنا؛ فأنا من يذكرك دائمًا بيوم خطوبتنا ويوم لقائنا، بينما تنسين أنت حتى ارتداء خاتم الخطبة.

ضحكت ضحكةً أسعدته وقتها، لكم كان يحب إسعادها، ولكنه يذكر الآن أن ضحكتها هذه لم تخلّف أي فارق في تصرفاتها المتجاهلة له دائمًا.

شكرًا يا «مهد».

يقولها لنفسه في كل خطوة يسيرها على قدميه وصولًا لمنزله القريب من الشركة، مستشعرًا أنه يشفى من جرح طويل ربطه بجذور لا تمدّه بزاد ولا ماء، جف ريقه في هذه العلاقة، شكرًا لك يا «مهد».. أنقذتيني..

شكرًا يا «مهد»..

.....

يعني إيه يابني مش عارف لا ماتت ولا انتحرت، قالت أم أحمد بلهجة وملامح جمدهما الحزن والفزع.

في طريقه لبيته، مَرّ بمنزل اللواء حمدي، أخبره في حضور أم أحمد أن كل ما وجده من متابعة حسابات «مهد» لا يؤكد أنها انتحرت، أو قتلت.. لا يعرف ولن يستطيع البحث بعد ذلك.

Baffandi PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لا يمكن تكون انتحرت.. بعد كل هذه الخطط الواسعة التي كانت تعدّها، لو كانت تريد الانتحار لأتمت زواجها مني على الأقل.. ضحك بينه وبين نفسه وكأن الدعابة لا تخصه، غير أن هذه القضية أيضًا لم تعد تخصه.

لا يصدق أنها انتحرت، ولا يجد دليلًا لشيء آخر.. ولا حل الآن سوى أن يعلنها أن هذا البحث خارج نطاق قدراته، قرر أن يخرج بنفسه من هذه القضية الخاسرة.

مش مهم يا خالتي.

كان عندها مشاكل كتير ومشيت بقى ولا هو اللي مشاها.

أبلغهما بقراره العودة لألمانيا، وأن القصة كلها لم تعد تخصه في شيء، ارتمى في حضن خالته مودعًا لآخر مرة، أغرقت دموعها ملابسه، أفسدت بحرارة بكائها بذلته، غير أنه لم يجد دمعًا جديدًا يشاركها به.

سامحيني يا خالتي.. البقاء لله..

قال وتركهما مودعًا.

ألهت جمل محمود المبهمة حول احتمال قتل «مهد»، وتفاصيل المشروعات التي كانت تخطط لها وترغب في استرداد ميراثها من أجلها اللواء حمدي حتى عن محاولة تهدئة زوجته، ذهب كلاهما لنوم قطعته كوابيسها وأفكاره..

أبدًا لم تكن ليلة هانئة.

طاردتها أيضًا أصوات تحريك عبد اللطيف لأثاث البيت الذي كانت تضمه الشقة المغلقة باسم «مهد».

Battanuni PUBLISHING HOUSE نسخة غير مخصصة للطباعة

اتصل به حمدي مستفسرًا عن سبب الضجة، فأجابه أنه قرر بيع الشقة بدلًا من تركها مغلقة هكذا.

دي شقة بنتك قال حمدي..

الله يرحمها، خسارة قفلتها كدا..

قال عبد اللطيف منهيًا المحادثة.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حلم جديد

كنتي تعانين في صمت.. الله يرحمك يا «مهد»..

ألم ننته بعد.. صاح محمود مزمجرًا حين رأى آخر بوستًا لرشا تعيد مشاركة واحد من منشورات «مهد» القديمة وصورة يظهر فيها محمود معها.

تذكر أنه يحتفظ برقمها منذ آخر مرة التقيا في العزاء، تحدثا قليلًا وأعطته رقمها ليتصل بها إذا ما احتاج إلى شيء.

لا يحتاج إلى شيء الآن منها سوى أن تتوقف عن فتح هذه السيرة وإقحامه فيها بأي شكل.

اتصل بها معاتبًا ومتوعدًا إياها إن نشرت شيئًا يخصه مرة أخرى.

وما الذي قد يضايقك في صورة كهذه؟

ليس شأنك أنا حر.. لا أريد نشر أي صور تخصني على الإنترنت.

تمام يا باشمهندس أمرك، أنا مكنتش أقصد أزعلك والله، سامحني افتكرتك هتفرح بصورتنا كلنا سوا.

هدأت ثورته وراحت كل الكلمات الغاضبة التي كان ينوي قذفها بها من حلقه..

إنتي مهاودة كدا ليه؟ قال لها بهدوء يضاهي نبرة صوتها الخفيضة.

ردت ضاحكةً، أنا طول عمري مبحبش الجدل والمشاكسة مش طبعي، والصورة خلاص اتمسحت نهائي من على فيسبوك..

افتح اتأكد بنفسك.

فتح محمود الحساب لم يجد الصورة، غير أنه كان قد حفظها في هاتفه.. فتح الصورة وتأمل «مهد» مرة أخرى تحمل علم مصر في يدها وتحيط رقبة حاتم بيدها الأخرى.

يذكر هذا اليوم جيدًا، كان حاتم هو صاحب فكرة النزول للاحتفال بنجاح ثورة 30 يونيو، اتصلت به «مهد» وببنات عمها في تصرف نادر منها أن تبدأ هي بمكالمتهم.. أصرّت على الجميع بالمشاركة حتى أبيها حتى أم أحمد حملتها على الرغم من وجع ركبتيها، اصطحبتها على كرسيها المتحرك..

لماذا يا «مهد» تفسدين مرة أخرى كل ذكرى كانت بيننا؟

حتى هذه اللمة، وهذه الفرحة المطلة من وجوه الجميع كانت مفتعلة، لا يحتاج لجهد كثير الآن ليعرف لماذا كان حاتم وقتها يتوسط الصورة، كان كل ذلك قراره هو، كما كان يقرر لها كل شيء في حياتها.. كيف لم يرَ سوى الآن أنها تركته واقفًا بمفرده في طرف الصورة والتصقت هي به في وسطها، لقد أفسدت ألمانيا حاسته الشرقية كرجل يعرف متى يغار على أنثاه حتى إنه كان يحتفظ بهذه الصورة في قائمة صوره المفضلة.

أغلق الهاتف، وراح في نومه العميق مؤجلًا البحث ليوم آخر.

في اليوم التالي.. استرد تسريحته المنمقة أمام المرآة، وارتدى قميصًا أنيقًا يليق بدعوة الحاجة أم أحمد التي هاتفته على الرغم من غضبها منه، امتثالًا لرغبة رشا لتدعوه لتناول الغداء معهم في اليوم التالي بمناسبة عودة نرمين أختها وزوجها محمد ابن الحاجة واللواء حمدي من السفر.

استقل سيارة أوبر غير متحمس لبذل أي مجهود في طريقه لهذا البيت مرة أخرى، طرق باب شقة اللواء حمدي ليفتح له محمد ابنها الذي عاد من السفر لتوِّه لتقديم واجب العزاء.

البيت مزدحم لآخره، وإن كان لحسن الحظ عبد اللطيف غير موجود.

فقط اللواء حمدي والحاجة، ومحمد ونرمين وأطفالهما الذين يعيشون بالكويت، وهناك أيضًا رشا.

ما هذا الحظ السيئ، قال لنفسه.

هو يحتمل وجودها على الإنترنت بالكاد.. وبالكاد يردّ على رسائلها التي تلاحقه بها منذ وفاة «مهد».

تولت رشا إدارة الجلسة كلها، وتحديد المشروبات التي سيختارها كل شخص نيابة عنه.

تشرب إيه يا محمود؟

قهوة.

قهوة ليه يا عم العزا خلص، هعملك عصير كيوي بالليمون، أنا مجهزاه مخصوص بنفسي عشان محمد ونرمين.. جايين من الخليج بقى يا سيدي مش هيرضوا بالبرتقال بتاعنا ضحكت مجاملةً لنفسها.

بينما انسحبت أم أحمد، جلست بركنها المعتاد على كنبتها البلدي المريحة التي أصرّت على عدم تغييرها على الرغم من تغيير أثاث البيت كله منذ انتقالهم لهذه الشقة بحدائق الأهرام، تاركين إمبابة وأيامها «الجميلة»..

Battanalii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وأمامها التلفزيون 50 بوصة شاشة مسطحة، أحسن حاجة جبتوهالي كما تقول لمحمد ونرمين في كل زيارة لهما للقاهرة، انشغلت بمتابعة المسلسل الهندي، وانشغلت نرمين مع أولادها.. وحيث إن محمد هو آخر شخص يمكن أن تدير معه حوار بأي موضوع، هو بالكاد يرفع وجهه من هاتفه المحمول.. استسلم لإدارة رشا للجلسة.

يعلم ولاء عائلة عبد الهادي أخو عبد اللطيف الكبير له.

نرمين ورشا بنتا عبد الهادي اللتان رباهما عبد اللطيف في غياب أخيه وسفره الدائم، ومحمد الذي لا يكاد يمت بصلة لأسرة اللواء حمدي وزوجته بطيبتهما وحلاوة عشرتهما.

بالكاد هو يمت بأي صلة لهذا البيت أو الشارع أو الحي أو البلد كلها.. يتعمد تحويل لهجته لتقترب من اللهجة الخليجية، ويتعامل مع الحياة خلال فترة إجازته السنوية القصيرة كسائح مندهش.

عندكو هنا الشوارع زحمة أوي.. عندكو النت بطيء جدًّا.. عندكو السجاير مضروبة عندكو.. عندكو.. عندكو..

أمام كل هذه الاتهامات التي لا يجد لها محمود ردًّا باعتباره قضى فترة حياته الكبرى بألمانيا.

ليتني أملك ذكريات عن كيف حدث كل هذا لأحكي لك، يرد باقتضاب.

فيفرغ محمد فاهه تقديرًا لخبرة محمود الطويلة في ألمانيا، ويبدأ حديثًا متملقًا يعرفه محمود جيدًا عن رغبته في التقديم للهجرة إلى ألمانيا.

Ballanadiiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حاضر أنا راجع قريب أوعدك مش هنسى.. قال محمود ثم غير مقعده ليصبح قريبًا من رشا التي لا مفر أمامه من الاستسلام لها، فهي أفضل الخيارات المطروحة أمامه.

على عكس توقعاته، اندمج في حواره معها حتى امتدت به السهرة لمنتصف الليل..

لم تفتح رشا سيرة «مهد» من قريب أو بعيد كما توقع، بينما تحدثت في كل شيء بالحياة، من الطبخ إلى التكنولوجيا، مستعرضةً مهاراتها في كل شيء تقريبًا..

معلوماتها سطحية، وبعضها ينم عن جهل، وكثير منها مجرد أكلشيهيات يرددها الغوغاء.

تعرف أن فيسبوك بيراقبنا، بيرصد كل تحركاتنا، لو بس فكرت في حاجة تلاقي إعلان طالعلك عنها فورًا.

لا يدري ربما بدافع الملل راح محمود يتأمل شكلها وملابسها للمرة الأولى.. قابلها مرات سابقة في خطبتهما، وفي مناسبات قليلة جمعتهما، ولكنه لم ينتبه أبدًا لشكلها.. ربما بفعل تحذير «مهد» له بالبعد عن بنات عمها، وخوفًا من رد فعلها إذا ما شعرت بأي اهتمام منه ناحيتها وربما بفعل نحافتها المفرطة.

نحيفة جدًّا، بلا أي تفاصيل أنثوية أشبه بمستطيل طويل، ومع هذا فنحافتها هذه ساعدتها على أن تبدو أنيقة في ملابسها الرياضية التي ترتديها بلا مكياج، ومع حجابها المنسدل بشكل عشوائي، بدت بسيطة بشكل راقٍ، لم يجد ردودًا كثيرة على أسئلتها التي أمطرته بها.

Battanaili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

نتخلص ازاي بقى يا باشمهندس في رأيك من مراقبة فيسبوك؟ أنا لا يمكن أحط صوري أبدًا، بتحب الموز أقشرلك؟ أجبلك كيك؟ أعملك عصير تاني؟ ولا إيه معجبكش!!

ها أخيرًا هناك رد.. التقط محمود أخيرًا أنفاسه.

لا، بالعكس رائع تمامًا كالذي يباع بأكبر المطاعم.

انطلقت في شرح الوصفة السحرية التي تحضرها بنفسها، أربع حبات من الكيوي، معلقتان من العسل، معلقتان من الآيس كريم، كوب من الحليب، وعصير الليمون.. رفعت صوتها في لهجة تنبيهية والثلج اوعى تنسى الثلج، أهم حاجة مكعبات الثلج.

ازداد صوتها الهامس رقةً وخفوتًا، قائلة: أنت مين بيطبخلك يا محمود؟ كل السنين دي لوحدك ومتعلمتش تطبخ؟ ضحكت لنفسها، واستطردت في وصف نصائح الطبيخ، ثم نصيحتها له يا عم لو منك كنت رجعت ألمانيا حد يسيب ألمانيا ويجي يعيش هنا.

بدا محمود أكثر انطلاقًا في الإجابة عن أسئلتها مع الوقت، ولم يعد ممكنًا أن يتجاهل قدرتها الخارقة على سحبه في الحوار.

شبك يديه الاثنتين معًا في خجل، وأجابها أنا بعرف أطبخ جدًّا، بالعكس بحب جدًّا أعمل أكل..

- بجد؟، ردت رشا.

- جتلي في ملعبي، أنا كمان غاوية طبخ طول عمري.

بادلها حماسها في الحكي وراح يحكي كيف يوزع حياته بين مصر وألمانيا.

Battanalia PUBLISHING
نسخة غير مخصصة للطباعة

- يااه، يا بختك ردت رشا بتنهيدة عميقة أنا بحب السفر جدًّا، متتصورش كنت ببقى مبسوطة ازاي لما بابا يبعتلنا نسافرله الكويت.

......

هل يعقل أن تكون رشا محقة.. ومهد مختلة نفسيًا فعلًا كما تصفها دائمًا؟!

سائلًا نفسه في طريقه للعودة سيرًا على قدميه لمنزله، تأخر الوقت ولا سيارات أجرة تمر بالمنطقة.

كان مفروض الحدايق تبقى كمبوند محترم والله يا بني، قالت له رشا التي خرجت تودعه لباب العمارة، الحمد لله إن ماما صممت نسكن في الرحاب ونسيب شقتنا في العمارة هنا مقفولة..

رفعت بصرها للأعلى قاصدةً شقتهما بالدور الثاني التي كانت قد كتبها عبد اللطيف باسم أخيه وانتهت بزواج محمد ونرمين فيها في صفقة عادلة بين كل الأطراف، رفع محمود نظره تلقائيًا ليصل للطابق الخامس أيضًا، حيث شقة «مهد» المغلقة، لمح لافتة «للبيع» المعلقة عليها..

أعاد نظره لوجه رشا ليودعها، سألها باهتمام متزن:

- إنتو بتبيعوا الشقة؟

ضحكت رشا، أنا عارفة كان مفروض تكون شقتك لو كملت الجوازة.

الله يرحمها، عمومًا كل شقق العمارة بيتك يا باشمهندس، تعالَ اتفضل أي وقت..

Ballandiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تخرجت رشا في كلية السياسة والاقتصاد، ومع هذا فهي شاطرة جدًّا في علم النفس، كما تقول تأثرًا بعمها عبد اللطيف، تتقن تحليل الشخصيات، إنت شاب انعزالي بطبعك، وانطباعي شوية في آرائك عن الناس يا محمود، قالت له في وقفتهما الطويلة قبل أن يغادر.

هناك شيء من المنطق في كلامها، يستطيع محمود الآن مصارحة نفسه بأشياء كثيرة جهلها عمدًا عن شخصيته، منها أنه انعزالي لم يعتد يومًا على التجمعات والصحبة واللمة الكبيرة، اعتاد مصاحبة أفكاره بلا مناقشة، يراها فوق الحيطان ومعلقة على الأبواب وتحت سريره حتى تصير مشهدًا اعتياديًّا متكررًا، يلتقطها صباحًا من شماعة دولابه ليرتديها كثيابه ويمضي بها في طريقه.

خلع مع ملابسه في هذا اليوم آراء انطباعية كثيرة، وكمن يطلي جدران قلبه استعدادًا لاستقبال مناسبة سعيدة، استرجع تفاصيل علاقته بـ«مهد».

«أونلاين».

معظم الحوار بينهما كان من خلال الواتساب أو الماسنجر لا فرق بين فترات سفره لألمانيا أو وجوده في مصر، مع انشغال كل منهما الدائم بأعماله كان الهامش المتاح للقاء أيضًا ضيقًا.. ضيقًا جدًّا.

استقبل عقله زوارًا جددًا يملؤون ذاكرته منذ العشاء إياه في بيت الحاجة واللواء حمدي.. بدت الشقة الرحبة وقتها مثل بيت ألعاب ملون وصغير تأثرًا بامتلائها عن آخرها بالحياة، أطفال نرمين يجرون في كل مكان،

Battanaiij PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وأحمد الذي نادرًا ما يظهر في الاجتماعات العائلية، وقد جاء ليلحق بالجلسة في وقت لاحق، وإن كانت زوجته لم تأتِ كالمعتاد..

وكذلك رشا تتحرك بينهم بخفة بأطباق الحلوى والعصائر والمسليات.

كان ينوي قضاء السهرة بكاملها مع الحاجة، يودعها بشكل لائق أكثر من المرة الماضية، انشغلت عنه حد الإهمال المتعمد كلما ناداها لتجلس معهم بالمسلسل الهندي، ثم لاحظ من بعيد أنها استغرقت في نوم طويل.. لا يتجرأ أحد على إيقاظها.

لما بنصدق تنام هكذا قالت رشا عندما طلب منها أن توقظها لتشاركهم اللمة، وبدلًا من ذلك قامت بنشاط لإحضار بطانية لها ووضعها على قدميها وخفض صوت التلفزيون لتساعدها أكثر على الاندماج في النوم.

ياه، أشكرك، قال محمود.

أنت لا تعرفين كم تتسبب الموسيقى الهندي في خلق التوتر داخلي.

ضحكت رشا وأنا كمان.

استكملت كلامها نعمل إيه بقى ماما بتحبها أوي.

الواحد لازم يستحمل أي حاجة عشان اللي بيحبهم.

انتهت الجلسة بظهور عبد اللطيف المفاجئ، لم يستطع إخفاء انزعاجه بوجود محمود.

انفجر فيه، إيه جابك هنا، اختفي بقى من حياتنا.. حاول حمدي الوقوف بينهما قبل أن يتطور الشجار، خاصة عندما اتهم عبد اللطيف محمود بالسرقة لدخوله الشقة المغلقة وسرقته لأجهزة «مهد».

BattanAir PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

فاكرني هنسى اللي قلته على السلم.

احتفظ محمود بهدوئه، بل كان يريد حقًّا أن يقول له إن «مهد» خدعته، كان يريد مشاركته همه، أنا مثلك الآن في قائمة كرهها.

لم يقل شيئًا، ولم يجد من يدافع عنه في غياب أم أحمد سوى أن حمدي اصطحب عبد اللطيف لغرفة مكتبه بدعوى رغبته في مناقشته بموضوع هام، لم يستطع محمود التقاط شيء من الحوار الدائر بينهما في ظل الضجيج الذي أحاطته به رشا.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

المواجهة

استيقظ محمود في اليوم التالي على اتصال من اللواء حمدي يطلب منه تأجيل سفره لألمانيا قدر المستطاع وزيارته بمكتبه في أي وقت يحدده ليتحدثا معًا كما كان يفعل سابقًا.

حاول سؤاله عما جرى بينه وعبد اللطيف في ذلك اليوم.

رفض حمدي الإجابة عن أسئلته.

مزاجه الرائق دفعه للاستسلام على غير عادته لصرامة ردود اللواء حمدي، رد بهدوء «اللي تشوفه» ثم عاد لتشذيب ذقنه، واستكمال ارتداء ملابسه الرسمية لمقابلة عميل مهم اتفق معه ليبيعه شركته بسعر جيد.

باردة الحياة في ألمانيا كطقسها الأوربي، التصقت فكرة معلقة على باب بيته أفلتت فيما يبدو من الدهان الجديد بيده، تربى محمود طفلًا وحيدًا لأب وأم منفصلين، انفصلا بمجرد سفرهمها لألمانيا، وكأنهما كان ينتظران موافقة الهجرة لينهي كل منهما علاقته بالماضي بما في ذلك الآخر، يعيش غريبًا في بيت كل منهما بعض الوقت ثم يتركهما ويعود إلى مصر يبحث عن شعور «الاستقرار».

هذه الكلمة التي لا تعني شيئًا ما لم تجد لها موضعًا آمنًا تستقر هي قبلنا فيه..

أصرّت «مهد» أن يتزوجا في شقتها بمنزل والدها وارتاح هو للقرار، فهي قريبة لعمله ولمنزله القديم الذي لا يحب تبديله مهما تحسنت حالته

نسخة غير مخصصة للطباعة

المادية بما يسمح له بالسكن في منطقة أفضل، ومع هذا كان يشك في قرارها، في أن تتخلى عن إقامتها بالرحاب، حيث تجاور عن بُعد أسرة عمها.

يعلم كم نغصت المقارنة بينها وبين بنات عمها حياتها، لم تكن لتقبل أبدًا بالعودة لسكنى «الحدايق»؟!

عاود الاتصال باللواء حمدي ليحدد موعدًا لمقابلته، أشرقت بشرته البيضاء بلمعة الدهان الجديد، وهو يقول له «لأ مش فاضي للأسف يا عمي دلوقتي، ممكن بعد الضهر أعدي على حضرتك في البيت وأنا مروح».

أنهى يومه بلا اتفاق نهائي على بيع الشركة «قلت له هفكر وأرد عليه»، جاوب باختصار في بداية حواره مع اللواء حمدي، أنقذه المبرر القوي بانشغاله ببيع الشركة من غضبة حمدي عليه لتأخير زيارته، وأكثر من ذلك ضخمت حجمه الضئيل الذي يغوص عادة في كرسي الصالون العريض، بينما انكمش حمدي محاولًا محايلته بكل الطرق ليتراجع عن قرار المغادرة.

مش قلت يابني مش همشي غير لما القضية تتقفل.

يا عمي ما أنت اللي قلت إنها اتقفلت.

أيوا برضو استنى شوية، يمكن حتى نلاقي جثتها دي «مهد» صاحبتك وأختك قبل ما تكون خطيبتك زي ما كنت بتقول.

أغرى محمود حجمه الجديد، فرفع حاجبيه وألقى سؤاله بثقة، صدقتني يا عمي، بدأت تشك في الدكتور عبد اللطيف صح؟!

نفى حمدي بلهجة مواربة أغرت محمود بالامتثال لطلبه، دون تصريح بما حدث بينه وبين صديق عمره في هذه الليلة.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

واجهه حمدي بالمشاريع التي كانت تخطط لها «مهد»، فرد عبد اللطيف غير مبالٍ «وافرض».

انفعل حمدي حتى أخرجه من برودة القاتل تجاه سيرة ابنته، هذا البرود الذي يحرك سكينًا مغروسًا بقلبه لا يستطيع مُداراة ألمها تجاه عبد اللطيف، نهره، قائلًا:

«افرض»، يعني موضوع الميراث كان جد، والخناقة بينكم المرة دي كانت جد.

أنت هتعوم على عوم مراتك والبنت المجنونة دي، شكلك خرفت يا سيادة اللواء قال عبد اللطيف بنبرة ساخرة منهيًا الحوار بلا رد مقنع.

لم تكن «مهد» مجنونة، قال حمدي لزوجته في هذه الليلة الطويلة التي أكملاها معًا في حديقة المنزل، غادر عبد اللطيف مسرعًا رافضًا إكمال الحوار الذي اعتبره مهينًا لشخصيته.

«بنتي، وأنا مربياها»، ردت زوجته التي أمسكت علبة المناديل الورقية لأول مرة لتناوله هي حباتها واحدًا تلو الآخر ليمسح دموعه التي تسيل لأول مرة بهذه القوة على من كانت في منزلة ابنته، وعلى صديق عمره الذي انفعل عليه وأهانه لأول مرة أيضًا بحياته، وعلى تقصيره الأمني في القضية الأهم في تاريخ خدمته لأول مرة أيضًا.

أول مرة..

أول مرة يا حاجة انخدع كدا، قال لزوجته التي لأول مرة تبدو قوية متماسكة، ترتسم ملامح الارتياح على وجهها، حتى قدميها المتعبتين

Battanaili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حملتاها بسهولة ويُسر إلى البيت، بينما استند هو عليها يوزع عبء الحزن الذي تحمله روحه بين رنة صوته الرخيمة وخطواته الثقيلة المرهقة، قائلًا:

لو عرفت إن له يدًا في موتها مش هسيبه..

ورحمة ابني يا حاجة ما هسيبه.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

صباح جديد

فيسبوك..

صفحة رشا النادي..

«صورة للعائلة مكتوب فوقها اسم «مهد» يليه قلب أحمر مكسور لنصفين، كتبت بعده: الله يرحمك يا حبيبتي يا ريتك كنتي معانا، صورتك وروحك كانوا حاضرين بيننا يا حبيبتي، واللمة كانت ناقصاكي».

أفاق محمود على الصورة التي طالعته ما أن استيقظ.

يبدو أن الطعام الذي قدمته له كان يحمل مخدرًا أغاب وعيه عن حقيقتها، وها هي تعود من جديد، تذكر كم كانت «مهد» تكره بنات عمها، تهرب من أي لقاء يجمعها بهما لدرجة تضحيتها بجلسة أم أحمد نفسها طوال مدة زيارة نرمين في إجازة الصيف، تنقطع صلتها بهذا البيت تمامًا حتى تسافر نرمين.

لا يعرف السبب، ولكن يعرف أن علاقة كهذه طورتها بالتأكيد مواقف عديدة طواها غياب «مهد» ولا يمكنه معرفتها، خصوصًا عن رشا «دلوعة قلب» عمها عبد اللطيف..

«ابنته الحقيقية»، كما كانت تصفها «مهد».

أشعل الحوار بين محمود وحمدي مجددًا الاحتمال القديم ذاته بأن تكون «مهد» اختفت فقط ولم تمت، قال محمود.

- ويمكن برضو يا عمي تكون هربت، وسايبالنا الرسالة دي تمويه.

لم يملك حمدي نفسه من أن يبتسم مرغمًا ويسرح بذهنه متخيلًا

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

«مهد» تفتح الباب دون استئذان كعادتها لتعتذر منه بجوعها الشديد، ثم تتركه وتمضي لتلحق بالحاجة في المطبخ.

ربما لم يحن الوقت بعد.. ما زال هناك بقية لهذا العمر لا أدري مداها.

أتذكر يا عمي هذه الجملة.

أعطاه حمدي الضوء الأخضر ليروح بعيدًا في بحثه الإلكتروني «شوف محتاج إيه تصاريح وأنا معاك».

هل يجب أن يبدأ البحث برشا، وأسرة عبد الهادي باعتبارهم الأقرب سكنًا لمهد قبل اختفائها.

هوة سحيقة ربما ألقت بها «مهد» نفسها الآن لو قرأت كلمة حبيبتي هذه تخرج من رشا عنها.

اتصل بها مؤنبًا، ذكّرها بوعدها بعدم نشر صور تخصه مرة أخرى، انفعل عليها إنتي مجبتيش سيرة «مهد» على لسانك طول القعدة، جاية تفتكريها على فيسبوك؟!

فردت بعصبية مقابلة: هو يعني لازم نقلب السهرة مناحة عشان نبقى بنفتكرها.

ثم بنغمة مستكينة أكملت، أنا مجبش سيرتها فعلًا عشان خاطر ماما أم أحمد عشان مقلبش عليها المواجع، عارف وضع صحتها، كفاية عليها ذكرى محمود الله يرحمه..

الله يكون في عونها..

حبيبتي يا ماما سيرة «مهد» بتقلب عليها الحزن والوجع اللي عايشة فيه.

Battanaili
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تغير صوتها لآخر مخنوق بالبكاء.. ترتعش الحروف وتخرج من فمها بصعوبة، معتذرةً بشدة وواعدةً مجددًا بحذف الصورة وعدم تكرار فعلتها.

هدأ محمود بفعل صوتها الناعم، وزال عنه غضبه الذي بدأ به الحوار، قال برقة:

الله يرحمه، لكن كل دا مش مبرر..

وأمام إصراره على أن سيرة «مهد» الإلكترونية تخصه وحده.

قلبت رشا نبرتها الحزينة لأخرى أكثر تحديًا وأعلى وضوحًا، قالت: «هو الحقيقة يا باشمنهدس أنت اللي ملكش صفة دلوقتي زي ما عمي قالك».

أغلقت الهاتف دون أن تسمع رده.

ليس لمحمود صفة فعلًا الآن.. تملك رشا وثائق تؤكد علاقتها بمهد أكثر منه.

اسم العائلة المشترك، الشبه الكبير في الملامح، إلى جانب صور وذكريات العائلة.

ذكّرته جملتها بكونه ليس واحدًا من عائلة النادي، ماذا لو عرفت رشا ومعها عبد اللطيف بما قالته «مهد» عنه.

أثقلت رشا بمكالمتها حماسه الذي عاد للتو للبحث في القضية، ربما كان عليه أن يشكر عبد اللطيف على انتقامه له منها، ويشكر رشا على تلويثها لسمعتها.

هز رأسه مستغفرًا، هذا الشيطان يا محمود، راح ملاكه الطيب يستعيده من ضالة الطريق التي جرفته رجولته المهزومة إليها..

من يبحث عن الحق لأجل مصلحة شخصية، هو مُدّعٍ، لو فعل الجميع ذلك لما وجدت الحقيقة، من يبحث عنها، هذه الجملة المثالية هي أكثر من أوقع ضحايا في التاريخ، ومع هذا فمن دونها ترقد أعظم الجرائم أيضًا في سلام ويواصل هذا العالم تجاوزاته بلا رادع.

عليه الآن أن يعثر على إثبات يؤكد به لرشا أنه أقرب لـ«مهد» من كل عائلة النادي.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

الصور

آلة زمن افتراضية تلك التي يفتحها أوبشن «استعادة الذكريات لهذا اليوم» الذي يتيحه فيسبوك، قلب الصفحة لمدة شهرين ماضيين حتى عثر على ضالته بين ملف الصور.

صورة قديمة للعائلة كلها في مصيف رأس البر.

ما يعرفه محمود هو كم كانت «مهد» تكره رحلة العائلة لرأس البر في صغرها، وتحديدًا اضطرارها للبقاء مع رشا ونرمين في غرفة واحدة.

«مهد» بعمر السنة ترتمي للخلف ضاحكةً بدلال على ذراع أمها التي أغمضت عينيها اتقاءً لشعاع شمس الصيف القاسية، تملأ ابتسامتها على الرغم من ذلك باقي طلتها بالصورة ورشا التي تصغر «مهد» بشهور قليلة معلقة بذراع أمها أيضًا، بينما تمسك نرمين التي تكبرهما بعامين برقبة أبيها.

الصورة أيضًا مخصصة بالحالة «أونلي مِي».

قرأ محمود بتأنٍّ الرسالة البليغة التي كتبتها «مهد» «البوست»..

كتبت «مهد»:

«أين كانت كل هذه التكنولوجيا المُذهلة في قُدرتها على توثيق كل لحظة، حين كانت اللحظات تستحق التوثيق؟

أين كانت كاميرات الهاتف ذات العيون المحدقة في مسام وجوهنا تسجل ذرات العرق بعد يوم حافل، ولفحات الهواء في مساءٍ منعشٍ لتلتقط لمعة

Battanälli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

الفرح التلقائية في أعيننا حين كنا نضحك قديمًا حتى تلمع عيوننا فرحًا؟».

«ربما لا يمكنني تغيير حالة هذا المنشور بأي حال لأشارك فيه العالم كله كما أود كثيرًا فعل ذلك، ولكنني أيضًا لست طفلة الثالثة عشر عامًا التي رأت بعينيها والدها يخون أخاه مستغلًّا غيابه»..

ليست المعلومات مفاجئة تمامًا لمحمود، فهو يعرف بالخلاف الشهير بين أماني زوجة عمها وعبد اللطيف، تتهمه بخداعها في غياب زوجها والاستيلاء على مبلغ كبير، وعدهما بالشراكة في الأرض التي كان يبنيها بحدائق الأهرام ثم كتب العمارة كلها باسمه.

ولكنه يعرف أيضًا أن الأخوين طويا هذه الصفحة واستأنفا علاقتهما وكأن شيئًا لم يكن بعد تسوية الأمور بينهما.

عمي عبد الهادي طيب كانت «مهد» تقول له هذا دائمًا، وتحمل له حبًّا يعادل حب رشا لأبيها «عبد اللطيف»، تراهما الأخوين هابيل وقابيل، هذا بقسوته وبخله وظلمه والآخر بتسامحه وطيبته.. وتحمل له جميل تغاضيه عن سرقة أبيها، كما أنه بسببه، وبفضل كرمه؛ هداياه وعطاياه الكثيرة عاشوا جميعًا حياة مريحة بكل المقاييس.

ليس هذا بالضبط المنشور الذي كان يبحث عنه محمود، لا يساعده ذلك في مسك الخيوط التي تدين هذا الرجل.. خاصة أن «مهد» لم تحكِ كثيرًا، وكأنها كانت تريد فقط أن تزيح السر عن صدرها مع هذا «اللا أحد» الذي اختارته رفيقًا لروحها المتعبة.

Battanaiin PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انتقل بمعلوماته الجديدة إلى اللواء حمدي بناءً على اتفاقهما، تطورت العلاقة بينهما الآن بما يجعله مستحقًّا لمزيد من التوضيحات التي قدمها له حمدي.

عبد الهادي كان مسافرًا معظم الوقت، منذ عرفناهم وهو يعمل بالخارج، سافر إلى الكويت تاركًا زوجته وطفلتيه في مسؤولية عبد اللطيف ليرعاهما أفضل حتى بكثير من رعايته لابنته، وهذا ما كان يثير غيرتها دائمًا من بنات عمها إلى جانب الثراء الذي كان يغدق به عمها على أسرته في مقابل حياة التقشف التي فرضها عبد اللطيف عليها، وفي المقابل كانت الفتاتان تقابلان غيرة «مهد» بغيرة أكبر من نجاحها الدراسي داخل المدرسة التي صارت تجمعهما بعد انتقالهما للقاهرة وسكنهما بنفس العمارة.. حتى قررت أمهما الانتقال وبناتها للسكن في منطقة التجمع..

تحججت بأن الشارع ضيق، أوضح حمدي متذكرًا كلامها ومقلدًا نبرتها في الكلام لمحمود ساخرًا:

قالت، أخوك واخد على إمبابة اللي كان عايش فيها.. إحنا منحبش الشوارع الضيقة دي.. هنشوف سكن في كمبوند.

ما لا يعرفه كلاهما أن أماني لم تكن تريد أن تبعد نفسها عن عبد اللطيف بكل قوتها بسبب الخلاف المادي فقط، بل إنها لو طالت أن تخلع جلدها الذي تركته يلمسه يومًا لفعلت، تنظر إليه بعد أن تضاعف حجم كرشه وسقط شعره من المنتصف وصارت نظارته لا تفارقه.. كيف سقطت يومًا في بالوعة هذا الرجل حتى أقنعها بترك كل شيء تحت سيطرته، أموالها وتربية بناتها، و..

ونفسها؟

لا يصدق محمود ما يقرؤه، ولكن هي لا يمكنه التشكيك في أسلوبها الآن، وهذا هو بوست جديد أو قديم بمعنى أصح، قديم جدًّا حتى إن أحدًا لم يعد يذكره.

أكملت «مهد» فيما قالته عن أماني، أنها كانت تقدر لعبد اللطيف وقوفه بجانبها في مواقف كثيرة، لم تحمل يومًا همًّا، فهناك دائمًا عمهم موجود وفي الخدمة لكل مشكلة تتعرض لها هي وبناتها، ولكل طلب تريدان تنفيذه.

بخبراته وعلاقاته الكثيرة لا شيء يقف أمامه، اشتراك نادٍ.. دخول البنات المدارس والجامعات، فرصة عمل لنرمين، سيارة جديدة لرشا.

«طلباتك يا ست الكل»، كلمته التي غيَّبت عقلها، فكشفت له أسرارها كلها.. لا تنسى أنها اجتازت كل شيء في الحياة بفضله، ولكنها لا تنسى أيضًا أبدًا كيف خدعها واستغل وحدتها ليلتقط هو أموال زوجها.. أعطته ثقتها ونفسها وكان هذا خطأها الوحيد، وجريمتها التي لا تغتفر بالنسبة لها..

اختارت البعد عقابًا والكتمان عرفانًا بالجميل..

فقط حكت لـ«مهد» كل شيء..

لماذا؟!، تعجز كلمات «مهد» الفصيحة نفسها عن شرح ذلك في كل ما قالته.

«لا أعلم هل انتقمت مني أم منه، أم انتقمت مننا جميعًا بضربة واحدة، أصابت بها كل العصافير، ذكية زوجة عمي المصون، يعرف الجميع عنك كذلك،

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

كيف ضمنتي أني سأخرس، سأحترق وحدي بسر أبي الخائن، تعرفين كما قلتي أني سأخاف على عمي عبد الهادي «يروح فيها لو عرف»، لو بيدي لفضحتك أنت وهو..

ولكنها هكذا هي الحقيقة حين تريد أن تجرح، تجرح أولًا أصحابها الذين كلّت روحهم في طريق البحث عنها..

سيموت قهرًا هذا الرجل العذب الطيب الذكر بحقيقتكما، وستعيشان أنتما، أعرف ذلك، كلاكما لستما ممن تعذبهما الآثام، بل ربما كانت خطتك هذه لغرض تعلمينه ولا أستطيع توقعه، ومع هذا فلن أدعك تنالينه»..

لم يتردد محمود في نقل كل ما عرفه للواء حمدي مع تجويده للحبكة الدرامية للقصة، تتلمذ على يد منشورات «مهد» حتى استطاعت حكايته أن تنتزع في دراميتها شرارات الغضب من عيني اللواء حمدي تجاه الصديق؛ الذي يراه اليوم كما لم يره من قبل.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

رشا

لا يعلم ما الذي دفعه للاتصال برشا مرة أخرى في اليوم نفس مساءً.. لم يقل شيئًا عن حساب «مهد» ولا عما عرفه عن حقيقة العائلة التي تحمل كل هذا الإرث من الضغينة والخلافات.

فقط، كان يريد أن يحادثها مرة أخرى، يستمع لحكيها ولجدالها ولنبرة صوتها العالية والرفيعة معًا.. تخرج الكلمات منها سريعة متتالية ومتشابكة لا تفهم منها سوى أنها واثقة مما تقوله ومصرّة عليه، تخلط عباراتها دائمًا بالدعاء.. شكلك ما شاء الله رايق النهارده.. لبسك تبارك الله.. يجنن عليك.. شركتك اللهم يزيدك ناجحة.. مامتك الله يحفظهالك عندها حق ما أنت لازم تاخد بالك من نفسك شوية.

علت وجهه ابتسامة خفيفة، وهو يطلب رقمها بادئًا حديثه بلطف:

ألو رشا.. إيه أخبارك دلوقتي يا رب تكوني بقيتي كويسة.

أهلًا عاوز إيه تاني..

آسف لو زعلتك.. أنا بتكلم أطمن عليكي..

ردت بحماسة واضحة في صوتها العالي الفرح.

إنت بس ربنا يهديك كنت عصبي شوية، أنا مقدرة حالتك، ربنا يكون في عونك ويرزقك الصبر والسلوان، اللهم آمين.

طال الحديث بالهاتف، اتفقا على طريقة واحدة يتعاملان بها مع الجمهور الكبير لـ«مهد»، وتضمن مصلحة سُمعة العائلة، ولو كانت هناك

شبهة جريمة في الموضوع صعب جدًّا كشفها بهذا الشكل، قالها محمود وكأن قضيتها التي لا ينقصها سوى الشهود أوشكت على الاكتمال بالرد الخارج حالًا من رشا، هي أقرب شخص لعبد اللطيف..

ردت رشا، أنت عندك «وهام» يا محمود جريمة إيه؟

تتابعت مكالمته معها كثيرًا بعدها، من منتصف كل ليلة لصباح اليوم التالي، ومن صباح كل يوم لمنتصف شمسه لا عمل لديه الآن هو حر معظم الوقت، فقد علق أعمال شركته واتفق فعليًّا على مشترٍ لها..

تتشابك كلماتها أيضًا حد الالتصاق الذي لا يسمح بخط معارض للمرور بينهما حول عبد اللطيف «عمي شخص عظيم وناجح، وأب رائع.. هي بس «مهد»، الله يرحمها ويسامحها»، ربما أخطر ما قالته حتى الآن من معلومة هو نية عبد اللطيف مقاضاة لانا زيدون بسبب ما نشرته عن «مهد».

لا يعنيها في ذلك ما أثارته لانا حول وجود احتمال أن تكون «مهد» حية، هو فقط واحد من مواقف كثيرة تصيغ بها دعاياتها المجانية للدكتور عبد اللطيف «خير من يمثلها».

أنت تحبينه كثيرًا حقًّا، كنت ابنته الحقيقية، قال لها، فاسترسلت في بث دعايتها وكأنها لم تسمعه.

و«مهد»، كان بيحبها جدًّا، صمم ياخد حقها من لانا، أنت متعرفش عمل إيه مع حسام جوزها؟

ولماذا لم يفعل هذه المرة؟!

لماذا لم تكن «مهد» تناديكي أمي؟!

سأل محمود خالته؟

قالت فقط: لما ترجع ابقى اسألها؟

هناك أسئلة كثيرة يود فعلًا أن يسألها لها، يود حقًّا لو تعود فقط ليسألها.

ليس هذا على رأسها، فالغصة ما زالت تقف فوق قمة حلقه تمامًا تسده عن ذكر سيرتها في أي شيء آخر.

ومع هذا قَدِم لزيارة اللواء حمدي وفقًا للموعد المتفق بينهما.

لا جديد..

لم تقل رشا شيئًا، اختصر الكلام، أنهى عصير الكيوي بالليمون الذي تركت رشا مخزونًا منه، أوصته في الهاتف أن يطلبه من «ماما» حين أخبرها بنيته زيارتها غدًا، حتى يتذكرها.

العصير مظبوط جدًّا.

صورة رشا تتراقص أمامه في كل مكان كانت تتحرك فيه هنا من قبل، تزيح كل طعم سيئ تركته «مهد» بحلقه بأريحيتها في الحكي والتصرف.

هي اللي جابته لنفسها، الله يرحمها ويسامحها.

قفز التفسير العبد اللطيفي الذي تخلّص به رشا نفسها من أسئلته، واضحًا بقوة حين حاصره حمدي برثائه الحار للمسكينة التي كانت تريد بناء حياتها ومستقبلها بميراث أمها.

أغفل محمود عمدًا سيرة الغرام المخلوط بالخيانة مع قليل من عصير الكذب والخداع.

حبيبتي، لو رجعت أَسَلّفها أنا اللي محتاجاه، قال حمدي غاضًا حاجبيه حزنًا وتأثرًا..

Battanauni PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لو رجعت..

قال محمود يعتصره من الخارج مرارًا حقيقيًّا يغلف صوته، ويخفي شيئًا أكبر:

لو رجعت، لقتلتها بيدي، لو رجعت للطمتها على كل وجه من وجوهها التي لم نحصِ عددها حتى الآن، لو رجعت للطمت وجهي أنا لأفيق من كأسها التي تجرعتها دواءً فسممت روحي وإحساسي..

إحساسي يا «مهد».

هل تعرفين شيئًا عن الإحساس؟

يا خير من نطق بالكلمات، وشر من نفذها.

ترك العصير من يده وهز رأسه لطرد الأفكار السيئة التي تأتيه عن «مهد»، وعاد للعب دور الواجب الذي فرضه عليه هذا الرجل وزوجته الطيبان.

رشا قالت، رشا نفت، رشا شرحتلي.

ومع كل مرة يأتي ذكر رشا في مطلع كلامه.. يرد حمدي شاجبًا رشا دي بنت «فاضية».

«اوعى تصدق الشويتين بتوعها».

لا يعلم ما الذي جعل حمدي ينصحه بهذه النصيحة النادرة الصدور منه، دائمًا ما يستقبل معلومات، طلبات، حكايات ثم لا يعطي سوى أوامر وردوده القصيرة المعهودة..

إن شاء الله.. سيبني أفكر.. أوعدك حاضر..

تتلخص حياته بين هذه الكلمات للرد على الاتصالات المتلاحقة لطلب مساعدته.

Battanüni PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

راح يقارن بين رشا و«مهد» في علاقتها بخالته، تفعل هذا رشا بأريحية، فأمها حية ولا تشعر بأي حساسية لنطق الكلمة، موجعة الكلمات حين تلمس فينا جرحًا نحاول تفاديها بكل الطرق، كما أن «مهد» شخصية عامة، ناجحة وجادة.. ربما لهذا تقصيرها في المسائل الاجتماعية، بينما رشا «بنت فاضية» فعلًا.

ضحك على نفسه وهو يعيد الكلمة بنصف عقله اليمين، بينما يرن صوت رشا في نصفه الآخر «أنت شخص انطباعي يا محمود».

ثم تحسس هاتفه لتأكيد موعد لملاقاتها عن طريق رسائل الواتساب.

رتب في ذهنه موضوعات عديدة لمناقشتها معها، كلها حول «مهد» والقضية وحقيقة انتحارها وخلافها مع أبيها والمحضر الذي تقدمت به ضده تتهمه بالتعرض لها قبل وفاتها.

تقابل الاثنان ولم تأتِ «مهد».. لم تأتِ أبدًا ولو حتى كمجرد ذكرى عابرة بينهما..

ترددت رشا كثيرًا بعدها على بيت أم أحمد بدعوى زيارتها لنرمين، تخفي في كل مرة معرفتها بوجود محمود.. الحقيقة أنها كانت أيامًا سعيدة للجميع آنستهم وأنستهم ما حدث، وكادت «مهد» تختفي تمامًا من المشهد حتى جاءت سيرة المصيف مرة أخرى، مع الإحساس بالحر الذي طغى على الشقة المزدحمة، زفرات محمد المتململة «أوف، الحر عندكو بقى أسوأ من الخليج»، اقترحت رشا أن تذهب العائلة كلها للمصيف لتغيير أجواء الكآبة وحتى تستعيد ماما صحتها بعد كل ما حدث.

محمود، انت معانا طبعًا، انت خلاص من العيلة.

المصيف

لو نطقت هذه الجدران لأفشت الكُره المكتوم بين مساحتها الضيقة مثل أسطوانة غاز مغلفة.

فإذا ما حضر الجميع إلى هنا رفعوا الغطاء البلاستيكي الهش لتنفجر كراهية لا تطفئها مياه البحر.

يتذكر محمود حكايات «مهد» عن مضايقات رشا ونرمين لها في مصيف العائلة، عادت «مهد» لتنغص عليه انسجامه مع رشا، وانسجامه مع عبد اللطيف نفسه الذي بات شريكًا في جلسات العائلة بحكم وجود محمد وأحمد اللذين يرتبطان معه بمصالح كثيرة في أعماله التي تمتد لكل شيء.

«كل طوبتين اتحطو فوق بعض في مصر هتلاقيني محشور في وسطيهم»، قالها بضحكته البلهاء وبطنه ورأسه المنتفخان يهتزان أمامه كطوبتين أخريين يقيمان سدًّا منيعًا داخل نفس محمود، يصده عن تقبل الأساطير عن قصة نجاحه التي ينسجها رباعي الشباب كما يسميهم في ألعاب البحر التي تتقنها الأسرة «رشا ونرمين ومحمد وأحمد».

لعب معهم مضطرًا في صف عبد اللطيف كرة المضرب، واستغماية، وأونو.

طوال فترة خطبته مع «مهد» لم يقترب أبدًا من هذا الرجل الذي تعامل مع خطبته لابنته كقرار روتيني عليه أن يوقّعه، كما يفعل في وظيفته.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

هو بخيل بالتأكيد عرف هذا «مبيطلعش منه حاجة، هذه العشة برأس البر هي الحسنة الوحيدة اللي بناخدها منه»، تمتمت أم أحمد.

ميراث لأهله «أصله من دمياط»، يحب محمود استفزازها للحديث، مازحها قائلًا: وانتي يا خالتي؟!

رفعت رأسها للخلف قالت باعتزاز، لا أنا دقهلية «بلد الشيخ الشعراوي».. استعاد محمود معلوماته هي نفس بلد طنط ثريا الله يرحمها.

لم يكن هناك شيء يجمع المرأتين حقًّا باستثناء الأصل الريفي المشترك الذي قادهما لمصادفة السكن معًا في منزل واحد بحي إمبابة قبل أن تسيطر عليه العشوائية، فينتقلان معًا أيضًا للعمارة التي بناها عبد اللطيف في حدائق الأهرام، فعلت رائحة البحر سحرها في أم أحمد، فراحت تسرد حكاية الشقة الجديدة التي منحتها أحلامها بفعل المساحة الكبيرة، غرفة لكل ولد ومطبخ كبير وبلكونة تطل على حديقة.

يا ربي يعني كان صعب يسيبولنا شوية الخضرة اللي زرعاهم قدام البيت، لولا العيال الصغيرة اللي كل شوية تيجي تبوظ الزرع وتشرب سجاير تحت الشباك ما كنت سيبت إمبابة أبدًا.

كفاية إني شيلت فيها ولادي كلهم، ومعاهم «مهد».

غاصت الفرحة الطارئة بعيدًا في أعماقها المساوية للبحر في ضخامته..

لماذا كانت تكره «مهد» المصيف ولمة العائلة، ليس الأمر سيئًا.

لا لقد كان كذلك وأكثر لها ولخالتها أيضًا..

Balhanaiin PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

استردت أم أحمد ثوب أحزانها من بين طيات النسيم الذي غادر المكان واضطرهم للعودة للبيت، وراحت تحكي..

كيف يدفعها اضطرارها لمقابلة أماني لسن سكاكينها طوال الوقت لقطع لسانها المتطاول عليها دائمًا، وتباهيها «بفلوسها».

أطلقت دعابة حمقاء -كما قالت عن نفسها- بعد ذلك أحسن حاجة عملها عبد اللطيف أنه خد فلوس أخوه من إيدها على الأقل عملهم بيها حاجة مفيدة.. صحيح لم يكن هناك سوى رشا، التي لا تجد إزعاجًا في تعكير سيرة أمها، كما أن هذا عين ما قالته لمحمود من قبل «أحسن حاجة عملها لنا عمي إنه استثمر لبابا في فلوسه».. «كان زماننا بنشحت على إيد ماما».

قالتها مرة أخرى مصحوبة بنفس ضحكتها في المرة السابقة.

ذهب محمود لغرفته ليجد عشر مكالمات فائتة من اللواء حمدي، لا يدري بما يجيبه الآن، هل يقول له إنه بدأ يحب عبد اللطيف؟! وأنه لا يستجوب رشا بقدر ما يذوب فيها.

«مهد» كانت بتكرهنا كلنا وبتكره نفسها ردت رشا بكل ثقة وبلا أدنى انزعاج من سماع اتهامات عبد اللطيف، الذي قرر إتمام مهمته بنجاح.

«دحلبها في الكلام»، أصدر حمدي تعليماته التي طبقها بحذافيرها حتى أنه سألها مباشرة، ليه بتكرهيها؟!

والله والله والله أنا دايمًا كنت بدعيلها في صلاتي وبحبها متتخيلش زعلت عليها قد إيه، ارتسمت آيات البراءة والصدق على جبينها الواسع من أسفل حجابها.

أكملت.. أنت متفاجئ يا محمود إني زعلت على «مهد»، أنا فعلًا كنت بحبها على الرغم من أنها مكنتش بتحبني أنا عارفة..

وليضع حدًّا لشكوكه المتناحرة ويستقر على قرار نهائي قبل أن يتخذ خطوة انتوى فعلها في علاقته برشا، وبالتالي بعبد اللطيف، سألها سؤالًا مباشًرا عن سر هذا التاريخ من الشقاق بينهم.

استرسلت رشا في حواراتها عن المواقف العديدة الصعبة التي عاشتها وأختها وأمها ووقوف عمها بجوارهن، ما كانت تفسره «مهد» بغيرتها تفضيلًا لهما عليها، إلى جانب الغيرة من الفارق المادي بين حياتهما وحياتها.

صار يشفق على تلك الفتاة المسكينة التي اضطرت ظروف العمل والدها للغربة والبعد عنهم، أكبر المعلومات التي حصل عليها منها هي تفاصيل المشادة الكبيرة بين أماني وعبد اللطيف.

استولى على مبلغ كبير، أرسله أخوه لشراء قطعة أرض في منطقة «حدائق الأهرام» اشترى الأرض، وسجلها باسمه، وصارت بعد ذلك عمارة كبيرة، انتقل لها تاركًا حي إمبابة، انقطعت بعدها الصلة بين عبد اللطيف وأخيه وبناته وزوجته لفترة، ثم عادا للتصالح بعد تدخل اللواء حمدي، اتفقوا معًا على أن يعطي عبد اللطيف شقة بالعمارة للبنتين وأمهما، هي ذاتها الشقة التي تقضي بها نرمين ومحمد إجازتهما في مصر، إلى جانب رد مبلغ كبير من أرباح بيع شقق العمارة لعبد الهادي.

ماما صممت تاخد بدل الفلوس الأرض اللي عليها بيتنا في الرحاب، الكل قال عنها غبية، وعمي نفسه مكنش مصدق إنها قبلت بالأرض الرخيصة دي،

تهللت أساريرها وهي تحكي هذا الجزء طلع عندها حق..

عارف يا محمود بحسابات النهارده عمي رجع لنا حقنا مضروب في خمسة أضعاف..

ها تفتكر أحبه بقى ولا أكرهه؟!

لم يستطع محمود إجابتها، ولا إجابة اللواء حمدي بعد عودته للقاهرة، كل ما قالته رشا يعرفه حمدي تمام المعرفة، هو من فصل في هذه القضية وصالح الأخوان بالوصول لهذا الاتفاق الذي كان كذلك من اقتراحه.

عارف إن أرض الرحاب دي كان مفروض بتاعتي أنا؟

قال حمدي مسترجعًا الندم الذي ما زال يخرجه في عض أصابعه كلما قابل أماني وعبد الهادي، وكلما تشاجرت زوجته معهما بسبب تصرفاتها المتعجرفة دائمًا التي لم تنهها زيجة ابنه وبنتهما.

أنا اللي اتنازلت عنها عشان المشكلة تتحل وخدت مكانها شقة زيادة هنا في العمارة دي.

حسنًا، وصلنا لحل لغز كبير جدًّا يخص علاقة هؤلاء الثلاثة غير المتجانسين، وهو ما لم نكن بحاجة إليه.

والآن أين «مهد»؟!

Battanäür
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لانا

من بين الفاشون بلوجز أطلّت لانا زيدون، ستزور القاهرة قريبًا «أوبن داي» لتطلق خط أزياء جديدًا يحمل توقيع «مهد» النادي صديقتها وشريكتها اللايف كوتش المشهورة «مهد النادي».

أقرب شخص وجده محمود أمامه ليحكي له كان رشا، اتصل بها..

فاقترحت إبلاغ عمها عبد اللطيف ليتصرف.

«عمي يعرف ناس مهمين في كل مكان ويقدر يجيب المجنونة دي ويحبسها».

«لكن لانا عندها حق» صدمها محمود برده، أخبرها ما يعرفه عن نية «مهد» تنفيذ هذا المشروع فعلًا مع لانا.

صعقته بنظرة اللامبالاة ذاتها التي تحيل ملامحها الكبيرة وجبينها البارز لصورة من دكتور عبد اللطيف.. رافضة حتى مشاركته شكوكه، أنهت أي سيرة لمهد بجملتها «معقول، الله يرحمها ويسامحها» كما تفعل عادةً.

ضاحكة، حزينة، متحركة وثابتة، نحيفة في بعضها وممتلئة قليلًا في أخرى، امتلأ حائط فيسبوك بصور «مهد» في كل حالاتها الجنونية والعاقلة معًا.

«أنت شخص انطباعي يا محمود»..

قال لنفسه عندما وجد قلبه يدق بحبها من جديد، إحساسًا على حلاوته ليس كافيًا ليعيده لهذا الذي أغرق الطريق من ألمانيا إلى هنا بالدموع والعرق اللذين ذرفهما في جريه بحثًا عنها، لم يبقَ ما يدفعه للجد في

Battanauni PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

بحثه عنها سوى صداقته القديمة معها، شكوكه في ذمة عبد اللطيف التي لم تجمّلها انتصاراتهما المشتركة في ألعاب البحر، وإصرار الحاجة على أن «مهد» حية.

والأهم كان احتمال أن لانا هذه نصابة تريد استغلال اسم «مهد» في عملية غير مشروعة..

فلنفعل شيئًا لإنقاذ اسمها على الأقل يا عمي، قال لحمدي بعد أن قدم له تقريره بالمعلومات الجديدة.

اسم «مهد» وسُمعة عائلتها ما زال يخصه وعليه أن يدافع عنه، ما زال هناك احتمال أن تكون أسرته.

تخطت علاقته برشا الآن شهرًا، صارا خلاله أكثر من مجرد أصدقاء.

أحبها؟ سأل محمود نفسه وأجاب عليها بسعادة ممزوجة بالثقة:

نعم.. بل وأصبحت تعنيه الآن أكثر من «مهد» التي شيئًا فشيئًا أصبحت لغزًا في مجلات فلاش التي كان يعشقها يبحث عن حله من باب التسالي..

هي باختصار استطاعت أن تملأ حياته، تسد كل هذه الفراغات التي ينزف منها عمره يومًا وراء يوم عاجزًا عن الاستقرار..

«بيت وأسرة وأولاد»..

حضن لا أكثر..

وهل يحتاج الرجل لأكثر من ذلك بالأساس؟!

غصب عننا كلنا، كنا عيال ومتأثرين بكلام أهالينا بقى وخناقاتهم.. هكذا أوجزت له رشا كل هذه الميلودراما التي كانت ترويها «مهد» عن بنات عمها.

Battanaii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أعلن لها عن رغبته في الارتباط بها.. فقط طلب منها أمام حماسها الشديد تأجيل كل شيء لبعد مرور ستة أشهر على الأقل على ذكرى وفاة «مهد».

مهلة كافية كما رأى ووافقه كذلك حمدي، إن لم يعثرا على جديد خلالها، فكلها مجرد شكوك لا تدين عبد اللطيف في شيء..

يمكن إحنا ظالمينه برضو يابني..

هدأت محاولات عبد اللطيف للصلح معه من حماسته، فهو لم ينفك يحاول رأب الصدع الذي طال صداقته بحمدي، صحيح أن حمدي مستعصي على اللين هذه المرة..

حوّلت لانا حائط صفحتها لشماعة في دولاب «مهد».

ملابسها.. أحذيتها.. ساعاتها.. حقائبها..

يوم واحد فقط من وصولها للقاهرة، لم يمهلها محمود أكثر من ذلك..

لا شيء حقيقي يخص «مهد» بين هذه الأشياء «تشابه في الماركات».

نفت لانا في مقابلتها الوحيدة التي سمحت لمحمود بها أن هذه متعلقات «مهد»، أجابت بكل ثقة «كلنا عندنا نفس الذوق، الماركات مو خص (مهد) لوحدها»..

مجرد عرض أزياء اتفقت مع صديقتها القديمة على إقامته، ولأسباب تجارية قررت تنفيذه بطريقتها.

مجرد دعاية.. كل ما قلته كان مجرد دعاية..

لا يمكن إدانتها بذلك، اكتفى محمود بالتشديد عليها للتوقف عن التلميح بأن «مهد» حية وعلى الرغم من أنه عصر خلايا صوته لتخرج في أكثر حالتها جدية..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أقامت لانا العرض في توقيته «ذكرى ميلاد مهد»، حققت أرباحًا كبيرة من عوائد مبيعاته، تصميمات الأزياء الجديدة، وبعض المعروضات من الماركات الفاخرة ثم غادرت القاهرة.

تجاهلت رسائل الهاتف التي يرسلها محمود حتى يأس منها..

على أمل أن تكون «مهد» ضبطت بوستًا مؤجلًا لينشر تلقائيًا في هذا اليوم، تفحص مرة أخرى صفحتها، فقط صادفته ذكرى من «الميموريز»..

كتبت «مهد»:

«تأتي ذكرى ميلادنا لتذكرنا بأن علينا أن نضيف لهذه الأرض شيئًا إيجابيًا.. غير أننا ولسوء فهمنا لا نرى في رسالة يوم ميلادنا سوى أن علينا إضافة هذا الشيء لأنفسنا، والأسوأ أن يكون ما نضيفه شيئًا سيئًا، فتعاقبنا الحياة على هذه الأنانية بملامح العجز.. ألا تلاحظون ما يتمتع به هؤلاء الذين ينبضون بالطاقة بملامح شابة يعلوها التسامح وعيون تشع بالسلام.. يضيف العطاء لنا روحًا.. يجعلنا دومًا شبابًا..

حققوا بأيام ميلادكم نية الإعمار التي أتينا لأجلها إلى هذه الأرض.. اجعلوه يومًا للعطاء لا لتلقي الهدايا.. منحتكم الحياة لتوها الفرصة لبدء عام جديد، فردوا إليها هذا الجميل بأن تكونوا عند حسن ظنها بكم».

لم تدم «البوزيتيف إنرجي» كثيرًا، هبط بالمؤشر ليصطدم ببوست «أونلي مِي» آخر بدا مكتوبًا بطريقة المذكرات..

كتبت «مهد»:

(سبتمبر 1981)

«اعتقالات سبتمبر التي طالت عددًا كبيرًا من رموز المجتمع المعترضين على اتفاقية السلام، ومع هذا لا تبدو الأحداث ذات تأثير ملحوظ على سير الحياة بالمدينة، كل شيء يسير بالشكل ذاته، زحام القاهرة بكامل هيئته المعتادة لا ينقص منه شيء، أصوات الباعة الجائلين تملأ الطرقات الضيقة.. وبينما تعج الشوارع الواسعة بصيحات السيارات..

ارتدى بذلته البنية وربطة العنق القصيرة التي طالما أثارت سخرية هؤلاء البلهاء من تلامذته، كما يحب أن يسميهم لعدم ملاءمتها لبطنه المنتفخ استعدادًا للمضي إلى عمله بالجامعة..

ليأتي دخول ثريا في حالة ولادة مبكرة جاءت نتيجة ارتفاع ضغطها بشكل مبالغ.. لن يغفر لها أبدًا اضطرارهما لإيداع الطفلة المولودة في غرفة الأطفال المبتسرين، ما كلفه أكثر، مما كان يخطط لنفقات الولادة الأولى لهما..

دائمًا ما كانت ثريا وراء توريطه، بدءًا من توريطه بالزواج بها، ثم توريطه بالسفر للقاهرة وتوريطه بشراء الشقة بهذا الحي لقربه من النيل، كما كانت تحلم دائمًا، ثم ورطته أخيرًا بالإنجاب على الرغم من إصراره عليها تأخير هذه الخطوة..

يحمل عبد اللطيف نصف خطايا الرجال التي يتميزون بها عادةً؛ العصبية والتسلط والانشغال الدائم عنها إلى جانب قصر قامته الوراثي، أضف إلى ذلك بخله الشديد ولسانه الحاد..

Battanajjj PUBLISHING HOUSE نسخة غير مخصصة للطباعة

ومع هذا فهو مخلص تمامًا لورطته معها حتى بعد وفاتها رفض تمامًا كل اقتراحات الزواج بأي أخرى غيرها..

كانت ثريا سعيدة في حياتها معه، سعيدة بتوريطه، تفخر بأنها وعلى الرغم من بساطة تعليمها هي التي تدير كل شيء في عالم هذا الأستاذ الجامعي المعروف بشدته بين طلابه وزملائه.. هي من يخطط ويرسم ثم بدلالها المعهود تورط عبد اللطيف في التنفيذ.

خرجت الطفلة من المستشفى تزامنًا مع اغتيال السادات لتصر «ثريا» على إطلاق اسم «مهد» على المولودة التي تحولت إلى مصدر فأل بالنسبة لها ببداية عهد جديد، متجاوزةً بذلك شهر الخلافات المُر الذي أذاقها إياه عبد اللطيف حتى كادت تلعن يوم فكرت في الإنجاب من هذا الرجل البخيل..

تكره ثريا الرئيس السادات لا لشيء، غير أنها ورثت من أبيها الفلاح صاحب مزارع الفاكهة حبًّا غير مشروط لعبد الناصر.. الزعيم الذي لن يأتي مثله أبدًا، كما علّمها والدها، تم القبض عليها في انتفاضة الطلبة حين كانت طالبة بكلية الآداب قسم علم النفس، وكان هذا سببًا في تركها الجامعة، رفض والدها عودتها للدراسة مرة أخرى، وكان سببًا في لقائها بعبد اللطيف أيضًا –أستاذها- الذي تفوقه ثقافةً وإطلاعًا على الرغم من معايرته الدائمة لها بالجهل.

بخلاف «مهد» التي رأت فيها بشارة خير لبداية مرحلة جديدة للبلاد، خططت ثريا لإنجاب وليد.. كانت أحلام هذه المرأة حقًّا في إضافة أسرة صالحة

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

للمجتمع هي أقصى ما يمكنها أن تفعله لخدمة الوطن بشخصيتها التي لا تتعدى كونها بوقًا انفعاليًا «هذه الجملة حتمًا من أوصاف عبد اللطيف»..

بدا التفاؤل واضحًا في هذا البيت، كما في أرجاء الوطن، على أمل أن تزهر النبتة الجديدة.. وأن يأتي الغد بالأفضل للجميع».

خالتي أم أحمد، قال محمود لنفسه..

لا غيرها يمكن أن يفسر هذا البوست، سألها فأجابته:

أنا اللي حكتلها دا كله، قالت لي مرة إنها هتكتب قصة حياتها.

قصة حياتها دي ولا مذكرات سياسية!

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

صفحة جديدة

لم يأتِ محمود لزيارة الحاجة لهذا السؤال فقط! وإنما من أجل نفسه، من أجل صفحة جديدة في قصة حياته هو..

مع رشا!!

ضربت أم أحمد صدرها، ولأول مرة تهرب بدموعها بعيدًا عن محمود، بدلًا من أن ترتمي عليه لتبلل بها كتفيه:

رشا!!

قالتها أكثر من مرة، ثم تركت الجلسة وغادرتهما.

حقك يا ابني، قال حمدي.

هدأت ثورته كثيرًا تجاه عبد اللطيف، يعرف محمود هذا.

لم يجد كلاهما شيئًا بخلاف قسوته يمكن إدانته به، حتى ما زعمته لانا حول اختباء «مهد»، تبين أنه ليس أكثر من لعبة إعلانات لمهاويس التريندات..

أنا ارتباطي بـ«مهد» إنساني يا عمي قبل أي حاجة..

غيّر حمدي طريقته في الكلام لأخرى أكثر لينًا وتعاطفًا، قائلًا:

مش عيب يابني.

بدا محمود أكثر ارتياحًا في حديثه، أخبر حمدي أنه فعل كل ما بوسعه مع لانا ولم يحصل منها على شيء.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

بس أنا متأكد أنها متعلقات «مهد»، مش شبهها أنا شاريها بنفسي لمهد هدايا وحاجات تانية كنت معاها وهي بتجيبها.

تبادلا الضحك على منشور «مهد» السياسي..

قال محمود، دي هي اللي أقنعتني أبطل سياسة ومظاهرات، أول مرة أعرف أن ليها في الحاجات دي.

دخل عبد اللطيف مصادفةً على ذكر اسم «الحاجات دي».

جلس ثلاثتهم خمس دقائق لا أكثر يحمل كل منهما للآخَرين حديثًا لا يجوز نطقه أمام الثاني، تحرك الاثنان عبد اللطيف ومحمود معًا في وقت واحد مستأذنين بالانصراف.

وفي الطريق لم ينتظر عبد اللطيف أن ينفتح الحوار بلطف أو أن يصرح أحدهما بما يخفيه.

أمسك بطرف التي شيرت الذي يرتديه محمود محذرًا:

ما تبعد عننا بقى يابني مش خلاص.

ترك الياقة المهترئة بالفعل، وتركه وذهب مسرعًا دون أن يسمع ردًّا.

وفي رأسه ترددت ذكريات مؤسفة في حياته..

في مكتب رئيس النيابة..

عادت ثريا للحياة فجأة..

تعرفي إن والدتك كانت لها ميول سياسية؟

صحيح؟

Battanaiit PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

اشتهرت «مهد» بنشاطها على السوشيال ميديا، تمارس بكل فخر هذا الشبه العظيم بينها وبين ثريا، تتحمس لكل شيء، صدمها رأي عبد اللطيف، قائلًا: حماس فارغ وبوق انفعالي يسير بسذاجة خلف من يسحبه تحت دعاوى وطنية وشعارات خادعة، ظل غير مبالٍ لتصرفاتها حتى اندلعت المظاهرات وانتشرت المطالبات بنزول أي شخص يستطيع إسعاف المصابين، خرجت «مهد» بحكم أنها طالبة في كلية الصيدلة.. حملت بعضًا من الأدوات الطبية في حقيبتها واندمجت في صفوف المتظاهرين تسعف كل من تجده في طريقها.. وتم القبض عليها ضمنهم أيضًا.

اندهشت «مهد» لكلام رئيس النيابة: نعم، ولكن بداخلها فرحة لم تستطع إنكارها لظهور دليل ما يربطها بأمها..

أنا!

أنا طالعة لثريا!

كنت أعلم هذا حتمًا لقد ورثت عن أمي طباعها الوطنية الثورية إذن..

فرحة كبيرة أن تجد ذلك الخيط الذي تستطيع به توثيق علاقتك بهؤلاء القريبين على قلبك.

نتعلق بطعام معين نحبه معًا، نسعد بالأماكن التي يحب كلانا زيارتها ونمضي محملين بأي ذكريات تخصنا معًا.. نتشابه فيها نحن فقط.

أما لعبد اللطيف فعودة ثريا للحياة كانت تعني له فقط ورطة جديدة.

خرجت «مهد» سريعًا بعد إثبات كاميرات المراقبة وجودها للتو بساحة الاشتباكات مصادفةً، شهادة والدها أستاذ الجامعة المشهود له بالتزامه،

PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وتدخل جارهم وأبيها الروحي حمدي.. كل هذه الأدلة كانت كافية لإخراجها من الحبس ومن دائرة الشك، ومن الاشتراك في أي نشاط سياسي لا بأرض الواقع الحقيقي ولا الافتراضي..

فاهمة قلت إيه!

نبه عليها حمدي الذي قلما عاملها بقسوة الأب وشدته.. ولكنه ما إن يفعل حتى تعرف «مهد» أن هذا أمر واجب النفاذ..

عاهدته على عدم إعادة ما فعلته مرة أخرى.

لم يبقَ من هذه الذكرى سوى جملة رنت بداخلها مثل جرس الخروج للفسحة بعد يوم مدرسي طويل.

أنا طالعة لثريا.

اكتشفت «مهد» أنها -ومثل أمها- تحمل كثيرًا بداخلها الذي تريد قوله للجميع.. إن لم يكن بالضرورة في السياسة ففي غيرها.

طوال عمرها تعاني من لعنة الشبه الكبير في الملامح التي تربطها بعبد اللطيف..

«كان نفسي أطلع شبه أمي».

كانت تقول لأم أحمد فتجيبها، نعم أمك كانت جميلة، بتوع المنصورة كلهم حلوين، كانت عينها ملونة وشعرها ناعم وبني فاتح، بيضاء مثلها كان هذا هو الشبه الوحيد الذي تصبّرها به أم أحمد، وبخلاف ذلك ورثت من عبد اللطيف أنفه السميك المفلطح يشبه أنف السنجاب وعينيه الواسعتين شديدتي السواد وشعرًا مجعدًا وأسود كالليل، في الجامعة كانت

Battanatiri PUBLISHING HOUSE نسخة غير مخصصة للطباعة

تسمع سخريات الطلبة حول ملابسها قديمة الطراز التي يختارها لها عبد اللطيف دائمًا بنفسه عندما يصطحبها للتسوق..

واخدة شياكة أبوها، تسمعها من الأصدقاء والأعداء، كلٌّ بطريقته.

قررت أن تمسح كل شبه يربطها بعبد اللطيف، الأستاذ جامد الشكل والقلب، الذي تركها في النيابة حتى جاء حمدي وتدخل وطلبه للشهادة، ساعات ليست طويلة، ولكنها كانت كافية لحسم انتماءاتها الجديدة.. من اليوم ستصبح «مهد» ابنة ثريا البنت الحلوة صديقة الجميع..

خلعت الحجاب واستبدلت معظم ملابسها بعد مشاكسات طويلة مع عبد اللطيف بأخرى تشبه أناقة أمها التي اشتهرت بها في السبعينات وسجلتها صورها القليلة..

ليس للأمر علاقة بالدين لدى أي منهما، هي كانت تخلع ما يربطها به حقيقةً، وهو كان يعارض خروجها من بين براثن نمط حياته الذي يعتبره مثاليًّا.

بالفساتين القصيرة الأنيقة، وتسريحة شعرها المجعد الطويل التي ميزتها دائمًا بعد ذلك لم تعد تشبه الدكتور عبد اللطيف لا من قريب ولا بعيد.

تسعدها جملة إنتي غير باباكي خالص.. تخلصت من أنفها بعملية جراحية ثم وبظهور الإصدارات الحديثة من الهواتف المحمولة صارت تتفنن في تعديل صورها على السوشيال ميديا لإضفاء الحمرة والنضارة لبشرتها.. وأمام آلاف المعجبين المتهافتين على حسابها ومديحهم لجمالها تكاد تشكر عبد اللطيف -لولا أنهما لم يعتادا تبادل الكلمات اللطيفة-

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

على سواد شعرها الفحمي الذي أضاف كثيرًا لبشرتها البيضاء، يشبه لون عينيها تمامًا، وكذلك فمها الكبير الذي ورثته منه، يداريه هو تحت شنبه الضخم، أما هي فتبرزه بألوان الروج الغامقة والفاتحة على حد سواء.

وعلى عكس ما توقعت من مواجهة كبيرة مع أبيها، هدأ عبد اللطيف وبدا مرتاحًا للتغير الجديد في حياتها.

تنهد محمود: آآآه لو كانت عاشت «مهد»، ولو كان تزوجها لما عرف منها كل ما عرفه هذا في منشوراتها، ولو كانت أصدرتها في كتاب لأخفتها عنه هو تحديدًا.

خصوصًا قصة عمليات التجميل هذه!!

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

جرح قديم

«نخفي عيوبنا وجراحنا بعمليات كثيرة تطال الملامح المشوهة والأحاسيس المحترقة معًا».

صدقتي يا «مهد»، ردد بينه وبين نفسه، وهو يقرأ جملتها.. وبأسفلها جرح قديم أخفته «مهد» بعلامة «الأونلي مِي»..

كتبت «مهد»:

«لا تتركوا صغاركم للحزن.. لا تدعوهم ينامون ببقايا دموع تزاحم البريق في عيونهم الصغيرة.. هذا الدمع الذي يتحجر فيها ليلًا أثقل على قلوبهم المرهفة من كل ما ترون فيه مبررًا لقسوتكم معهم..

امنحوا أطفالكم كل شيء..

المال والحب والاهتمام..

لا تخشوا من إفسادهم..

لا يمكن لحنان الآباء أن يكون مفسدًا أبدًا..

وإن فسدوا دلالًا.. حسنًا لا بأس بذلك..

سيصيرون أسعد حالًا من هؤلاء الذين تُفسد أحاسيس القسوة والوحدة والحرمان فطرتهم النقية»..

تلي ذلك حكاية ساذجة عن رغبتها في استكمال «ألبوم الشمعدان» التي كانت تدمنها، اعتادت إنفاق نصيبها من الجنيه الذي تقسمه أم أحمد على الصغار الأربعة مساءَ كل خميس لشراء هذا البسكويت..

Battandiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انفجر عبد اللطيف في هجوم شديد على أم أحمد، معترضًا على النهم الشرائي والعادات الاستهلاكية السيئة التي تربي عليها الأولاد الأربعة، أهانها بطلبه منها أن تترك التلفزيون الذي تدمنه وتصنع حلوى بيتية مفيدة للأولاد بدلًا من هذا السم الذي تعطيه لهم.

أنا بَدّي ولادي سم!! انتقلت المشاجرة بينهما -التي تذكرها «مهد» جيدًا بكل تفاصيلها- لحمدي لتكون أول خلاف بينه وبين عبد اللطيف «كل هذا بسبب باكو بسكويت»، انتهى الأمر بتحالف غريب بينهما وحوارات ممتدة حول الجيل الجديد المجنون بالشراء، أغلفة ملونة تخفي وراءها تنشئة جيل ضعيف على نمط استهلاكي سيئ وتغذية ضارة.

تخيل الولاد دول لما يكبروا ممكن نطلب منهم يحاربوا ازاي؟!

افتتن حمدي بآراء عبد اللطيف من هذا اليوم، وسار في ركبه، يحاول الاستفادة من مهاراته في عالم التجارة والربح والادخار، ليضيف سببًا جديدًا لأم أحمد تكرهه لأجله، حيث كان المدبر الناصح غالبًا برفض رغبتها التي لا تقف لتغيير أجهزة البيت الكهربائية، وتجديد الأثاث.

ما هذا يا «مهد»؟!

كل هذا الكُره لعمي عبد اللطيف، لأنه كان يرفض إعطاءك مصروفًا لشراء بسكويت الشمعدان؟!

خرجت جملة عمي عبد اللطيف منه لتترافق مع صوت الهاتف الذي يحمل على شاشته اسم ورقم رشا لتذكره بما نسيه، وهو حاجته لرفع الراية البيضاء أمام عبد اللطيف ليقبل بزواجه من رشا.

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

إن كان هناك شخص يحمل سر اختفاء «مهد» أو حتى موتها، فهو بالتأكيد لانا وليس عبد اللطيف.

«عمي حمدي لا يمكن يسيبها»، ارتاح لجملة رشا الأخيرة التي أخلت في ذهنه مساحات فارغة، وأعادت طلاءه من جديد لاستقبال مكالمتها.

فتح معها حوارًا حول ذكريات جيلهما، كشفت له رشا كيف تعتز دائمًا بالتربية الصارمة التي تلقتها من أمها، حيث لم تكن تسمح أبدًا بشراء الحلويات، بالإضافة لمهارتها في الطبخ التي ورثتها عنها «مهد» برضو كانت يتيمة، الله يرحمها، طنط ثريا وعمي طبعًا ميعرفش يطبخ، فاتعودت على أكل الشارع..

إحنا بقى ماما مربيانا عالغالي.. اختصرت ذكرياتها ضاحكةً.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

شقة الزوجية

الحقيقة أن عبد اللطيف وجد في أم أحمد حلًّا لورطته مع «مهد»، فترك لها عبء تربيتها..

لم يكن يزعجه كثيرًا وجود ابنته مع الصِّبية الثلاثة «أحمد ومحمد ومحمود» طوال اليوم، تذهب معهم صباحًا إلى ذات المدرسة المشتركة «بنين وبنات»..

ثم تعود لتبدل ثيابها وتنزل مسرعةً لتناول الغداء معهم..

تلعب معهم في البيت، في المدرسة، تشاركهم مباريات كرة القدم وسهراتهم الصبيانية في الحارة حتى وقت متأخر من الليل.

لم يضايقه هذا الارتباط سوى اليوم منذ مشاجرتهما الأولى والأخيرة.

رفض طلب حمدي أن يبيعه شقة «مهد»، قال أكيد دا رأي الحاجة، هي فاكرة إنها هتحب بنتي أكثر مني؟

منذ اتفاقهما القديم لأول مرة تخالف أم أحمد تعليمات زوجها تفادي الصدام مع عبد اللطيف، لم تتقبل أبدًا قراره ببيع شقة «مهد».

قالت لكليهما مدام مدفناش جثتها، يبقى بيتها يفضل مفتوح في انتظارها..

أعادت المواجهة ذكرى خلافهما الأول الذي سجلته «مهد» بمذكراتها.

شرحت لمحمود تفاصيل المشاجرة أملًا في كسب تأييده وإقناعه بأن يشتري هو الشقة، كان هدف «مهد» من الطلب غير المتناهي لشراء الحلوى،

Battanuni
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

هو الاختراع الذي تلح على شرائه «جهاز كمبيوتر»، لتأتيها الصفعة التي تلقتها على وجهها من والدها، حين قالتها لأول مرة ردًّا على رفضه طلبها «خلاص اديني من فلوس ماما».

باتت «مهد» ليلة عصيبة في بيت «أم أحمد»، حيث فرت هاربةً من البيت بأقصى سرعتها لتحتمي بها.

لم تعد علاقتها بوالدها بعد ذلك اليوم لسابق عهدها..

جلس طويلًا مع حمدي يؤنبه «مراتك هي اللي فتحت عينها على ميراث أمها».

«مهد» تعلنها بصراحة في كل وقت، والدي كان قاسيًا جامدًا وأبًا مهملًا..

واليوم لو كانت هنا لتلقت صفعة جديدة إذا فكرت أن تطالب هي الأخرى بالشقة، عوضًا عن ذلك كان حمدي هو من تلقى الصدمة، كان قد أقنعه بعدم بيع الشقة لشخص غريب، رفع الإعلان، ثم اليوم وعندما طلب شراءها لنفسه..

بدا الأمر ظاهريًّا لحمدي خلافًا من أجل الإنسانية من أجل المبادئ التي لم يعرف عبد اللطيف يومًا طريقها «وفاءً لذكراها، حبًّا لرائحتها، إحياءً لاسمها».

وعلى الركن الآخر من عالم الرجال كان باطن القصة لعبد اللطيف يخفي «رائحة نتنة»، كما وصفها، الحكاية كلها إذن استغلالًا لتزيد نصيبك في البيت شقة أخرى.

Battanüllij PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تبادل الطرفان ما خفي من خلاف بينهما في المبادئ والأهداف والطريقة كل هذا العمر الطويل.

كيف أضاع حمدي من أجله فرصته في أرض الرحاب التي تنازل عنها لأخيه من أجله، وكيف أكرمه عبد اللطيف في أسعار الشقق التي خصصها له في العمارة، خصوصًا شقة محمد التي حلّت خلافًا كبيرًا نشب بين الثلاثة حول أحقيتها، حتى حسمت خطبة ابن اللواء حمدي لابنة عبد الهادي المسألة وأُجبر عبد اللطيف على التنازل عنها.

لولاي كان زمان عبد الهادي خد نصيبه منك.. كنت فلست ولا كنت عرفت تتملك دا كله.

لولاي كان زمانك في إمبابة لسه، ولا عمرك كنت عملت شقة لكل واحد من ولادك.

ما بين القطبين وقف محمود ورشا يتابعان ما يجري، في انتظار تحين فرصة لفتح موضوع زواجهما ليحسمان بها الخلاف الجديد ويعيدان لم شمل الجميع، ولكن هذا لم يحدث.

بدت الفرصة أشبه ببالونة هليوم أفلتت من يد الطفلين الفرحين ببدء حياتهما الجديدة.

Ballantine PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ألمانيا

الحل الوحيد نهاجر ألمانيا..

مثل علكة بابلز، تلوك رشا هذا الحل لكل مشكلة، وتختم به كل جملة نقاش..

يقارن محمود بين لهفتها للسفر، ورفض «مهد» القاطع لهذه الفكرة، الذي كان يوافق هوى نفسه.. فهو لا يطيق الغربة لسبب لا يفهمه هو الآخر، يسأل نفسه نفس السؤال الذي يسأله لـ«مهد» كل ما رفضت فرصة معروضة عليه بالسفر؟ لا أهل ولا أصدقاء.. عوّضه نجاحه ونجاحها بأسباب تبرر المعافرة اليومية لكليهما بين الطرقات المزدحمة للقاهرة بقسوتها، وعوضته نظرات الإعجاب التي يتلقاها بوجوده بجوارها في كل مكان، الشهرة والزحام، النجاح والمعافرة، كل منهما زوجان متلازمان بحلوهما ومرهما معًا كالأبيض والأسود..

والآن..

تحاصره نظرات الريبة من الجميع بعد قرار خطبته من رشا التي حرصت على إغراق صفحات التواصل الاجتماعي بكل تلميح يؤدي إليه.

تؤلمه تعليقات الفولورز هذا الذي كان يتباكى عليها منذ شهور قليلة؟! هذا الذي احتلت صورته بتي شيرته المهترئ ونظرات الحزن تأكل ملامح وجهه لا تكاد تبين عينيه من كثرة ما اعتصرهما البكاء عليها، تحذيرات من الوقوع في حب مثل نوعه من الرجال تملأ السوشيال ميديا.

تراجع نجاح شركته كذلك بفعل انسحاب زبائنه من متابعي «مهد»، وقراراته المتذبذة بالفتح والإغلاق.

نهاجر ألمانيا، لما لا؟ يقولها لنفسه ولرشا ولأمه وللجميع، ثم لا يقوى على تنفيذها فعلًا.

تحجج بملف القضية المفتوح، والتزامه أمام اللواء حمدي.

«حمدي» الذي أصبح عدوًّا لعبد اللطيف الآن، وبالتبعية كعادتها في اقتفاء أثر عمها عدوًّا لها.

سألته سؤالًا مباشًرا: ماذا لو تبين أنها حية؟ هل ستعود لها؟!

كان صادقًا في إجابته القاطعة بلا.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

زواج.. طلاق

ستكون هذه خطبته الثانية التي ينهيها في أقل من عام، لو كان فتاة لتم وصمها بختم «غير صالح للارتباط»، يتشممها كل رجل يقترب منها أولًا للتأكد من أنها ما زالت تحمل مذاقًا ورائحة جيدين بما يكفي لابتلاعها..

ألقت به دعابته في بئر ذكريات «مهد»، كيف فعلتها، أنهت ثلاث خطبات في عام واحد.

بخلاف زيجتها التي كانت أيضًا من أسباب تعاطف محمود معها.

تابع معها قصة خطباتها الثلاث الفاشلة بانبهار بجرأتها في اتخاذ القرار، ليبادر بعدها بعرضه الذي قبلته فقط فيما يبدو لمهارته التسويقية في تقديمه..

قال لها: «اسمحيلي أكون أنا مسؤولًا عنك من النهارده، وأشيل عنك كل شيء».

قبلت فورًا، على الرغم من كل ما قالته عن كونه ليس أكثر من صديق، ولم تشعر يومًا بشيء نحوه.

خرجت ضحكته الساخرة من بين صدره، مذكرةً إياه أنها لم تسمح له سوى بحمل طرف ثوبها الأبيض، بينما تسير هي في طريقها لفارسها الحقيقي، وأن كل ما يحمله منها الآن بعد وفاتها هو شعور بالمسؤولية تجاه سيرتها.

لا يليق الانتحار بـ«مهد».

أبدًا.. لا يليق.

عاد حمدي بعد مشاجرته الأخيرة مع عبد اللطيف ليراجع أوراق حساباته مع عبد اللطيف، لأول مرة يستفيد من علاقاته كظابط شرطة لخدمة شخصية.

تحدث إلى صديق له بمباحث الأموال العامة ليعيد تتبع ملف عبد اللطيف المالي، ثم تحدث إلى صديق معرفة بمباحث الجرائم الإلكترونية سلّمه جهازي «مهد» الآيفون واللابتوب، أو بمعنى أدق حطامهما الموجودة بحوزته من وقتها، وكذلك طلب منه تتبع أخبار المدعوة لانا زيدون.

جاءت نتائج البحث الثاني أسرع، أفاده الصديق إجمالًا أن نقل ملفات اللابتوب ممكنًا بنقل الهارد إلى جهاز آخر، أما الهاتف فتدمر تمامًا، ولم يعد ممكنًا استعادة أي شيء عليه.

- «البوردة اتحرقت» آسف يا فندم كما أن الشريحة غير موجودة..

ولانا..

استقبلت لانا بالفعل طردًا من «مهد» النادي بتاريخ لاحق لاختفاء «مهد» يضم ملابس وحقائب وأحذية وساعات ونظارات..

جديدة؟! سأله حمدي.

قال: لا يا فندم، الشحنة اتفتحت فعلًا قبل ما تسافر، وكلها حاجات مستعملة..

برقت عينا حمدي، قطع كلام صديقه راجيًا أن يكثّف البحث وراء هذه الفتاة..

Ballantine PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أرجوك.. الموضوع يهمني بشكل شخصي.. عاوز أعرف كل حاجة عنها..

استدعى محمود لمكتبه، سأله مرة أخرى عما قالته لانا له، أعطاه «فلاشة» أنت الوحيد اللي ممكن أأتمنه يفتحها، دا كل اللي كان على اللابتوب.

أنا عارف إنك ولد أخلاقك عالية ومحترم، ومهد صديقتك قبل ما تكون خطيبتك..

كل صورها وأسرارها اللي على الفلاشة دي في أمانتك يابني.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لابتوب «مهد»

الصور ليست قليلة الشأن، فهي أيضًا تملك لسانًا من نوع خاص تحكي به.

صور ديكورات وأثاث، صور ملابس وحقائب وإكسسوارات..

مهووسة كانت بالحقائب، والساعات على وجه الخصوص من كل البراندات..

وصور حفل خطبتهما..

عبد اللطيف يحتضن حمدي تضيء الضحكة وجهيهما، وأم أحمد تستند عليه ويحاوطها ولداها الكبيران، بينما يمسك هو بيد «مهد» برفق.

ثم الملف الأكثر مرارة بحياتها صور لزواجها الأول.

سأل محمود نفسه: «معقول يا (مهد) بعد كل ما حدث لك في هذه الزيجة تحتفظين بصورك معه؟».

فتح الملف..

لا صور معه..

ليس هنالك حكاية معه تروى بالصور، وحيدة بكل صورها خلال هذه الفترة من حياتها التي قضتها معه بدبي.

غالبيتها جمعات مع صديقات ترتدي وسطهم العباءة الخليجية، وخروجات بالمولات الكبيرة ومحلات الماركات التي بدأت عشقها بهذه المرحلة.. تستعمل بعضها أحيانًا للنشر على إنستجرام بتعديلات بسيطة

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

يعرف أنها حافظت بشدة على صلاتها بأصدقاء تلك المرحلة، وإن كانت مجرد علاقة أونلاين.

سيرة زواج «مهد» الأول، سيرة لا يرغب أحد في تذكرها.. نطقت الصور تكمل الناقص من الحكاية، وتعيد تذكيره بما يعرفه من «مهد» عنها.

لم تأبه «مهد» لرفض والدها أو ربما كان رفضه سبب تمسكها بهذه الزيجة.

«إنتي لسه في خامسة جامعة» قال عبد اللطيف.

فردت بحسم «مش مهم لن يتم الزواج على كل حال غير بعد التخرج».

نجحت بتفوق كعادتها وقبلت تعيينها بالجامعة، وسجلت للماجستير، وفي شهرين كانت في طريقها إلى دبي.

أربكت هذه الزيجة حسابات الجميع، وأولهم أم أحمد التي كانت تخطط لخطبتها لابنها، وعبد اللطيف الذي كان يخطط لزيجة أكثر فائدة، ولحاتم صدّيق، أستاذها أكثر المعترضين على زيجتها، رافضًا أن تترك استكمال دراستها الناجحة وعملها بالجامعة، يا لهذه الحكاية التي كان يظنها أكثر براءةً، يسمعها منها كلما جاءت سيرة حاتم، كلما سألها عنه عن علاقتها به، تلخص ولاءها له باختصار، قائلة: «أكتر شخص وقف جنبي في المحنة دي».

بدأت من يومها أيضًا علاقته بعد اللطيف باتصالاته المتكررة معه ليحاولا معًا إقناعها بتغيير رأيها، تطورت لتشمل بعض المصالح التجارية والشراكات غير الرسمية في غيبة «مهد» بزيجة اعتبرتها فرصة لتحقيق كل المكاسب بضربة واحدة، الفرار من بخل عبد اللطيف، لحياة أكثر رغدًا، وإغاظة بنات عمها بحصولها على هذه الفرصة التي تمنتها كل منهما باعتباره جارهما، وحصلت عليها هي..

وأخيرًا الانتقال بعيدًا عن سكنى «الحدايق»، بعد أن وعدها بتسجيل شقة الرحاب باسمها..

حسام أمين..

مهندس وغني وعايش في دبي..

يعني لقطة..

انفجرت رشا ونرمين وأمهما غيرةً، فقد كانوا يخططون لزيجة مثل هذه تنقل البنات إلى عيش مريح بجوار أبيهم في الخليج.

الانتصار على أماني تحديدًا وحده كان كافيًا لتحزم حقائبها في شهر واحد..

ضربت «مهد» بهذه الزيجة كل العصافير التي عششت في رأسها وتخلصت من إزعاجهم لها.

جاءت الصدمة بأول ليلة، غرفتا نوم منفصلتان.

حملقت «مهد» في وجهه الذي تقمص ملامح طفل في العاشرة، وهو يقول «أنا أصلي متعود أنام لوحدي».

تربى حسام لأسرة ثرية نوعًا ما، يملك كل طفل غرفة بمفرده، تعوّد على ممارسة خصوصيته بها «أنا أحب أحافظ عالبرايفسي بتاعتي» كما يقول، وتعوّد ذلك أكثر وأكثر خلال سنوات غربته الطويلة.

استسلمت «مهد» لضياع أول أحلامها، وهو أن يحتضنها أحدهم وقت النوم، يضع يديه على شعرها ويربت فوق ظهرها بيده الأخرى حتى تنام، هذا الإحساس الذي لم تعرفه يومًا منذ وفاة ثريا التي لا تذكر كيف كان

حضنها، حتى مع الكوابيس التي كانت تطاردها كل ليلة لم تفكر أبدًا في اللجوء لحضن عبد اللطيف، تشعل بنفسها مصدر النور الصغير وتردد الأدعية وآية الكرسي والمعوذتين، ثم تلجأ لخيالها لينقلها إلى عالم آخر.. أي عالم آخر، ولطالما منحها خيالها عوالم كثيرة في صحوها قبل نومها، تخاطب أشخاصًا غير موجودين، تندمج معهم في حكايات مسلية حتى تضحك ثم تنام..

حتى في يقظتها يطارها أشرار كثيرون.. يطاردونها وهي تسير، فتتلفت للخلف بحثًا عن شبح يكاد يمسك برقبتها ليؤذيها، تضع مكتبها في مواجهة باب الغرفة، وتلصق الكرسي بالحائط، فتضمن تأمين ظهرها مع ما في ذلك من مشقة دخولها وخروجها من المسافة الضيقة بينهما.

وعلى عكس المفروض يزيد هذا الإحساس لقمته في عز سكينة الصلاة، حيث لا مفر من ترك مسافة مكشوفة خلف ظهرها كافية لتدفعها للتعجيل بإنهاء الركعات دون لحظة توقف، تلتقط بها أذنيها ما يردده لسانها.

ترك لها حسام السرير الكينج سايز الذي يستحق فعلًا كل المديح منه عن الراحة التي يمنحها هذا النوع تحديدًا من المراتب، وكيف أنه لا مثيل له بمصر بهذا الحجم؟

منحها حسام شيئًا آخر في المقابل، سحبها من يديها ليدخلها كل الأماكن التي كانت تحلم بزيارتها وعرّفها بأفراد المجتمع الراقي الذين تمنت مقابلتهم فردًا فردًا..

فعلتها «مهد» حقًّا..

تعرفت عليهم واحدًا واحدًا..

Battanaui
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

يحتاج الأمر فقط لتجاوز التعليق الأول المتكرر حول الفارق الكبير في الشكل بينها وبينه «شكلكم مش لايق على بعض»، ثم تعليقات عن طريقتها البلدي في الحديث والتهام الطعام، تجاوزتها مع اعتياد خروجات المولات، وعزومات المطاعم مع صديقاتها من كل الجنسيات.. ساعدتها الكوبونات التي كان يحصل عليها حسام من عمله بالمجان، وإلا لما استطاعت رد كثير من الدعوات بمثيلتها.

لم تعد هي الطفلة التي تشبه ملامح والدها ما قبل سفرها وزواجها من حسام.. احلوّت وبقت عروسة، كما كانت تصفها أم أحمد دائمًا، بشرتها البيضاء وعيونها الواسعة شديدة السواد، وقوامها الممشوق، أما حسام فطويل فعلًا، ولكن مع نحافة شديدة، قسمات وجهه تزعج الرائي لها بعدم تناسقها، عيون ضيقة، وأنف كبير، ورأس ذو شعر خفيف يتراجع لمنتصف جمجمته الكبيرة «أكيد عشان فلوسه»، هذا هو تفسير الزيجة الذي نقلته شيرين لكل من تعرفن عليهن جديدًا.

بحكم كونها شخصية اجتماعية تبدأ هي في عقد الصداقات ثم تجر لها «مهد»، ولكنها قبلها تنقل لهن الصورة التي رسمتها لمهد كشخصية قفيلة وبلدي ومادية أوي.. ثم سرعان ما تقبل «مهد» التحدي وتحولهم لأصدقائها هي.

نسيت رسالة الماجستير التي وعدت دكتور حاتم مشرفها بإنهائها، ترد على اتصالاته الدولية التي يجريها خصيصًا من أجل تذكيرها بمهد تلميذته المتفوقة التي كانتها، تعده باستكمال بحثها ودراستها، ثم تعود تجذبها

Battanaii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أضواء المولات، والمشغولات الذهبية، دائمًا ما ترتدي شيئًا ذهبيًّا لتؤكد الصورة التي رسمتها عنها شيرين زوجة صديقة حسام في الشركة «مادية بتحب الفلوس والدهب».

لم يكن السبب الوحيد لارتداء «مهد» للذهب هو حبها له، ولكنها المفاجأة الثانية التي اكتشفتها في شخصية حسام وهي بخله، لولاه ما صدقت أن البخل صفة عند الكثيرين، كانت تظن أنها خصوصية احتكرها عبد اللطيف لنفسه..

ليس بخلًا بالمال فقط، بخيلًا في كلماته، في عطفه، في اهتمامه، حتى نظرة عينيه، نعم هذه الرمشة البسيطة التي لا تتكلف جهدًا قدر ما تحرك فراشة أجنحتها يبخل بها.

لا يطاوعها في شراء شيء سوى الذهب، الملابس إسراف لا فائدة منه، والكتب هنا غالية، والشكولاته للعيال فقط.

يحاسبها على فاتورة السوبر ماركت بندًا ببند..

وفِّري..

الحياة هنا غالية..

دبري نفسك زي الناس..

أوفر ازاي.. هو إحنا ورانا حاجة هنا غير الأكل؟

تحتدم المشكلة كل مرة بينهما، يصل وسط صراخه للجيران، وأولهم شيرين التي تعرف كل كلمة قالها لها عن طريق زوجها، جارهم، صديق حسام الذي لا يخفي عنه شيئًا، وتنقلها بأسوأ وأكبر منها للجميع.

نسخة غير مخصصة للطباعة

يحل حسام المشكلة في النهاية بحل واحد يشتري لها قطعة ذهب، وفي كل مرة يعيد سؤاله عليها «كدا معاكي إيه 3 غوايش، سلسلة، خاتمين، الانسيال اللي جبتهولك في عيد ميلادك، و...».

لتظهر «مهد» في الخروجة التالية بقطعة ذهبية جديدة تلمع في صدرها، تتمايز به وسط زوجات صديقاته، تنفي ما قالته شيرين أو تثبت نجاحها في حسم المعركة لا يهم.

انقطعت علاقتها ببنات عمها وكأنهن يعاقبنها على زواجها وسفرها للخليج «الحلم».. الذي لم تتوقف أمهما على الدعاء لبناتها بتحقيقه.

لا يربطها بمصر سوى مكالماتها اليومية مع أم أحمد، خاصة مع دخول الإنترنت ضبطت «مهد» لها توصيلات الإنترنت لتستطيع محادثتها باستخدام الكاميرا..

صحيح من خلال هذه الكاميرا أيضًا رأت ما لم تكن تتمناه..

سجلت «مهد»:

(ديسمبر 2011)

محمود يموت، يسقط هكذا.. بسيطًا وخفيفًا كما كان يفعلها بينهم هم الأربعة، وهو أصغرهم يتعب سريعًا من الجري، فيتظاهر بالسقوط ليجروا جميعهم لإنقاذه..

يحملونه بين أيديهم، ابتسامته فوق وجهه، تظهر بوضوح خجلًا من خلف عينيه المغمضتين، ما أن يلقياه على الكنبة الموضوعة بمدخل البيت ويسمع صرخة أمه..

Battanäiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

محمود، مالك يا حبيبي..

يعيد فتح عينيه مبدلًا لهفتهم عليه لسخط من اضطرارهم قطع اللعب بسببه..

حمله ثلاثة غيرهم وضعوه أمامها على نفس الكنبة، بعد إصابته بأحد الأحداث الكثيرة المتلاحقة كان في طريق عودته للمنزل لا أكثر اضطرته الجموع المتدافعة للاشتراك في العراك، وأصيب بطلق مجهول، باقي عام واحد ويتخرج ليصبح ضابطًا، تلقى أبوه ترقية في العمل، وتم اعتباره شهيدًا والتجاوز عن هذا العام ومعاملته معاملة ضابط متخرج، وتخصيص معاش أيضًا له.

(فبراير 2012)

أول زيارة لمصر بعد ثورة يناير، رفض حسام نزولهما العام الماضي، خوفًا من الأحداث أو توفيرًا للنفقات، لا يهم، لن تفرق كثيرًا.. المهم أنها تأخرت عن زيارة مصر ما بدا لها قرنًا من الزمان.

تخيلَتها مختلفة، تخيلت كل شيء، وقد تبدّل..

هكذا بدت لها هناك من خلف الكاميرات، وكأن الملايين التي تنزل يوميًّا ترفع التراب حبةً بحبة لتغسل هذه الأرض المرهقة بسنوات الغبار الطويلة..

لكن ما يحدث كان، أنهم يعودون في كل يوم ناقصين واحدًا..

ابنًا.. حلمًا..

لا يهم..

نسخة غير مخصصة للطباعة

المهم أنها هي مصر بذاتها، كما تركتها تمامًا، ولا حبة تراب نقصت من مكانها على الرغم من كل عمليات غسيل الشوارع..

عامان كاملان يا «مهد»، عامان كاملان لم أرك «ضمتها أم أحمد التي أصبح حضنها حارًا أكثر من أي وقت مضى»..

تعرف أنها تحب البحر، تحب رأس البر، اقترحت عليها نروح العشة نغيّر جو..

لولاها ولولا حالتها الصحية ما عادت لتكرار اجتماعات العائلة مع بنات عمها مرة أخرى.. لا يخفين سعادتهما وأمهما بعدم نجاحها في فعل أي شيء يجعلها تكسب نقطة لحسابها ضدهن.

مفيش حاجة جاية في السكة؟!

لا يا طنط، والله مفيش لسه.

ربنا يديكي يا حبيبتي، نرمين عندها 4 دلوقتي.

معقول يا «مهد» نفس لبس السنة قبل اللي فاتت؟!

دا أنا من كتر ما بشتري لبس أنا والولاد محمد بيقولي هتحتاجي كونتينر واحنا راجعين يكفي هدومك بس، بدأت نرمين في استعراض تفوقها في الأناقة التي ميزتها عن «مهد» طول حياتها، وجعل كفتها ترجح لدى محمد ابن الحاجة، الذي تمرد بشدة على نصيحة أمه بالارتباط بمهد هو الآخر مثل أخيه الكبير «(مهد) إيه يا ماما.. دي تيجي إيه في نرمين وشياكتها وجمالها».

استبدلت كل ثيابها فور عودتها لدبي بالعباءة السوداء والحجاب، وقالت إن هذه رغبتها، متحملةً تعثرها في السير.

لم تتقن أبدًا السير بالعباءة الطويلة.. يدخل طرفها بين عجلات عربة السوبر ماركت، وتحت طرف حذائها وأحذية الآخرين متسببًا في إحراجها أمام الجميع، ومع هذا أراحها اللون الأسود من إظهار أشياء كثيرة أولها الكدمات التي يهديها لها حسام بين الحين والآخر بمزاحه الثقيل، ورذاذ دموع أم أحمد التي لا تتوقف في كل اتصال تكاد تخرج من الشاشة لتغرس بقعًا حمراء فوق جلدها المصاب بحساسية غير مفهومة، أرجعها الأطباء لسبب نفسي، وأخيرًا بخل حسام الذي حرمها من شراء ملابس جديدة.. زاد الأمر عن حده مع تأخر «مهد» في تحقيق حلمه بإنجاب الولد.

عام آخر أوشك أن ينقضي وليس هناك بد من فتح الموضوع.

لازم نكشف يا حسام، وافق سريعًا، في اليوم التالي اصطحبها للطبيب ليجريا التحاليل المطلوبة.

وكانت النتيجة يومًا ممطرًا على غير عادة الطقس، قطع البَرد كادت تحطم السيارة التويوتا الجديدة، وحسام بالكاد يسيطر على مقودها.. كلمات الطبيب الهندي ترن في أذنه متقطعة تمامًا كما نطقها.

في مشكلة كتير.. بيبي صعب.

شنو صعب سأله حسام الذي يجيد تبادل الحوار بلهجة خليجية.

صعب سير أي أم سوري ما في سبيرم قليل ما في أمل.

هدأت «مهد» كثيرًا من روعه بعد عودتهما، في أمل هنروح لدكتور تاني وتالت.

تمسّك بجملتها وأغلق الموضوع..

Bahandi PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

يثق حسام في كونه زوجًا لا يُعوّض «طبعًا هتختاريني، هتلاقي فين زيي، سرعان ما استعاد سماجته في المزاح معها، وإنتي كنتي هترجعي مصر تعملي إيه يعني.. ترجعي تعيشي ورا الجاموسة تاني زي ما كنتي»، ترد عليه «كان يوم أسود لما خدتك معانا بيتنا في الدقهلية».. أنت عارف إن دا بيت جدي، البيت دا كان سرايا زمان..

تنهي ضحكاته السمجة الحوار، وأي حوار قد يبدأ بينهما.

رحلة علاج مؤلمة وصعبة يتعامل معها حسام بثقة في النفس وتتعامل معها «مهد» بقلق وتوتر، كما لو كانت هي المعيبة، لم تجرؤ على مشاطرة سرها مع أي من المحيطين كلهم، أصحابه في الشغل ومش هينفع يعرفوا حاجة، وخالتي صعب تفهم مشاكل زي دي.

التحاليل الجديدة قالت صحيح العدد قليل، لكن الحمل ممكن بمساعدة عمليات التلقيح الصناعي، وهي النتيجة التي كانت بمثابة قبلة الحياة لحسام ليستعيد ثقته بنفسه ويقلب الآية عليها..

معاناة جديدة بين غرف العمليات.

عملية لإزالة ألياف بالرحم، ثم أخرى لإزالة أكياس فوق المبيضين، ثم ثالثة ورابعة وخامسة للتلقيح.

Baffandi
نسخة غير مخصصة للطباعة

المدونات

تحكي «مهد» ما تلا ذلك بمنتهى الأريحية والفخر على صفحات الإنترنت يعرفه القاصي والداني.. كدليل على قوة شخصيتها كسترونج اندبندنت وومن.

فقط ما سبق هو الجزء الوحيد الذي أخفته بملف وورد استطاع الوصول إليه بعد إلغاء خاصية «هايدن» التي أضافتها للملفات..

إلى جانب «المدونة» التي كانت تكتبها باسم مستعار يعرف محمود هذه المدونة الشهيرة بأيام ظهورها، ولكنه لأول مرة يعرف أنها تخص «مهد»..

صرخ متفاجئًا: يااه إنتي كنتي «بنت مصرية مغتربة».

تحتفظ في ملف خاص مخفي أيضًا بنسخة من الأشعار والخواطر التي كانت تنشرها تحت هذا الاسم المستعار، وغيرها لم تنشر من قبل.

نشرت بعضها في كتاب لها منذ عام ولهذا تأكد لمحمود أن هذه الملفات تخصها يعرف هذا الكتاب الذي تلقفه متابعوها على السوشيال ميديا.. بيع منه ست طبعات بعام واحد، وهاجمها عنه أكبر عدد من النقاد والمختصين بالأدب لرداءة مستواه.

تابع محمود تطورات قصة «مهد» مع رحلة العلاج التي كانت تكتبها يوميًّا مع أصدقائها على المدونة.

نصحت نفسها والجميع، صلّت ودعت كثيرًا بالفعل، ومع هذا فشلت العملية تلو العملية تلو العملية ولم يتحقق الأمل.

بدا حسام متململًا من نفقات العمليات، لا يخفي تهكمه عليها، تفتكري العملية هتنفع معاكي؟!

حتى جاءت زيارة حماتها القصيرة التي أنهت هذه الزيجة..

شهر كامل..

كانت المعركة تشتعل يوميًّا مع إشراق الصبح، ولا تنطفئ إلا من أجل استراحة قصيرة للنوم، قائمة طويلة لا تنتهي من النقد، بدءًا من السخرية من طبخها واعتمادها على الدليفري وتضييع فلوس ابنها على المشتروات التافهة وقعدتها أمام الإنترنت طوال اليوم.

شهر كامل من الخلافات اختتمته الحماة بحوار سري سمعته «مهد» بالصدفة وقد أيقظها أرقها المعتاد.

أنا كويس يا ماما، هي بس عندها شوية ألياف في الرحم.

وأنت هتصبر لإمتى؟

أهي عملت عملية جديدة، لسه بدري يا ماما متقلقيش.. ربنا يكرم.

يكرم ازاي يابني وأنت بتقول عندها مش عارف إيه في الرحم.. دا الرحم دا أهم حاجة، دي عمرها ما هتخلف.

أنهت الأم رأيها القاطع بدموع حارقة على مصير ابنها، وبكاء مسموع -ربما كان هو ما أصاب «مهد» بالأرق، أيقظها من كابوسها على كابوس جديد- سمعته يطمئن أمه قائلًا: ولا تسوى دمعة من عينك يا ماما.

مسح دموع أمه ووعدها بأن يرمي «مهد» في أول طائرة تعيدها لبيت أبيها، ليحقق بعد ذلك لأمه أملها فيه.

نسخة غير مخصصة للطباعة

توقفت الأم عن البكاء غسلت وجهها ونامت لتلحق بطائرتها العائدة لمصر في الصباح الباكر، وفي الصباح أسمعتهما «مهد» كل ما قالاها مرة ثانية لم ينكر الاثنان.. تطورت المشاجرة ثم انتهت بقذف «مهد» لوسادة الصالون في وجه حماتها لينهال عليها حسام ضربًا.

لم يقاوم حسام رغبتها في الانفصال، فقط طلب منها إمهاله يومًا أو يومين ليحجز لها تذكرة العودة.

عادت «مهد» إلى مصر بحقائبها القليلة التي لا تضم سوى عباءات سوداء وبضع ملابس بيتية مستهلكة.. فتشت كثيرًا، ولكنها لم تجد علبة الذهب..

مش موجودة!!!

أخدها ابن الـ...

أنا ازاي كنت عايشة معاه معرفش.

حكت «مهد» بخلاف هذه المذكرات في وجود زوجة عمها وبناته وحكت له هو أيضًا عن خلافاتها مع حسام، بخله، وعصبيته، وكلامه المُسمّم للبدن، وتعلقه الشديد بأمه، وحكت قصة ضربها لحماتها لكل الباحثات عن نصيحتها في حسم العلاقات الزوجية السيئة «خبطة على راس اللي يضايقك.. دي أحسن طريقة تنهي بيها توكسيك ريلاشينشيب».

«متسمحيش لحد يتحكم فيكي.. اوعي تسكتي على الإهانة مهما كان التمن، كرامتك أغلى» منشورها المتكرر الذي يحفظه الجميع.

تغاضت زوجة عمها في وقتها عن كل ما قالته «مهد».

فهي سبب هذه الزيجة بشكل غير مباشر باعتباره جارهم وأسرته، أو ربما لأنها تعرف كثيرًا عن هذه الخلافات ليس من «مهد»، ولكن من حماتها جارتهم التي تحكي لها تفصيليًّا كل شيء من وجهة النظر الأخرى..

أما وقد وصلت الأمور للطلاق..

لأن يعيدك بملابسك فقط.. فلا..

عندما أخبرتها «مهد» بسرقته «علبة الدهب».. بلغ غضبها حده الأقصى، قامت من مكانها باتجاه منزل جارتهم استعدادًا للتشاجر معها، قالت:

-لا، دا واطي بجد..

كدا ميتسكتش عليه..

عادت من مشاجرتها خالية الوفاض.. ثم صارت أكثر هدوءًا بعد ما سمعته من والدة حسام، واستعادت علاقتها الطيبة «بجارتها الطيبة» التي تحملت إهانة من في عمر ولادها.

تكتفي بالمواساة لمهد قائلة: يلّا ربنا يعوضك أحسن منه.

رد فعل عادي منها، ما كان عجيبًا هو تعاطفها الأول، فسرته «مهد» هنا بين سطورها قائلةً: ارتاحت؛ فأنا لم أعد بحال أفضل من بناتها، لست أفضل من رشا التي قاربت الثلاثين دون زواج.

ولا أفضل من نرمين الكبيرة التي على الرغم من زواجها من محمد وسفرهما الذي دبره لهما والدها إلى الكويت، إلا أنها كانت دائمة المقارنة بين مرتب حسام كمهندس بدبي ومهارته في تدبير الأموال، وحياتها هي وزوجها بالكويت بدخلهما الذي يتبدد بين الأطفال الأربعة التي جعلت

الحياة هناك أشبه بحياتهم في مصر.. يا دوب اللي جاي على قد اللي رايح.

كانت أماني أول من نقل لها خبر زواج حسام الجديد، وحمل زوجته وولادتها، وفي كل مرة تغلف أخبارها المستفزة عن حسام بلهجتها الحنونة ودعائها المتواصل «ربنا يعوضك يا حبيبتي».

لا تجد في «مهد» ذلك ما يثير ضيقها..

نحن لا نحزن لكل الخسارات بالشكل ذاته، يشبه الأمر أحيانًا خسارة فستان ضيق يصيب أجسادنا بقماشه الخشن..

أو حذاء عالٍ..

عالٍ صحيح..

ولكنه عالٍ جدًّا للدرجة التي أسمعتنا صوت صراخ عظامنا جليًّا تستجدينا العودة لملامسة الأرض والنجاة بأنفسنا..

بعض أنواع الخسارة تعيد إلينا هدوءنا الداخلي..

وإذا لم نكن قد طلبنا الشيء بالأساس، فماذا هنالك لو خسرناه..

الخلافات المادية كانت كافية ليقتنع الجميع بحقها في طلب الطلاق، وخصوصًا قصة مشاجرتها مع أمه، تنهد الجميع أن الحمد لله مجبتيش منه ولاد..

هنا في ملفات مدونتها أسباب أخرى أكثر وجاهةً، ولكن ليس للجميع، كالخوف والوحدة وكالدموع التي أغرقت ملاءات السرير الكينج سايز بعد فشل العملية الأخيرة، كانت أملها الوحيد للتخلص من الوحدة وللأبد..

تمنت هذا الطفل ولو من حسام، دعت كثيرًا وأيقنت بالإجابة حتى إنها لم تشك لحظة واحدة أن النتيجة ستكون لصالحها..

لم يحدث هذا..

انتظرت «مهد» بإيمان شديد أن يعوضها الله عن خيبتها..

وهذا أيضًا لم يحدث..

زادت الخلافات بينها وبين حسام يومًا بعد الآخر، مع كل مبلغ كبير يضطر لدفعه للأطباء، لا يتردد في معايرتها بنحسها عليه وتضييعها لتحويشته على العمليات..

ضايقها أنها لم تجد شيئًا تعاقبه به، لا أطفال تربطه بهم، ولن يفتقد رائحتها بجواره على وسادته التي لم تشاركه فيها بأي ليلة..

ليس بيدها سوى قرار الطلاق عقابًا له، والذي قابله هو بسعادة وارتياح، خاصة مع حركة «الندالة» التي فعلها بسرقته لعلبة مصوغاتها الذهبية، وبهذا لم يخسر شيئًا من هذه الزيجة..

Battanaili
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حسام.. دبي.. لانا.. الانتقام

اكتمل مربع الجريمة في ذهن محمود، خلاصة ما وجده في ملفات «مهد»، وفلتات لسان رشا التي اتفق معه حمدي على استدراجها عن مكالمة حسام وتهديده، وخبرة كليهما حسام ولانا في عالم الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ربما كانا سببًا في نشر فضفضة «مهد» على العام، وإقناعنا جميعًا بأنها قرار انتحار.

تحدث شارحًا تحليله العميق لحمدي بكل ثقة.

حسام بيتجنن كل ما يسمع من مامته سعر الشقة دي بقى كام دلوقتي، كان فاكر ضحك عليها لما سابها لها قصاد الدهب..

قالتها رشا بعفوية وسط حواراتها التي لا تملها عن الرحاب وعظمة كل شيء فيها، الشقق والمنطقة والأسعار..

وأضافت بقصد لتبرئة ساحة عبد اللطيف: تخيل أن حسام اتصل مرة أخيرة بعمي ليسترد شقته بعد ما سمع بخطوبة «مهد» الأولى، توعد بأن يفعل كل شيء ليحصل على حقه في شقته مهما مر الزمان، لولا عمي قدر يتعامل معاه ويوقفه عند حده بطريقته.

حكت له رشا تفاصيل المشاجرة:

يذكر سكان الحي الهادئ صوت شجاره مع عائلة حسام الذي أيقظ الجدران النائمة منذ نشأتها.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

سمعت «مهد» من منزل عمها، حيث كانت تنتظره قائمة الأوصاف المعقدة التي قذفهم بها حول الانحطاط المادي الذي أصاب أمثالهم، فاستحلوا دماء فتاة «يتيمة»..

تسرقوا شبابها وفرحتها ودهبها!!

أنا اللي يمس بنتي هودِّيه في ستين داهية..

عاد عبد اللطيف لشقة أخيه ليلتقط «مهد» الآتية من بعيد لترتمي في حضنه.

نفذ تهديده واستطاع تمكينها من شقتها بالرحاب على الرغم من أنها لا تساوي شيئًا في وقتها، مقارنةً بكل الذهب الذي سرقه منها، جزء كبير منه هو ميراث أمها، وقد أعطاه لها قبل الزواج، يجيد عبد اللطيف كل الحيل القانونية وغير القانونية، ولكنه لم يستطع إثبات حقيقة أي من المشغولات الذهبية تخص «مهد» وأيها اشتراه لها حسام، فشل في إرجاعه.

صدقت توقعات «مهد»، هناك من هو أكثر بخلًا ومكرًا من عبد اللطيف.. وربما من هو أكثر رغبةً منه في قتل «مهد».

سأله حمدي: انت متأكد إن الحاجات اللي باعتها في الأوبن داي تخص «مهد»؟!

طبعًا يا عمي، أجاب محمود بثقة للمرة الثانية.

فأعاد تذكيره بأن لانا فاشون بلوجر «يا ابني الفاشونيستا دول كلهم شبه بعض».

كيف ينسى محمود كل قطعة تخص «مهد»، كاد يشم رائحتها عندما ذهب بنفسه لـ«الإيفينت» في كل منها، بكل واحدة علامة، تضعها بنفسها،

Battanalia PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

زر إضافي، لون برونزي في بعض أجزائها، خدش صغير نتيجة عصبيتها التي تظهر أحيانًا في حركتها السريعة.

اتصل حمدي بصديق له بالنيابة ليرتب معه إعادة فتح قضية مقتل «مهد» النادي، طلب استدعاء لانا زيدون واستصدار أمر بضبطها ووضعها على قوائم ترقب الوصول.. وكذلك استدعاء الدكتور عبد اللطيف النادي للشهادة مجددًا..

نعم..

صارت العلاقة بين الصديقين الآن كمرآة مهشمة متماسكة داخل إطارها، تنتظر حدثًا بسيطًا واحدًا ليهدم الالتصاق الهش بين أطرافها، أخبره باستدعائه للنيابة بشأن قصة زواج «مهد» الأولى..

رد متعجبًا وإيه فكرك بالقصة دي دلوقتي؟

في النيابة جاءت إفادته: الله يرحمها، طول عمرها قراراتها متسرعة، حذرتها كتير من الجوازة دي، كان زمانها أستاذة محترمة في الجامعة دلوقتي واتجوزت جوازة تليق بيها..

لا يعرف عبد اللطيف حقًّا أكثر من ذلك.. فقد عادت «مهد» لجامعتها لتنهي رسالتها، يعرف حمدي ذلك، ويعرف أيضًا أنه من جديد اشتعلت المشاكل بينها وبين عبد اللطيف، كان سببًا لتأخرها في دراستها ثم تركها العمل بالجامعة، والتحاقها بالعمل لدى حاتم في شركة الأدوية التي يمتلكها..

حتى جاء قرارها؛ الاستقلال بحياتها في شقتها بالرحاب.

اقتصرت علاقتهما بعدها على زيارات قليلة متباعدة، ومتابعته لأخبارها التي ينقلها له الجميع، وإحساس بالندية غريب لأب تجاه ابنته يزعجه تفوقها عليه، على الرغم من إفلاتها من مقاييس النجاح بالنسبة له، ولكنها في كل فشل كانت تعود لتنتفض «مهد» جديدة، تنجح في كل شيء تبدأه، تعاندها الظروف، ولكن لا تخذلها قوتها أبدًا..

هي الإنفلونسر المشهورة بحب المتابعين الكثيرين لها، وهوسهم بتقليدها والتقاط الصور معها بكل مكان، وهو الدكتور المشهور بكراهية الطلبة له، ورجل الأعمال الذي لا يقف أحد ليلتقط بجواره صورة بأي مناسبة، على الرغم من أفضاله عليهم -كما يقول- وعلى الرغم من المصالح المتشابكة التي تربطه بهم، الوحيد الذي دامت صداقته معه كان حمدي.

كان صادقًا أنه تخلى عن مكسب كبير بعمارة الحدايق بالشقة التي تنازل عنها ليشتري به صداقته وجيرته، وما زال صادقًا في محاولته إصلاح ما فسد بينهما.

استغل اللقاء بالنيابة ليفتح معه الحديث.. أي حديث..

ذكَّره بامتنانه لفضله عليه لتدخله في مشكلة تأخير ترقيته بعد القبض على «مهد» في المظاهرة «الخايبة»، إياها، ظل مستبعدًا تمامًا لفترة من أي مناصب حتى نجحت تدخلات اللواء حمدي المستمرة لمسح هذه الذكرى من تاريخه.

لم تفلح المحاولة مع حمدي تمامًا، رد عليه بجفاء.

دا اللي أنت فاكرهولها! الله يرحمها مأذتش حد يا عبد اللطيف.

إحنا اللي أذيناها.. ياما قلت لك يا عبد اللطيف بلاش تسيبها تعيش لوحدها.

يعلم حمدي كثيرًا عن غض بصر صديقه عن عورة ابنته تتكشف، يستحلها الآخرون، لا يؤرقه سوى أن تكون بعيدة عن السياسة ومتعملوش مشاكل.

تجاوز عن طيب خاطر عن كل شيء آخر يأتي منها.

تحررها الملفت في صورها على الإنترنت، يتجاهل تعليقات زملائه وأقاربه في البلد حولها، أخبرته بتحرش أحد زملائه بالكلية بها، حيث أرسل لها رسائل مخلة على صفحتها، فتحت «مهد» الرسائل لوالدها ليقرأها وهددته بإبلاغ البوليس عنه «أنا أقدر أودّيه في داهية قوله يلمّ نفسه».

ولكنه اكتفى بتهدئتها هي، ثم لم يفعل شيئًا حتى مجرد اللوم الذي كان ينوي توجيهه له في اليوم التالي تراجع عنه مع اقتراب موعد التقدم لترشيحات رئاسة القسم، هذه الترقية التي تأخرت عنه كثيرًا بسبب ملف «مهد» وأوشك أخيرًا الحصول عليها..

«سيبك منها يا حمدي دي طايشة»..

رددها حمدي مرة أخرى منفعلًا باكيًا.. ألم تكن هذه جملتك حين طلبت «مهد» من حمدي ملاحقة حسام قضائيًّا..

يا ريتني ما سمعت كلامك..

قلت لي متقلقش عليها هي بتعرف تاخد حقها كويس..

كل هذا العمر ولم يرَ دموع صديقه أبدًا.. كيف تكون على الرغم من التماسه العذر لقسوته.

ويشكك في الآخرين وأولهم الحاجة التي تصفه دومًا «راجل معندوش قلب»، يقول لها: «هو بيزعل زي أي حد، لكن مبيبنش»..

هذه المرة بكى عبد اللطيف نيابةً عن كل هذا العمر، أخرج كل ما اختزنه من دموع بين طيات اعترافاته لحمدي، أنا عارف أنت مغلطني دايمًا إني سبتها تعيش لوحدها.. بس أنا مكنش قدامي أصلًا، أمنعها كانت هتعمل اللي عاوزاه.. يا ريتني كنت أعرف أمنعها، كنت منعتها حتى لو التمن سجني..

شرح حمدي لصديقه شكه في علاقة تجمع حسام زوجها السابق ولانا زيدون واحتمال اتفاقهما لقتلها وسرقتها بعد اتصال حسام وتهديده.

ومنشورات لانا التي ظلت تنشرها لفترة طويلة تدّعي أن «مهد» حية تقضي رحلة تأمل وستعود، الأوبن داي ومقتنيات «مهد» التي كانت باعتها، واتصالات حسام لاسترداد الشقة.

انفجر عبد اللطيف، وكأنه يسمع خبر وفاة ابنته للتو:

حسام!

كنتي قلت لي يا «مهد»، كنت جبتلك منه حقك.

صدّق حمدي دموعه، وصدق أنه لا يعرف شيئًا عن «مهد» ولا عن لانا ولا عن حسام..

كل ما استطاع إفادة النيابة به في التحقيق، الذي انفتح مجددًا بطلب رسمي من اللواء حمدي، هو تفاصيل المكالمة التي تلقاها من حسام،

Ballandalli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

اتصل منذ شهور يطالب باستعادة حقه في شقة الرحاب، عندما علم بقرارها بالزواج ثار جنونه..

قال لي «هي تاخد شقتي وتتجوز فيها»..

وأنا رديت عليه، رديت عليه يا حمدي والله مخليتلوش..

قلت له إن دا حقها وحقها تتجوز..

هدّأه حمدي وأخبره أن النيابة ستتابع لانا، وتطلب شهادة حسام..

تحجرت دموع عبد اللطيف دفعة واحدة في عينيه، قال:

اوعي تكون شاكك في حاجة تخصني تاني يا حمدي.. دا جنان.. ازاي تتهموني في بنتي.

ربت حمدي على كتفه قائلًا: اهدى يا عبد اللطيف.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أم أحمد

«مهد» حية..

أنا حاسَّة بيها حواليّا.

ما هذا الذي تقولينه يا رشا، سألها محمود..

بقولك ماما أم أحمد صحيت تعبانة جدًّا، ومُصرّة على التخاريف دي، وبتقول إنها حلمت بيها، وقالتلها إنها راجعة.

واضطرينا ننقلها المستشفى..

تلعثم محمود في رده محاولًا التقاط الكلمات واستيعابها في الوقت نفسه..

مستشفى إيه.. طيب.. حالًا.. جاي على طول.

ذهب مسرعًا للمستشفى، فوجدها في حالة يرثى لها تبكي وتصرخ..

مرة تنادي محمود ومرة تنادي «مهد».

جلس بجوارها ممسكًا بيديها، فهدأت قليلًا، دائمًا رؤيتها لمحمود تهدئها قليلًا.

تقول إن «مهد» جاءتها في المنام، وأخبرتها أنها ستعود في القريب.

قالت لي وحشتيني يا خالتي.. هي «مهد»، محدش بيقولي خالتي حلوة كدا غيرها،

هي وانت.

ضحك محمود مضطرًا من بين دموعه..

Battanalili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

بينما على باب الغرفة يقف حمدي وابناه الآخران يسمع نهنهاتهم تأثرًا لحالها..

تتردد بين أركان الحوائط المعقمة، سموم الذكريات المؤلمة على لسان الجميع «مسكينة.. موت «مهد» قلّب عليها المواجع.. ضربتين في الراس.. هي ملحقتش تنسى ابنها ومهد كمان بنتها».

بعد يومين غادرت المستشفى، تحسنت حالتها قليلًا..

عادت أم أحمد لهدوئها المعتاد.. انفردت بمحمود على كنبتها لتحكي معه غير منتبهة لوقوف رشا غير بعيد تتنصت للحوار.

مهد حية، اتصلت بيّا وقالتلي إنها راجعة..

مش قلتلك هو اتخانق معها، متفهمش.. طفشها بقى.. خفاها فين عشان ينفرد بورثها.

رد محمود مازحًا معها، مش كنتي بتقولي إنه قتلها.

ردت أم أحمد بجدية بس أنا مخدتش جثتها ومخدتش جثته هو كمان. سحبوه من إيدي بهدومه كلها دم، قالولي هيندفن بلبسه عشان شهيد.. مدفنتهاش هي كمان تبقى عايشة..

عايشة وهترجع..

ليس بالقلب مكان لسهم جديد يا خالتي أرجوكي كفى، حادث نفسه محاولًا عدم التأثر.

كان ينوي استغلال تحسن حالتها لإخبارها بتحديد ميعاد زواجه من رشا، كلما هيّأ نفسه ليفرح أشغلته بمتاعبها وآلامها، يرق قلبه لها، لا يهنأ له المضي قدمًا في حياته، تاركًا إياها تقاسي كل هذا العذاب وحدها..

Balhanaliii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تماسك ليحاول إفهامها الحقيقة بطريقة خفيفة.

أنا آسف يا أمي أغلب الظن لحد دلوقتي إن هي ماتت.

على الرغم من بكائها فإنها في كامل تماسكها، ربما أكثر من أي مرة سابقة، استمعت لكلامه ثم هزت رأسها بثقة رافضة التسليم بكلامه..

أعادت جملتها بنبرة صوت أقوى:

- لا يا محمود بنتي عايشة، بقولك كلمتني بنفسها.

فتحت أم أحمد هاتفها لتريه مكالمة واردة من رقم «مهد» بتاريخ اليوم السابق للعثور على سيارتها.

الأربع وعشرون ساعة ذاتها التي اختفت فيها.

رفع محمود حاجبيه، فاغرًا فاه..

مكالمة واردة من رقم «مهد» مدتها ثوانٍ قليلة..

أمطرها بالأسئلة عن تفاصيل المكالمة، ماذا قالت فيها، هل اتصلت مرة أخرى قبلها، أو بعدها، لماذا لم تذكريها من قبل يا خالتي؟

طب قالتلك إيه؟

ردّت بحماس، قلت كتير يا بني، خبطت يدها فوق المنضدة الصغيرة، مستعيدةً قوتها تمامًا، قلت لكم دوروا وراه تلاقيه خافيها في حته ومش عارفة ترجع..

تدخلت رشا في الكلام لتحاول إقناعها أن الحالة النفسية التي أصابتها بعد محمود، الله يرحمه، فأشار لها محمود بعينيه لتتوقف عن الكلام.

انفعلت أم أحمد قائلة: أنا مش مجنونة، تردد في إخبارها بإعادة فتح التحقيق والشكوك المحيطة بحسام ولانا وفي النهاية قبّل يديها المتألمتين من أثر خبطة المنضدة، قائلًا: يا رب يا خالتي كلنا نتمنى رجوعها.

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وماذا تعنيه الآن إن عادت؟

لقد ضاع كل شيء يا «مهد».

لا تعودي، أرجوكي، لا شيء هنا، وضع يده على قلبه تلقائيًّا..

لم يقتنع محمود، أو بالأحرى لم يعد مهتمًّا بأن يقتنع، الجزء المثير للشك في عبد اللطيف بالنسبة له انتهى في كل الأحوال، وقد فعل كل ما بوسعه للمساعدة في حل ألغاز هذه القضية..

أي تدخل فيها يفسد حياته تمامًا كما حدث في هذه المرة..

احتدم الموقف بينه وبين رشا لجملتها الأخيرة..

مرة أخرى عادت تسأله لو عادت «مهد» هتسيبني وترجعلها؟!

ترددت في ذهنه ما قالته أم أحمد محاولةً شرح تصورها للحادث: «هو تلاقيه قابلها في مكان وحاول يقتلها، بس أنا متأكدة إنها سابت العربية وهربت منه (مهد) قوية أنا عارفاها وهو ميقدرش عليها»..

هذه حقيقة يعرفها محمود جيدًا على الرغم من كل هذا الضعف الذي كانت تخفيه بين طيات كل شيء تمسكه بيديها..

«مهد» قوية وعنيدة فعلًا..

لربما كان السيناريو ذاته قد وقع، ولكن مع فاعل آخر..

حلم عودة «مهد» إذا ما تحقق فسيكون كابوسًا حقيقيًّا لرشا..

أنا أيضًا لم أعد احتمل سيرتها، قال محمود ردًّا على انفعالها عليه..

Battanalii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ولماذا إذن تبحث عنها؟

هذه مسؤولية إنسانية..

أنت مش المباحث..

لا يحق له أن يفشي لها سره مع اللواء حمدي، خاصة مع علاقتها المقربة من عبد اللطيف.

حاول طمأنتها، وعوضًا عن ذلك نقلت هي إليه القلق..

القلق من هذا الهوس لديها بالسيطرة عليه، وإن غفرهما لها بحجة مشاعرها نحوه..

فكيف يغفر لها كل هذه القسوة والجمود، اللذين يطلان من بين كل كلمة تخرج من فمها على الرغم من تذيلها بالحكمة والمباركة الإلهية..

ولو طلعت عايشة أنت ناوي ترجع لها بقى إن شاء الله.

ولو بإذن الله شركتك مشتغلتش تاني هتعمل إيه؟

وهنسكن فين لو ربنا أراد وكملنا؟

إمتى ربنا يكرمنا ونهاجر ألمانيا ونخلص من الكابوس دا؟

فتح هاتفه يقلّب صفحات فيسبوك لتساعده على النوم، قادته يداه لكتابة اسم صفحة «مهد» في البحث، مفتونة كانت كما يعرف بالروحانيات، تتحدث مع متابعيها كثيرًا عن تفسير الأحلام وعلوم الطاقة والألوان وأسرار جذب الصفاء الذهني والسعادة وطرد التعاسة، لها طرق للتأمل «الميديتيشن» تقدمها في فيديوهاتها للمساعدة على النوم، تحكي

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

مع متابعيها دائمًا تجربتها المريرة مع التخلص من الكوابيس التي تطاردها منذ طفولتها، ويظل كل منها يتكرر حتى تحفظها.

كتبت «مهد»: إن جنية الليل اللعينة هذه تغوص في أعماقها، وتصيبها في أعز ما تملك «في أحلامها» تستيقظ موجوعة من قسوة ما صار بالحلم.

قلّب في الهاشتاج الذي وضعته من قبل لمتابعيها ليحكي كل منهم أكثر كابوس مخيف صادفه وضعت هي فيه بعضًا من كوابيسها.

الكابوس الأول: «حلمت أن أرضية البيت تتشقق، وكلما وقفت فوق جزء سليم انهار، وكأنه يوم القيامة، وكلما قفزت في فزع إلى جزء مجاور سليم انفصل هو الآخر، وهكذا حتى تحولت الأرض كلها لشرائح رفيعة مسننة لا تصلح حتى لسند قدمي فوقها، رحت أحاول الاستناد على قدم واحدة، وحفظ توازني بها حتى لا أسقط في الأرض التي تحولت إلى أخدود عميق لا ينتهي»..

كابوس آخر: «قطط.. قطط قبيحة الوجه متسخة وأسنانها بشعة.. صفراء في الغالب وأحيانًا بيضاء مختلطة بالرمادي تموء في وجهي، أنقل ظهري من حائط لحائط أستند عليه لأرفع قدمي بعيدًا عنها»..

قاده الهاشتاج لمزيد من الكوابيس التي سجلها المتابعون..

موت خنقة وشجار وعويل.. صوت صريخ مكتوم قلوب موجوعة مرهقة وأدمغة يلتهمها الصداع..

ألم يعد هنالك من يحلم أحلامًا سعيدة؟!

قالت له في مرة إنها تعايشت مع الكوابيس حتى أصبحت تنتظرها.. تعرف مواعيدها..

Battandalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تعرف أسبابها.. التعب والإرهاق وصوت صراخ الحاجة..

الذي يتردد كعادته كل بضعة ليالٍ يخترق أذنيها مختلطًا بالبكاء..

يا محمووود..

اعتادت «مهد» على إطراق سمعها لنداءاتها، فعادةً ما تتبع نداءها لأولادها بنداء لـ«مهد» لتشاركهم الغداء..

تبدأ بأحمد ثم محمد وأخيرًا محمود ثم «مهد».

ولهذا كلما سمعت صرختها:

يا محمووود، انتبهت، في انتظار أن يكون اسمها هو التالي في النداء.

تلبي النداء أحيانًا دون حاجة لنطق اسمها، لتشارك عمها حمدي محاولات تهدئتها حتى تعود للنوم..

تختفي الكوابيس أحيانًا ليحل محلها الأحلام الغريبة..

يزورها محمود بأحلامها أحيانًا كقطعة سكر يلقيها أحدهم في فم البحر الهائج، لا تزيل شيئًا من مرارته، ولكنها في كل الأحوال حكاية حلوة تبهج كليهما هي وخالتها..

حلمت مرة أنه عامل فرح كبير وبيحط الأكل بنفسه للضيوف، وأنا وإنتي يا خالتي وماما ثريا بنساعده..

صحيح يا «مهد».. يعني أنا شفته تاني..

كتبت «مهد» مسجلة ألمها لاضطرارها الكذب باختلاق أحلام حلوة تجمعهما ومحمود لتحكيها لها..

كل أحلامها مسجلة على صفحتها، وكأنها تحلم مخصوصًا لتكتب بوستات فيسبوك..

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وأخيرًا، وجد حلمًا رائعًا يساعده لينام مرتاحًا بعد قراءته..

حلمت بطبق فاكهة كالذي يقدم لهارون الرشيد، صادف الحلم الاحتفال بليلة رأس السنة..

كتبت مهد: «دهب، ياقوت، مرجان، هههhe.. أقصد عنب، توت، رمان»..

بشَّرتها صديقة تهوي تفسير الأحلام على الإنترنت بسنة مليئة بالخير والفرج وتحقيق الأحلام..

كيف انتهت حياتك يا «مهد» بعد هذا الحلم بأيام قليلة؟!

أغمض عينيه أخيرًا بفعل التعب قبل أن يلهمه عقله برد على السؤال..

رشا.

جهزت ترتيبات الحفل، أعانتها نرمين، نسقت معها كل شيء أونلاين من خلال اتصالهما على الإنترنت.. شكرًا للسكايب، لولاه لكانت وحيدة الآن، غارقة في كل هذه التفاصيل.

نفس القاعة، ونفس تجهيزات البيت تقريبًا، ولولا اختلاف التوجهات لكان أيضًا نفس فستان الزفاف.. هي جميع اختيارات «مهد».. نسخة كربونية من تفاصيل حفل زفافها الأول.

اتصلت بمحمود لتذكره بأن عليه بدء إجراءات تخليص أوراقها لتسافر معه لألمانيا.

نقلت إليه خبر نقل الحاجة للمستشفى من جديد كحدث روتيني لا يستدعي أن تبدأ به أولًا..

لا إله إلا الله.

يرددها الواقفون على باب غرفتها، ليس من بينهم أي من أبنائها..

محمد غادر إلى الكويت، وأحمد مشغول كعادته مع عبد اللطيف، حمدي بحسابات المستشفى يتم إجراءات حجزها..

فقط الممرضات والطبيب المعالج يسألهم أين أولادها؟!!

هتف محمود من بعيد..

أنا..

أنا هنا..

أنا ابنها.. خير يا دكتور..

متقلقش.. هي بس حالتها النفسية صعبة ومحتاجة حد من ولادها..

نعم كانت أم أحمد نموذجًا لتعاسة من نوع جديد..

إلى جانب أطفالها الثلاثة، تولت تربية «مهد» كابنتها التي تمنت أن تنجبها، لمّحت «مهد» بسذاجة في طفولتها لوالدها بالزواج من خالتي أم أحمد تارة كطفلة صغيرة لا تفهم لماذا تعيش أمها التي تحبها في شقة وتعيش هي وحيدة مع أبيها في شقة أخرى.. حتى أدركت كشابة أن أم أحمد لديها زوج، لم تكن تفهم زيارات عمو حمدي الذي كان يتنقل كثيرًا بحكم عمله بين المحافظات، هذا كان أكثر أسباب كرهها إلى جانب تأثرها برأي خالتها لمهنة الضباط، فهي قد رفضت تمامًا دخول أي من أبنائها كلية الشرطة..

حتى خذلها محمود..

نعم.. خذلني.. حكت الحاجة الحكاية للمرة الكام لمحمود بنفس البداية..

يا ريته ما دخل.

تحب أن تصف التحاقه بكلية الشرطة بالخذلان «ضحك عليّا وخدعني»، انطلقت تحكي لمحمود مستعيدةً وعيها وصحتها شيئًا فشيئًا.

التحق الصغير بكلية الشرطة أخيرًا بعد فشل أخويه الكبيرين في فعلها؛ الأول بسبب مشكلة طبية عجز العميد حمدي التونسي عن حلها على الرغم من كل علاقاته، والثاني بسبب رفضه المستميت وحبه لدراسة الطب.

الواد متفوق وحرام يبقى جايب مجموع طب وتصمم أنت تدخله شرطة، إيش فهمك إنتي هو يعني لما يطلع دكتور هيفلح أوي، الشرطة أحسنله..

محمد طول عمره بيحب المذاكرة وشاطر، فعلها وأصرّ على الطب..

وأخيرًا، حقق محمود حلم حمدي التونسي، سرعان ما استبدلت حديثها بذكرى غير ملائمة للموقف، ضحكت كثيرًا عليها..

عن «مهد» حين طلبت منها أن تبحث لأبيها عن عروسة، قالتلي يمكن تغيره ويحس شوية، تبادلت كلتاهما الضحك لمجرد الفكرة، قاطع محمود حكايتها، سألها: وكنتي بتجيبي له يا خالتي؟

ضحكت من قلبها قالت له، أنت هتعمل زيها، أنا لا يمكن أبلي بيه واحدة..

شاركها الضحك من قلبه ثم قفزت في ذهنه جملة رشا الشهيرة عن عمها..

عمي أي واحدة كانت تتمنى وضعه ومركزه وفلوسه، بس هو عاش راهب عشان خاطر «مهد» وعشانا..

إذا كانت الأرض كروية وتلف بنا جميعًا جغرافيًّا، ففي المشاعر هي خط مستقيم، لها جانبان يسكن البعض في إحداهما مثل رشا وعمها عبد اللطيف، ويعيش البعض في الجانب الآخر مثل «مهد» وخالتي أم أحمد.. كقطبين لا يلتقيان أبدًا..

الغريب أن أبناء أم أحمد جاءوا متأثرين بالدكتور عبد اللطيف توّاقين للعيش بكنفه، يمثل بالنسبة لهم نموذجًا للرجل الناجح الذي يستطيع الحصول على كل شيء يريده في النهاية.

يملك الدكتور عبد اللطيف مفاتيح علاقات يفوق بها والدهم نفسه ضابط الشرطة المتواضع الذي قضى نصف عمره متنقلًا بين الأقاليم بعيدًا عنهم، بينما يسكن فوقهم عبد اللطيف ليس فقط كواسطة مضمونة، وإنما قدوة حقيقية لهم.

ولكم كرهت أم أحمد هذا، خاصة ارتباط أحمد به، فأصبح بين يوم وليلة مساعده وذراعه اليمنى، يرى في عبد اللطيف مثله الأعلى، ويرى هو فيه خليفته القادم، تخرج في كلية الآداب نفس تخصص عبد اللطيف، ساعده عبد اللطيف ليتولى إدارة أملاكه، عمارات الهرم، وتحديدًا بمنطقة حدائق الأهرام الجديدة، كان يتوقع للمنطقة مستقبلًا واعدًا، فاستثمر فيها بكثافة ثم لمّا لم تنتعش تركها لأحمد، إلى جانب أعمال السمسرة العقارية، أيضًا طباعة الكتب الخاصة بدكتور عبد اللطيف والشيتات وبيعها للطلاب كان يتولاها أحمد.

Battanaiiji PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أعطت هي لابنته طاقتها من الحب والفطرة السليمة وأعطى هو لابنها المفتاح لدخول عالمه الفاسد.. حتى قرر الزواج..

انتظرت أمه كثيرًا أن يأتي ابنها البكر ليصارحها بحبه لأحدهم، وأن تكون أحدهم هذه هي «مهد».

غير أنه فاجأها بجملة تشبه جمل عمه عبد اللطيف الشهيرة:

أنا لا يمكن أورط نفسي في جوازة من النوع الروتيني دا..

اختار ابنة أحد أصدقاء عبد اللطيف، شفعت له سيرة أبيه العميد التونسي على الرغم من الفارق المادي الكبير بين العائلتين.. هذا الفارق الذي ترجمته العروس الجديد في عزلة فرضتها على زوجها وأبنائها بعيدًا عن حماتها الريفية.. اعتبرت أم أحمد ابنها في عداد المفقودين بعد مشاحنات كثيرة بينها وبين العروس، حيث استسلمت لفكرة أنها فقدته للأبد.

زاد محمود من إحكام قبضة يده على يديها وهي تستكمل حكيها لخيبتها في ولادها..

فمحمد ابنها اجتذبه عبد الهادي أخو عبد اللطيف المقيم بالكويت ليعمل هناك بعد تخرجه، وتزوج نرمين ابنته وسافرا معًا للإقامة مع والدها تاركًا عمله بالجامعة.

تنهدت قائلة: مفلتش كتير من عبد اللطيف برضو، أهو ساب الطب والعلم وجرى ورا الفلوس.. قالت بعد إن ودعته للسفر..

مش كان دخل شرطة وخلاص أَنْبَها حمدي بكلامه، فضلتي تقولي أحسن ما يتشحط ويبعد عننا وعن عياله زيك طول العمر، أهو سافر خالص

بمراته وعياله.. ولهذا فقط لَانَ عقلها ووافقت على دخول محمود الصغير الشرطة..

وصلت بسلام لنهاية الحكاية، ساعدتها قبضة يد محمود على كفها لتجاوز ذكر حادث استشهاد محمود..

أوشك محمود أن يستغل اللحظة ويخبرها بأحزانه هو أيضًا..

كان يريد أن يقول لها:

«مهد» خانتني يا خالتي، طلعت مبتحبنيش، كانت ناوية تسيبني، ولكنها استغرقت في النوم فجأة.

ثم عاد حمدي من الحسابات ليذكّره بمحاولة البحث عن أدلة جديدة تساعد في القضية..

حتى الآن معندناش دليل على حد..

حسام أنكر كل شيء.. ولانا مش قادرين نوصل لها، ومفيش فعليًّا أي شيء يربط بينهم.

لو لقيت علاقة بينهم يا محمود نقدر نتهمهم رسمي، دوّر تاني يابني.

وعده محمود بمواصلة البحث عن حل لفتح هاتف «مهد»، محادثات الهاتف ورسائل الواتساب هي الحل الوحيد لحسم كل التكنهات والشكوك..

تحطم الآيفون تمامًا، وهاتفها الآخر مختفٍ، ولكن نشطت في عقل محمود فكرة ربما كانت «مهد» تقوم بعمل باك آب على جوجل درايف لرقمها..

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ربما أمكنه وقتها التوصل لحقيقة ما حدث بهذا اليوم المفقود «الأربع والعشرين ساعة» السابقة للحادث.

اقتحمت رشا خلوته مع أجهزته يحاول من خلالها فتح درايف «مهد» على جوجل باتصالاتها المتكررة تسأله أسئلتها المعتادة..

هنسافر إمتى، خلصتلي الورق، مش هنحدد الفرح..

للحظة جاءته فكرة أن تكون رشا متورطة في قتل «مهد» لكثرة إلحاحها لصرفه عن هذه القضية..

نظرة سريعة على حجم رشا الضئيل حين قابلها في اليوم التالي، مقارنةً بمهد صاحبة القوام الرياضي الممشوق، جعلته يضحك لخاطره..

يعرف أنها ليست حزينة بالتأكيد على «مهد» كما تقول، لقد تحققت كل أحلامها تقريبًا باختفاء «مهد»..

مهندس وغني وعايش في ألمانيا..

كما أنها ابنة عبد اللطيف في جمود مشاعرها..

يرضيه قليلًا هذا التفخيم لقدراته الذي تسبغه عليه رشا، وهذا الكره الذي تحمله لسيرة «مهد» ويرضي رجولته التي أهدرتها «مهد» بعلاقتها بحاتم.

في اليوم التالي ناقش معها ما حكته أم أحمد عن إفساد عبد اللطيف لأبنائها..

دافعت رشا بشكل مستميت..

عمي طول عمره رجل دبلوماسي وبيعرف يظبط أموره، لطالما أنقذها

Battanaiiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

عبد اللطيف بتدخله ووساطاته باستثناء تعيينها بالخارجية، الأمر الذي فشل فيه بسبب الأزمة التي أوقعته بها «مهد»..

تزامن هذا مع أحداث الثورة والقبض على «مهد».

هي السبب..

لولاها كان عمي عرف يتوسط لي.. بس وقتها أموره مكنتش تمام بسبب مشاكلها..

يبدو محمود مصدومًا من تساهل رشا مع كل أفعال عبد اللطيف حتى التي أضرت بها هي وأختها شخصيًّا..

صُعق حقًّا عندما علم أنها تعرف بقصته مع أمها، كانت صغيرة ومع هذا ضبطتهما معًا، حين استيقظت صدفة ذات مساء واستطاعت بنضجها المبكر فهم ما يجري..

صرخ فيها: إنتي ازاي بكل السلام النفسي دا؟ كيف تحلل كل انحرافات عبد اللطيف، تتحدث عن ابنة عمها بلا نبرة وجع أو ألم لمصيرها.. ورثت كل «مرونة» عمها في تخليه عن أي مبدأ في سبيل تحقيق مصالحه.

قال لها، مش عارف ليه حاسس، أنا كمان بالنسبة لك مجرد صفقة، ونفسك عمك عبد اللطيف يخلّصهالك..

حولت رشا الكلام لدفتها سريعًا..

إنت برضو مش بتبلع عمي..

عملك إيه بس مش فاهمة، استطردت في كلامها بثقة العارف..

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أنا بالذات فاهمة «مهد» دي كويس وعارفة إنها مكنتش ملاك.. طب أراهنك إن مكنش وراها سر كبير، مصيبة عملتها هي اللي خلتها تنتحر، وبُكرا هتشوف.

رسائل واتساب..

نجحت الفكرة واستطاع بمساعدة صديق له أن يحصل على باك آب لشريحة هاتفها..

اتصال صادر من «مهد» لأم أحمد في نفس اليوم بالفعل.. واتصال آخر لعبد اللطيف..

لم يرد عبد اللطيف على اتصالها كعادته..

لم يستطع محمود تحديد هل كانت «مهد» تودع الجميع أم تستغيث بأحدهم..

حاتم!!!

لا يحمل الهاتف بخلاف ذلك سواه..

رسائل منه، وإليه، وعنه..

بدا غير متحمس لمواصلة البحث، يعرف أن شيئًا لن يسرّه يكمن هناك، يخشى أن تكون رشا على حق..

ما زال يقف محمود في نقطة المنتصف بالضبط فوق هذا الخط المستقيم..

أرجوكي يا «مهد» لا تقولي شيئًا ينحرف بكفتي إلى الجهة الأخرى، أنا أحاول الاتزان، فاعطيني سببًا منطقيًّا لكل ما فعلتيه معي..

Battanain PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

في كل الأحوال أنا خسرتك..

ولكني أريد أن أحتفظ بشفقتي عليكي.. دعيني أرثي لكي..

ما زال مدفوعًا برغبة أخلاقية في كشف سر موتها..

حاتم وعلامة قلب أحمر بجوار اسمه..

فتح محمود صورة البروفايل الخاصة به على واتساب.. هو نفسه بالطبع، حاتم صدّيق شخص معروف لا يمكن لأحد أن يخطئه..

محادثات طويلة تمتد لأشهر بينهما.. رفع محمود بحركة اعتيادية المؤشر هذه المرة للأعلى ليحصل على جرعة التسلية مكتملة بالترتيب..

لن تفوته الحفلة هذه المرة..

فاجأته فقط بداية الأحداث من ترشح حاتم أمام عبد اللطيف بانتخابات مجلس النواب التي سبقت حادث «مهد» بشهور قليلة..

تلك المنافسة التي خسرها كلاهما، وخسرا بعضهما بسببها..

تشابهت بعد ذلك الرسائل كثيرًا مع محادثاتها معه على الماسنجر، غير أن هنا الحوار يأخذ شكلًا أكثر حميمية يوحي بعلاقة صداقة قوية..

صعد قليلًا..

لا..

هي أكبر من الصداقة قليلًا..

صعد قليلًا..

حسنًا..

ربما كانت ترتاح له أكثر من اللازم.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- أين كنتي بالأمس؟

-لماذا تسأل؟

-لا تضايقيني يا «مهد».

-هل قلقت عليّا؟

-طبعًا، إنتي ابنتي..

- كاذب يا دكتور، هههه.

تأخرتي أيضًا عن موعدنا اليوم.

والله ما أقصد أنت تعرف دائمًا إني أخاف السرعة.. الشركة بعيدة على الطريق السريع.

أنت سلحفاة في قراراتك كلها كما في قيادتك..

صورة لبيجاما جديدة..

حلوة؟ حلوة بك، حلوة لأنك من اشتراها لي.. لا أعلم لماذا بيجاما.. قلت لك أريد هدية فتهديني بيجاما.

وهل هناك أغلى من النوم.. لا أريد للأرق أن يزورك مرة أخرى.. هل ساعدتك الحبوب.. نعم.

تمام، لا كوابيس بعد اليوم ارتديها واحلمي بي ونامي نومًا عميقًا.

وأنا إذا حلمت بك، فكيف يكون النوم عميقًا.. يبدو أني لن أعرف النوم مرة أخرى.

بلع ريقه وغضبه معًا.. ردد بينه وبين نفسه:

الله يسامحك يا عمي حمدي.. ليه تخليني أعرف كلام زي دا.

كاد يغلق الواتساب لولا أن لمح اسم لانا..

ماذا فعلتي مع لانا؟

رتبت لإرسال كل شيء لها.

حقيقي؟ أنا مش فاهم ليه هتعملي دا كله..

تتخلصي من كل شيء تقدري تعيشي دون ملابس وساعات وحقائب وماركات..

صدقني أنا أكرهها تعرف لماذا؟

لأنك لا تحبني وأنا أرتديها.. وأنا أحب أن تحبني، وأحب أن أفعل كل شيء يجعلك تحبني.

مش للدرجة.. أنا مطلبتش منك كدا، ثم إني لا يمكن أكرهك..

فكري تاني..

فكرت كتير، وقررت هغير كل شيء في حياتي وأبدأ بداية جديدة..

هل الثمن معقول؟

لا أعرف قالت أن أرسل لها جزءًا لتعاينه هناك، سأنقل باقي الأشياء قبل سفري لصديقتها هنا جنبي في الرحاب وهتحاسبني بعد انتهاء الأوبن داي..

إنتي واثقة فيها؟

أول مرة أتعامل معها..

لا تقلق سأدبر أموالًا للشركة عندما أستلم نصيبي من الميراث..

هههههه، وهل سيعطيك عبد اللطيف ميراثك بجد.. لن تحصلي على مليم منه صدقيني..

Battanalu
نسخة غير مخصصة للطباعة

ستري.. سأريك «مهد» القوية ممكن تعمل إيه..

بحبك..

وأنا بحبك أكتر يا توووم.

انتهت الرسائل عند هذه الجملة..

توقف محمود عن القراءة، غضب كبير يلفه أكثر من أي وقت مضى، ويكاد الشرر الأحمر يخرج من عينيه ليحرق اللابتوب المفتوح أمامه..

لم أكن الوحيد الذي تمطين اسمه بشفتيك إذن يا «مهد».. كانت لعبتك المفضلة أكاد أقسم الآن أن حاتم نفسه كان ضحيتك.. لا أصدق سوى أنك أوقعتيه لتدمري بيته وترضي غرورك على حساب المسكينة زوجته..

حتى لانا هذه التي اتهمناها لأجلك بريئة هي الأخرى.. ومن يمكن أن يكون خبيثًا وماكرًا ومضللًا مثلك.

إنتي تفوقتي على الجميع في خيانتك..

استعجل نقل هذه الأخبار لحمدي، اتصل ليخبره أن لانا اشترت فعلًا الملابس برغبة «مهد».

عاد لفتح حسابها على فيسبوك بحث عن حاتم في قائمة الأصدقاء، فلم يجده، بحث عنه في رسائل الماسنجر، فوجد رسائل قديمة ثم محادثة منتهية، علامة عمل أحدهم للآخر بلوك ومسح الصداقة..

حجم الرسائل المتبادلة فوق أن يقرأها جميعًا.

آخر رسالة بتاريخ شهرين، أي قبل وفاتها بقليل..

الانتقام..

نسخة غير مخصصة للطباعة

رغبة في الانتقام..

يا ريت تطلعي عايشة عشان أعرف آخد حقي منك.

رنت كلمات أمه في ذهنه مرة أخرى ما كل هذا الذي ورطت نفسك فيه؟

رسائل أخرى ترسلها لنفسها في جروب لا يضم شخصًا سواها اسمه «أونلي مِي»..

يضم نفس الرسائل التي تكتبها على فيسبوك، يبدو أنها تسجل عذاباتها السريعة هنا أولًا قبل نقلها للفيسبوك..

هنا أيضًا تخفي «مهد» صرخاتها التي لا يسمعها سواها..

شرع في قراءة الرسائل المتتالية المخفية..

حاتم الحب الحقيقي الوحيد في حياتي، هكذا وصفته في رسائلها إليه، بالإضافة لعدد كبير من المنشورات التي تضم صوره المأخوذة سكرين شوت من حسابه الخاص، يكبر «مهد» بأعوام تفوق الخمسة عشرة على أقل تقدير، رياضي ووسيم على الرغم من تجاوزه الخمسين من عمره، يستمتع بنظرات الإعجاب تلاحقه من الطالبات والموظفات بشركته من حوله، ثم يظهر مستكينًا بجوار زوجته التي تمسكه بكلتا يديها في صورهما معًا على فيسبوك.

في منشور مخفي أيضًا، كتبت «مهد»:

أي بعثة يريدون مني السفر إليها! أي بلاد تلك يراها الناس حلمًا ويعتبرونني محظوظة بفرص السفر إليها!

هي أرض لا تسير أنت عليها..

Baffanalu
نسخة غير مخصصة للطباعة

أو تدري ما هي أرض لا تسير أنت عليها؟! كيف تحتملني إذن، وأنا التي أخطو دائمًا خطوات مضطربة ينقل قلبي خفقاته السريعة إلى قدمي في سيري فلا تقويان على دهس حبات التراب الضعيفة..

أحتاج لرائحتك تغلف باطن هذه الأرض لتجعلها تبدو أكثر ثباتًا، أحتاج لقدميك تسبقاني لتمهدا لي طريقي قبل أن أسير عليها..

غيظ شديد يلفه، يتذكر الآن كيف رفضت «مهد» بعثة لألمانيا تم ترشيحها لها..

رفضت السفر لأجل البقاء بمصر..

انفعل عليها يومها..

إنتي مجنونة ازاي ترفضي عرض زي دا؟ دي فرصة لا تعوض..

لم يكن رفضها إذن من أجل مصر، كان رفضها من أجله هو..

من أجل حاتم! الدكتور حاتم!!

عوج محمود فمه لليمين ساخرًا، يطالع ألبومًا يضم صورًا للدكتور حاتم في مناسبات عامة في مؤتمر، في مكتبه، بشركته، في جولات الانتخابات..

مضى حاتم في حياته بعد وفاة «مهد»، وكأنه لا يعرفها..

هو لم يحضر عزاءها على الرغم من صلته بأبيها باعتبارهما زملاء جامعة واحدة، ولطالما التقيا في مناسبات علمية..

كيف يا «مهد»؟ كيف تمنحين كل هذا الحب لرجل لم يشعر بالأسى لمصيرك حتى؟

Ballantine PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ليس بإمكانه مع ذلك أن يشفق عليها للحب المستحيل الذي ربطت نفسها به، يغلبه الغضب لكل هذه المشاعر التي لم تبح بنصفها له يومًا.

لم يسمع منها كلمة أحبك سوى مرات معدودة، وفي كل مرة كانت بطلب منه قولي بحبك، فتقولها جافة باهتة بلا روح. بينما تمنحها لهذا الرجل عن رضا في الخفاء.. كم مرة ظهر حاتم في مقابلات ونفى أي علاقة بينهما.. كم مرة أهانها علنًا بقوله العيال الهايفة اللي على السوشيال ميديا في إشارة إلى تلميحاتها عنه أو عن قربها منه.

تعرفين ذلك وأنا بنفسي أريتك يا «مهد» مرات كثيرة هجومه عليكي، إذا كان أحبك فكيف تركك تمضين؟ لماذا فتحت كل خزائنك له، فانتقى ما يلائمه منها ليزين به هالته ثم أعطاكي ظهره؟

ردت «مهد» عليه وعلى نفسها في طيات حواراتها السرية..

لم يخترني.. أعلم تمام العلم أني أملأ قلبه نعم..

أما عقله..

هذا الكهف العميق المظلم؟!

أنا حتى لم أستدل على بابه، لم يقتنع يومًا أن يلوث يديه المعقمتين دائمًا بفتاة تحمل كل هذا الإرث من الأخطاء.. قالت عيناه كثيرًا إنها ستداويني، ولكنها بدلًا من ذلك حقنتني بسم بطيء المفعول.

ماذا فعل؟ لقد ملأني به وصبغني بلونه، كزجاجة هشة قابلة للكسر، أتى هو ليصب بعقلي كل هذا العلم الذي يتدفق من بين ثنيات كلامه، ويملأ قلبي بهذه القوة الصادرة من عينيه تخترقني..

Battanalii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تسربت نظرات عينيه لكل ملليمتر بداخلي..

ملأت شراييني بلمعتها وببريقهما الخاطف، كما ملأت طلعته البهية عيني، فما عادت قادرة على رؤية غيره.

لقد سرت بطول هذا الخط المستقيم الذي مثلته حياتي، فلم أرَ مثله بوجاهته، بأناقته، بعلمه، وبنجاحه، وبكل هذا الإخلاص الذي يحمله قلبه لكل شيء، للعمل، للوطن، وحتى لها هي التي أكرهها ولا أدري، أحسدها أوقاتًا على قدرتها الفائقة لربطه هكذا بعناية في ساقيتها، ثم أحسد نفسي وأشفق عليها..

فأنا أعلم أني فككت اللجام المربوط على عينيه وأنه الآن يرى..

يراني..

شكرًا يا «مهد».. شكرًا على التوضيح..

والآن كيف غادرتي هذا العالم الذي يضج برجل مثله، أجيبي لينتهي هذا العبث الذي ورطتي فيه عقلي وقلبي معًا..

كتبت «مهد»:

انطفأ أملي الذي أشعلته، سأترك كل شيء، سأترك هذا العالم كله، إذا لم يكن به مكان يجمعني بك؛ فأنا لا أريده..

ليس للأشياء العظيمة شيء من عظمتها، إذا كان الثمن المطلوب فيها لا يقدر بمال، إذا كان الثمن الذي ندفعه لها مقتطعًا من أرواحنا..

لو لم يكن محمود قد مضى قدمًا في علاقته برشا، لكان لهذا المنشور أثر مختلف عليه..

كان ربما غيّر وجهة بحثه عن «مهد» لإنقاذها لرحلة أخرى، يجدها فيها ليقتلها..

وبعد ثبوت براءة لانا وحتى حسام..

بدأ يقتنع بالفعل بكلام عبد اللطيف ورشا، يبدو أنه سيترك نقطة المنتصف التي يقف عليها ويذهب إليهما شاكيًا هو الآخر من هذه المختلة نفسيًّا..

بعد أن أرهقت روحه بهذا الكم من المنشورات السرية..

فليظهر حل اللغز لينتهي من قراءة هذا العدد الساخر من المجلة..

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انتهى

صعقته تواريخ منشوراتها، لتثبت له علاقتها بحاتم الممتدة حتى لما قبل خطبتهما، عليه أن يشعر بالامتنان الآن للقاتل.

أخبر حمدي أن دوره انتهى، ولم يعد هناك ما يمكنه فعله بهذه القضية.

ما زال هناك سؤال معلق حول مصيرها؛ نعم..

ولكن الحقيقة لم تعد رجولته تتحمل قراءة رسائل الغرام المشتعل بينها وبين حاتم..

«أنت لا ينقصك شيء، راجل مثالي أي بنت تتمناك»..

قالت له رشا هذا في مرة، لترد ثقته المهدرة في نفسه..

تراءت له رشا كوعد بكل ما لم يكن ليبحث عنه، البيت والدفء والرعاية وإنجاب أطفال صغار وتربيتهم، وبأن يعود يوميًّا من العمل ليجد طعامًا ساخنًا في انتظاره.. أبدًا لم يرَ محمود أنه بحاجة للبحث عمن يجهز له طعامًا، بينما هو في العمل..

ولكن..

ومن قال إننا نعرف حقًّا ما نريد البحث عنه، لا تستطيع عقولنا اشتهاء الأشياء التي لم تختبرها يومًا..

استسلم لطبخاتها المتقنة جيدًا، ولخطتها بمصارحة عمها عبد اللطيف ليحسم أمر ارتباطهما..

طلب من حمدي التوسط له لفتح صفحة جديدة مع عبد اللطيف..

Battanah PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انتهت المهمة الأولى بنجاح، وبدأت المهمة الثانية وهي إقناع والدته بقرار خطبته الجديدة..

لم يمضِ بعد سوى شهور قليلة على وفاة «مهد»، كان هذا رد أمه الأول.. اعتبرته متأثرًا فقط بصدمة وفاتها، ويريد تعويضها بقريبتها التي تشبهها لا أكثر..

ضحك كثيرًا على كلمة تشبهها..

آخر وصف يمكن إطلاقه على رشا هو أنها تشبه «مهد»، أوضح محمود لأمه أنه لم يعد يعنيه من «مهد» سوى أنها ابنة عم خطيبته..

دعته والدته للتمهل قليلًا، ولكن هذا القرار تحديدًا ليس له، فرشا حريصة جدًّا على إتمام زيجتهما بأسرع وقت.

تسع سنوات قضاها في مصر منذ مجيئه لأجل المشاركة بالثورة، أزاحت عن عقله رقائق السلوفان التي كان يلمع بها من قبل، راحت كل أفكاره حول البحث عن فتاة تشاركه هروبه من عادات هذا المجتمع «كبِرتْ خلاص.. عَجِزّت يا أمي»، هكذا أقنع أمه أخيرًا.. تجاوزت الـ35، وما زلت دون زواج حتى الآن.. آخر اعتراضاتها كانت هو مفيش غير العيلة دي يعني مش لاقي غيرهم في مصر..

نفس الجملة قالها عبد اللطيف حين بدأ جولته الثانية ليخطب رشا:

هو انت مش لاقي غير عيلتنا ما تروح تشوف حالك بعيد عنا..

«اعمل اللي يريحك ربنا يوفقك».. استسلمت أمه أخيرًا..

أما عبد اللطيف فتكفلت به رشا..

نسخة غير مخصصة للطباعة

الله يرحمها يا خالتي.. كل إنسان في لحظة ضعف ممكن يضيع نفسه، قال محمود في جلسته الأخيرة مع الحاجة، آخر شخص عليه إقناعه بزواجه من رشا..

اضطر لإبلاغها أولًا أن النيابة حققت مرة أخرى في موضوع «مهد»..

فعلنا كل شيء، ولكن خلاص مفيش أمل..

الله يرحمها ظلمت نفسها وظلمتنا كلنا معاها.. قالت رشا في لهجة حاسمة أغلقت الطريق على عودة «مهد» لتفسد خطط زواجها.

كل الدلائل تقول إنها انتحرت يا خالتي، لا مجال لفتح التحقيق حول الحادث مرة أخرى.. بعد أن أغلقته النيابة نفسها، لم تتأثر أم أحمد بكلام محمود، التقطت منه طرف نهاية الحديث لترد عليه بثقة أكبر..

يعني أنا اتهيألي إنها كلمتني هي كمان؟ دي سألتني زي عوايدها عن مفتاح شقة إمبابة..

لا يا خالتي، هي كلمتك فعلًا، قبل ما تعملها بيوم.. كانت بتود..

تلعثم قليلًا قبل أن يدرك جملتها الأخيرة..

شقة إيه يا خالتي.. هي لسه موجودة!

تاهت أم أحمد كعادتها.. واختلط حديثها بين ذكريات لعب محمود في مدخل البيت ومناداتها لمهد لتلحق بهم لتناول الغذاء..

شقة إيه يا خالتي؟!

هو في شقة قديمة لسه موجودة؟.. طب معاكو مفتاحها؟!

لم يحصل محمود على رد منها..

نسخة غير مخصصة للطباعة

يبدو أن «مهد» كانت ورطة لمحمود تمامًا كما كانت ثريا ورطة عبد اللطيف..

شيء آخر ورثته عن أمها..

لو كانت هنا لكانت سعيدة الآن بهذا الوصف..

بنبرة خنقتها الدموع الكثيرة، قالت:

يعني خلاص كدا بنتي راحت.. محدش هيدور على جثتها حتى، تركته ورشا يستكملان ما جاءا من أجله من التجهيز لزواجهما، وغادرت لغرفتها لتضيق الحيز حول دموعها التي لا تنفك تملأ أي مكان.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

حمدي

هناك أشخاص نأتمنهم على أحزاننا، وآخرون نأتمنهم على أسرارنا..

أزاح محمود عن صدره أخيرًا كل ما عرفه عن علاقة «مهد» بحاتم للواء حمدي..

حتى وإن كانت «مهد» خائنة..

حتى وإن كان ينكر عليها كل أفكارها المهووسة التي قادتها حتمًا لمصيرها..

حتى وإن كان لم يعد يدين عبد اللطيف بقتلها..

دي بنتي يا محمود..

أرجوك بس متشوهش صورتها باللي قلته دا لأي حد..

اعتبرها أختك..

رد حمدي ببساطة على اعترافاته..

وعده محمود بأن يبحث باقي منشوراتها ورسائل الهاتف ربما عثر على شيء مفيد عن تفاصيل اليوم المفقود في القصة..

تملك «مهد» من قلبه نفس القدر من المحبة لأولاده الثلاثة، تألم لموتها نفس ألمه على محمود ابنه..

طلب عبد اللطيف في مكتبه بعد مقابلته مع محمود.. فتح سيرة الاتهامات التي طالته بأوقات ترشحه للانتخابات، وكانت سببًا في خسارته..

أنا خسرت أعز ما أملك، أجاب عبد اللطيف.

Battanuu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أعز ما يملك عبد اللطيف في حياته هو نجاحه وسيطرته..

كان منافسًا شرسًا للدكتور حاتم صدّيق في الانتخابات..

عبد اللطيف يفعل أي شيء ليفوز بهذا المنصب..

هذه حقيقة يعرفها حمدي عن صديقه تجعله لا يغلق باب الشك فيه لنهايته، ولكنه وقد استعاد شفقته عليه وإيمانه به سانده بالتحقيق..

فوجئ عبد اللطيف بمحمود يزوره طالبًا يد رشا.. يعتبر عبد اللطيف نفسه المسؤول عن رشا، والدها الحقيقي في ظل غياب أخيه الذي يبدو أنه لم يعد يستطيع العودة إلى هنا.

سأله محمود، هو عمي عبد الهادي ممكن ينزل إمتى عشان نتمم كل شيء؟

لم يعد أحد يسأله عن ميعاد العودة..

حاول من قبل إبان ثورة يناير أن ينهي عقدين وأكثر من الغربة ويعود ليستقر في مع زوجته وابنتيه..

عام كامل قضاه في غربة حقيقية في بيته الذي لا تعرفه فيه حتى الجدران.. ليقرر بعدها العودة لما بات وطنه الحقيقي «الكويت».

وتظل مسؤولية البنتين كما كانت طوال الوقت في رقبة عبد اللطيف..

اهتم عبد اللطيف بالأمر أكثر من اهتمامه بطلب محمود الأول عندما تقدم لخطبة «مهد»، لا يميل للموافقة..

يحمل رفضًا شديدًا لمحمود بحكم مساندته لمهد في مواقفها الكثيرة ضده..

بدأت شجاراتهما معًا بطلبه إقامة عزاء الأربعين لـ«مهد»..

Battanain PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

رفض عبد اللطيف قائلًا:

ماذا هنالك في مرور أربعين يومًا على وفاة أحدهم أو خمسين أو حتى مئة؟

هل يمكننا استحضار الروح هنا مثلًا لتعود إلى مشاركتنا الحياة بعد أربعين يومًا؟!

أجابه محمود: يا عمي أنا ملاحظ إن حضرتك بتحاول إخفاء حزنك على «مهد» وعدم إبداء أي تأثر؟! دي طقوس اجتماعية علينا احترامها، خاصة ومهد شخصية مشهورة ولها محبين كتير.

عملوا لها إيه المحبين، سأل عبد اللطيف جادًّا وكأنه بمحاضرة أمام طلابه:

هل أنقذوها مثلًا من السقوط في بئر الاكتئاب ثم الانتحار؟!

«مهد» مكنتش بتعاني أي اكتئاب، حضرتك تعلم ذلك جيدًا، رد محمود مقلدًا أسلوبه:

فلماذا انتحرت إذن؟

والله أنا اللي المفروض أسأل حضرتك يا عمي السؤال دا؟

صاعقة جمدت ملامح عبد اللطيف بالاتهام المباشر في كلامه، جذبه من ياقته ولفه كأسطوانة غاز طويلة حول نفسه باتجاه الباب، بينما يردد محمود اتهاماته بصورة أوضح وأكثر جديةً وانفعالًا كطلقات مضادة انطلقت عباراته..

إزاي قادر تنام مرتاح وأنت مش عارف فين جثة بنتك؟

أخرجه عبد اللطيف، وأغلق الباب، لم يدخل محمود هذا البيت من يومها مرة أخرى..

Battanuuu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

اليوم أحضر له عبد اللطيف الشاي بنفسه وظل يتأمله في هدوء وتعجب مرددًا جملة «سبحان مقلب القلوب»، يعرف أن محمود تغير كثيرًا عن هذا اليوم، ولكن هو نفسه عبد اللطيف أبدًا لم يتغير، انتظره حتى أنهى الكوب الموضوع أمامه..

إذا كنت أنهيت شايك، فبإمكاني أن أوصلك معي لأقرب مكان.. يا عمي أنا جاي أفتح صفحة جديدة..

لم يتمالك عبد اللطيف نفسه لأكثر من هذا، وأعاد تذكيره بمشاجراته معه حتى في حياة «مهد»، وتشكيكه في قتله لها بعد موتها..

قد يسامح عبد اللطيف في أي شيء، أما وقد وصل الأمر للإضرار بمصلحته وانفتح الباب الذي يعيد إغلاقه طوال عمره عن الاتهامات الموجهة له، فهو بالتأكيد آخر شخص يمكنه قبول هذه الزيجة.. لم تنتهِ الجلسة على خير.

رفض عبد اللطيف، غير أن حديثًا لا بد أن يجريه مع رشا أولًا بدّل قراره..

إنتي طبعًا لا يمكن هتوافقي، دا كان خاطب بنت عمك.. دا بيستغلك عشان شبهها مش أكتر.. هتندمي.. دي متلازمة نفسية معروفة يا بنتي..

إنتي بس بتفكريه بـ«مهد».

الإنسان بيفضل محتفظ بحبه السابق مهما حاول ينساه، اندفع يحاول بناء أسباب منطقية لرفضه وإقناعها بها..

أظهرت رشا تحفزًا واضحًا على ملامحها.. رفعت حاجبها ثم ردت بنرة واثقة وعالية:

لا يا عمي، أنا موافقة..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تلعثم قليلًا وأشاح بوجهه ليتجنب التحدي المطل من ملامحها، وقال: الولد دا ملوش مكان بيننا تاني كفاية أوي لحد كدا..

لجأت ببساطة لأمها التي اقتنعت وتحمست للزيجة لأسباب طويلة بطول الحبال الممتدة للماضي، أولها العند في عبد اللطيف وبنته.

كان كافيًا جدًّا أن تنظر له بعينيها الجريئتين بين ألفاظ كلماتها التي تختارها بعناية، وهي تحادثه لتذكره تلميحًا بكل شيء، فهم الرسالة وأخبرها بموافقته، هناك سبب آخر حقيقي هي سعيدة فعلًا بهذه الزيجة لإكمال فرحتها بابنتها التي جاوزت الثلاثين بلا زواج أو عمل.

انجرفت رشا وراء تطلعات أمها في الحلم بزيجة محترمة، ورفضت كثيرًا من العرسان وفرص العمل، ثم وفجأة توقف الخُطّاب عن طرق بابها.

لتظل اثنتاهما وحدهما بالبيت الواسع تتابعان خطبات «مهد» المتعددة بغبطة تتجاوز تلك الغبطة الطيبة التي يتبادلها الأقارب فيما بينهم..

كان أكثر ما تبدت هذه الغبطة عندما تقدم لها محمود بالذات..

إزاي..

دي مطلقة..

دي مفيش خطوبة ليها كملت كام شهر..

مش فاهمة فيها إيه بيخليهم يجروا عليها..

عزت أمها السبب لشهرة «مهد» التي تغري الآخرين للظهور بالقرب منها..

اليوم محمود يصحح الخطأ كما قالت له ويختار رشا، قالت له أماني «أخيرًا هترتاح وتستقر».

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وافق الجميع أخيرًا..

انتهت المكالمة قرب الفجر بعد أن أنهيا حصر كل الأصدقاء المشتركين الذين ستتم دعوتهم للحفل..

من بينهم أصدقاء مشتركون مع «مهد»؛ مشاهير السوشيال ميديا تحديدًا، أصرّت على دعوتهم، كما أصرّت من قبل على إقامة الحفل بنفس الفندق الذي شهد زفاف «مهد» الأول..

مش شايفة الموقف محرج شوية، إنتي معرفتيهمش غير بعد وفاة «مهد»، قال محمود.

إيه؟! ردت بتعجب منفعلةً، طب بالله عليك تسكت، دول أقسم بالله بقوا أصحابي أكتر منها..

أصرّت أيضًا على دعوة ريهام سمير صديقتها التي تعرفت عليها أثناء تقديمها في اختبارات مضيفات الطيران، تصرّ رشا دائمًا على سرد الحكاية المشتركة بينهما، حيث تقدمت لاختبارات مضيفات الطيران.. أهم معاناة مرت بها في حياتها تحكيها دائمًا دليلًا على كونها إنسانة واجهت الصعاب بشجاعة، وتقبلت القضاء والقدر برضا وسماحة نفس.

تخرجت في الجامعة، تقدمت هي وريهام معًا للعمل بالخارجية وتم رفضهما.. فقررتا التقدم للعمل كمضيفات طيران.. حلم حياتي كان إني أسافر، رُفضتا معًا؛ هي بسبب الحجاب وريهام لأنها مسيحية.

تصرّ رشا على أن الفرصة كانت متاحة أمامها لخلع الحجاب وإعادة التقدم للوظيفة المضمونة، نظرًا لتفوقها في الاختبارات كلها،

Battanaii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أنا كدا كدا كنت ضامنة الفوز يا محمود، وعمي عبد اللطيف وعدني يكلم ناس يعرفها بس هما اشترطوا إني أقلع الحجاب، وأنا طبعًا رفضت، أنت متخيل إن ريهام المسيحية نفسها قالت لي لا اوعي تعملي كدا..

.....

بتوع فيسبوك تاني؟ أنتو مش بتتعظوا من الفيسبوك دا..

قالت أمها التي اعترضت على قائمة المدعوين بلا جدوى..

تم الاتفاق النهائي على دعوة أفراد بعينهم، صحيح القائمة كبيرة وشملت معظم المشاهير الذين تعرفهم «مهد».. لا يهم مدام تعرفيهم بالاسم، قالت أمها «مش ناقصين حسد».

أفسدت خبطات الباب الجدال حول تجهيزات الحفل..

اللواء حمدي بنفسه ومعه الحاجة، هلل عبد اللطيف فرحًا بالزيارة الميمونة التي لا تتكرر كثيرًا..

جيت أسلم على عبد الهادي، قالها، ولكن الحاجة بالطبع لم تستطع لفظها من جانبها بالتأكيد لم تتحامل على ركبتيها المتعبتين لتقابل «أماني».

استأذن عبد الهادي أن ينفرد بعبد اللطيف قليلًا بمكتبه، بينما راحت أم أحمد تجول عينيها في المكان، غير منتبهة لحوار رشا وأمها المتواصل لتبرير خطبتها من محمود، والله يا ماما «مهد» هتكون فرحانة أوي لمّا تعرف..

أوعدك مش هتطمن على محمود مع حد قدّي..

وانتي كمان يا ماما دا أنا بحسك حماتي أكتر من نرمين، بدت أماني أيضًا وديعة ومستأنسة شاركت ابنتها تملقها، فردت الحاجة بابتسامة مفتعلة،

ثم قالت:

هقوم أشرب، مبررة ذهابها للمطبخ..

وقفت رشا باتجاه المطبخ طب استني يا ماما هجبلك أنا الميَّه..

لا مفيش داعي يا بنتي ارتاحي إنتي جمب خطيبك..

سعدت رشا بالجملة سعادةً أنستها تحركات أم أحمد المريبة من المطبخ إلى الحمام ثم إلى غرفة «مهد» وخروجها المرتبك من الغرفة تخفي شيئًا، لم تعد لجلستها وإنما اتجهت لباب الشقة مباشرةً..

سألها محمود الذي لاحظ خروجها مسرعةً:

في حاجة يا خالتي؟ فأجابت بنبرة سعيدة ومرتاحة لا أبدًا يا حبيبي دا أنا وحشتني «مهد» حبيت أدخل أوضتها أشم ريحتها.

لحق بها للباب يطل من وجهه حزن حقيقي لذكرى «مهد».

أنا آسف يا خالتي، والله صدقيني أنا عملت كل اللي عليّا.

ردت أم أحمد، ألف مبروك يابني، ربنا يكملك بخير.

التفت محمود لرشا التي عادت من المطبخ تحمل صينية كعادتها يتراص عليها مشروب عصير الكيوي بالليمون.

اشربي بقى معانا يا ماما العصير.

لا يا حبيبتي، خلاص أنا نازلة أصل رجلي تعبتني.

لمّا عمك حمدي يخلص، خليه يحصّلني.

وفي الغرفة المغلقة كان حمدي يبلغ عبد اللطيف بفتح تحريات جديدة حوله، صور لسكرين شوتات من إيميل غير معروف تضم محادثات له تدينه بارتكاب مخالفات جسيمة في أعمال العقارات وغيرها..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

دا كلام فارغ، أكيد حد متآمر عليّا، أنت عارف الحاقدين عليّا كتير..

أنا حبيت أبلغك عشان تفهم بس..

طمأنه حمدي أكثر قائلًا غالبًا دي إجراءات روتينية ولازم تاخد طريقها..

امتعض وجه عبد اللطيف، بلع ريقه بصعوبة، ثم أضاف بثقة مفتعلة بوضوح، أنا متأكد إن شاء الله إن مفيش حاجة عليّا، ارتفع صوته وزاد انفعاله، قائلًا: وبعدين ما أنا خسرت المنصب هما شايفني كسبت، بيحققوا على إيه، ما يروح يحققوا مع حاتم بيه اللي فاكر نفسه ملاك.

متقلقش يا عبد اللطيف إن شاء الله خير.

استأذن حمدي بالانصراف، ولحق بأم أحمد التي استقبلته بفرحة عامرة، قال لها: نفذتي اللي في دماغك ودخلتي فتشتي الأوضة؟

أيوا..

ولقيتي اللي عاوزاه..

أيوا.. لقيت الصندوق اللي كانت شايلة فيه صور ثريا ومذكراتها القديمة.. هي قالتلي مرة إنها كاتبة فيها كل حاجة وشايلة كمان جواها ورق الأرض بتاعة أمها اللي مخبياه عنه لوقت اللزوم..

حاول حمدي سحب الدفتر والأوراق المطبقة بداخله، سحبت يدها للخلف بقوة قائلة: لا.. هقرا أنا الأول..

امتثل حمدي لأمرها، ترك لها دفتر المذكرات، وسحب برفق الأوراق المتدلية من طرفه ليتأكد من صحتها..

نسخة حديثة من عقد أرض الدقهلية باسم ثريا، و..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ورقة شحن بضائع إلى دبي باسم لانا مشعل زيدون!!!!

اتصل بالظابط الذي كلفه بالبحث عن لانا.. كاد ينسى الأمر بانشغاله بقصة محمود ورشا وبأزمة عبد اللطيف التي ظهرت فجأة..

قال بلهجة آمرة، أول ما تنزل مصر تجيبهالي..

احتفظ بإيصال الشحن، إلى جانب نسخة عقد البيت على الرغم من أنها بلا قيمة، فالعقود التي يملكها عبد اللطيف تقول إن ثريا باعت كل شيء له بموجب التوكيل ولا أحد يستطيع تكذيبه في ذلك، طالما الأوراق سليمة والتوكيل سليم.. ولكن النسخة حديثة..

لم تجرب «مهد» يومًا الطريق إلى المصالح الحكومية، ولم تكن لتفعل..

هو من ينهي لها أي ورق تطلبه..

من قد يكون ساعدها في استخراج ورقة كهذه؟

قلبت أم أحمد الصندوق رأسًا على عقب وفتشت صفحات المذكرات مرارًا حتى كادت تسقط منها الكلمات نفسها، سمعها تهمس المفتاح؟! فين بس المفتاح؟!

ليس هنالك سوى هذه «الأجندة» كتبت «مهد» بها مذكراتها بأول حياتها قبل انتقالها للبوح الإلكتروني..

بأول صفحة..

ورقة سميكة بفعل الصمغ الذي يربطها بأخرى من أسفلها حاولت أم أحمد فك الورقتين، ولكن تسبب الأمر في تمزيق الصفحة..

ما فهمته أن ما تحت الورقة كان خط «مهد» وهي صغيرة، وقد أعادت كتابة ما أرادت مرة أخرى ولصقته فوق الورقة الأصلية..

Battanüni PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ليس هناك شيء خطير، قالت لزوجها.. أسقط هز الأجندة العنيف فقط ذكريات طفولية عن يوم الزلزال (أكتوبر 1992).

كتبت «مهد»:

يا إلهي، كيف صدرت من طفلة كل هذه الكلمات الصعبة..

أنا لا أتذكر الآن عن هذا اليوم سوى ضحكاتنا على سذاجتنا وهرولتنا بملابس البيت في الشوارع..

كان المشهد وقتها مفزعًا صحيح، خاصة لطفلة مثلي.. لأول مرة تواجه القاهرة كل هذا الفزع دفعة واحدة..

ألم أقل إن هذه المدينة كانت قد بدأت بالفعل رحلة قبحها! لا أعرف كيف صغت هذه الجملة وقتها، ولكنه بالفعل كان قبحًا.. ليس بهذا الشكل الذي تصورته وأنا طفلة، التراب الذي ملأ الشوارع، ثم بكل هذا الحشد الغفير من البشر الذي أخفى التراب فورًا بخطواتهم المتفرقة بكل اتجاه..

نحاول استيعاب منظر بيوتنا التي تكاد تنهار فوق رؤوسنا.. دائمًا ما كانت شوارع القاهرة دافئة آمنة، لا ندري كيف كنا نتصور أن بقاءنا بالشارع لينهار المنزل علينا أكثر أمانًا من بقائنا بداخله والانهيار مع أحجاره..

حسنًا فعل والدي بقرار تركنا لحي إمبابة بعدها والذهاب للعمارة الجديدة التي انتهى لتوه من بنائها.. صحيح أني انهرت خشية مفارقة خالتي، ولكن كان أبي عطوفًا ربما لأول مرة في حياته، حين عرض على عمي حمدي شراء شقة بسعر مريح لينتقلوا معنا إلى هناك..

بللت دموع أم أحمد الورقة تأثرًا بذكرى البيت القديم..

ثم عادت لها بسمتها، وهي تتذكر تلك الليلة التي تحكي عنها «مهد»..

أكملت «مهد»: كنت عائدة لتوي من درس القرآن بعد أنا كافأني الشيخ بـ«نصف جنيه» لأتقاني حفظ سورة القيامة..

«فإذا برق البصر، وخسف القمر، وجُمع الشمس والقمر، يقول الإنسان يومئذٍ أين المَفرُّ»..

رددت الآيات في سري، بينما أسير في طريق عودتي للمنزل، وإذ بي أكاد أراها تتجسد أمامي..

قطعًا هو يوم القيامة..

حاولت ببطء اختراق كل هؤلاء المفزوعين من حولي كنت على يقين أني بمجرد أن أصل لبيتنا ستكون الستار قد أسدلت على هذه الدنيا..

البيوت المتلاصقة بحيّنا القديم تنفصل عن بعضها مخلفة غبارًا أفقد الجميع القدرة على الرؤية والتمييز، الناس يتخبطون ببعضهم بلا أي حرج..

بصعوبة اخترقت الهلع الذي سيطر على المدينة.. وصلت إلى البيت لأجد خالتي وأبناءها الثلاثة بجوار باقي الجيران في الشارع، البعض يصرخ والبعض يبكي والكل في حالة رثة..

لا أعلم لماذا كنت أحاول الوصول لبيتي إذا كنت على هذا اليقين الذي تملكني وقتها بأن الأرض قد انتهت..

كنت أرغب وبشدة أن يحاسبني الله في بيتي..

فهناك حتمًا سأشعر بأمان أكثر يمكنني من الرد على أسئلة الملائكة..

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انتهت الصفحة، ضحكت أم أحمد مضطرة، وهي تتذكر كيف كان إصرار «مهد» على أن تُريها النصف جنيه الذي حصلت عليه من الشيخ وسط كل ما يحدث..

صرخت فيها ربما لأول وآخر مرة بحياتها، يا بنتي الأرض انتهت ورجعت من جديد، إحنا في إيه ولا إيه دلوقتي..

ثم تذكرت الاثنتان فجأة شيئًا أنساهما النصف جنيه والزلزال معًا..

أبوكي.. بابا..

صدر الصوت منهما معًا في آنٍ واحدٍ..

انتقلت أم أحمد للصفحة التالية كتبت «مهد» فوقها:

«بابا».

استدعت أم أحمد خلايا عقلها جميعًا لحالة استنفار قصوى من أجل قراءة ما سيأتي..

صدمها إعلان الاعتراف بالذنب الذي سجلته «مهد» تلوم نفسها على نسيانها لأبيها..

لم يلحظ أحد غيابه، لم يفتقده أحد من سكان الحي الذين راحوا يتفحصون بعضهم البعض ليتأكدوا من سلامة الجميع، ولكن كيف حدث أني أنا ابنته أيضًا لم ألاحظ غيابه..

بحثت عن خالتي وعن أحمد ومحمد ومحمود إخوتي غير الأشقاء أبنائها.. ثم هرعت إلى شقتنا لأتاكد من سلامة ألعابي، ونزلت سريعًا لأشارك سكان

نسخة غير مخصصة للطباعة

الحي تفاصيل مغامرتهم الجديدة التي يعيشها سكان القاهرة لأول مرة «الزلزال».. كل منهم يحكي معلوماته عن الزائر الجديد لذاكرة الأحداث لسنوات طويلة قادمة.

حين انتبهنا لغيابه أنا وخالتي كان خارجًا لتوه من باب البيت ببذلته البنية ورابطة عنقه القصيرة، تغطي أناقته الكاملة على انطباعات الذهول وأسئلته المتلاحقة لماذا أنتم مجتمعون بالشارع هكذا؟ هل صار شجار كبير إلى الحد الذي يستدعي مشاركة كل أهل الحي لحله؟

انفجر الجميع ضاحكًا، فزاد غضبه ثم التفت إليّ لينفثه كالعادة في وجهي عن سبب وجودي في الشارع بملابس البيت..

تلقت خالتي رذاذ السباب الخارج منه نيابةً عني كعادتها أيضًا.. وتولت شرح الأمر..

زلزال.. حصل زلزال..

أغلقت أم أحمد الدفتر لترد على همسات حمدي المتكررة بجوارها..

البيت القديم!!

إزاي مفكرتنيش بحاجة زي دي؟

هي معاها مفتاح البيت القديم؟

إنتي معاكي مفتاحه؟

يا حاجة؟

ردي؟

Baffandi PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

انتبهت أخيرًا لتعطيه نسخة المفتاح التي كانت تملكها بخلاف النسخة الأخرى التي أعطتها لـ«مهد» منذ فترة بعد أن رفض عبد اللطيف إعطاءها نسخته..

أجرى حمدي اتصالًا بصديق قديم في قسم إمبابة ليجمع له تحريات عن البيت..

هل ما زال مفتوحًا، من زاره مؤخرًا، وسؤال السكان بالمنطقة إن كان أحدهم قابل «مهد» أو عرف شيئًا عنها خلال الفترة الأخيرة..

إن اختفت «مهد» هاربة من عبد اللطيف فستعود حتمًا للبيت القديم، وإن هربت من لانا أو حسام أو شخص من طرفهما يحاول قتلها وأذيتها، فستعود أيضًا للبيت القديم، وإن هربت بحثًا عن مستقبل جديد مع حاتم أو غيره، فستعود كذلك للبيت القديم..

هناك جذع يمكنها الاتكاء عليه بأمان، هناك مخبأ يمكنها الاحتماء به، وهناك سند يمكنها الثقة به، فهو بيت أمها الذي ما زالت تؤول ملكيته إليها، وربما تكون «مهد» إذا كانت تبحث عن مال -لمشاركة حاتم أو لانا- تصرفت فيه باعتباره ميراثها الوحيد الذي تسيطر عليه..

ما زال عقله شاردًا في المعلومات التي ذكرها له صديقه حول لانا من جهة، وحول شبهات تورط عبد اللطيف في المخالفات التي تلاحقه.. تم إغلاق الملف عدة مرات من قبل، واستطاع عبد اللطيف إثبات براءته..

لمصلحة من أعيد فتحه مرة أخرى؟!

Battanaiii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

طلب من النيابة إصدار أمر ترقب وصول للانا..

حتمًا ستعود للقاهرة، سيعرف منها لماذا باعت لها «مهد» متعلقاتها..

وكيف وصلتها كل هذه الصور والسكرين شوتات التي تدين عبد اللطيف والمرسلة للنيابة من بريدها الإلكتروني السري..

كل هذا الوقت الذي تقضونه على الإنترنت ومازلتي غبية للدرجة التي لا تعرفين بها أن مباحث الجرائم الإلكترونية يمكنها كشف صاحب إيميل كهذا، همس حمدي لنفسه..

أصبح متأكدًا أن عبد اللطيف لا يعرف شيئًا عمَّا يحدث، هو نفسه ضحية بهذه الجريمة..

غير أنه لم يعد قادرًا على إنكار حقيقة أن «عبد اللطيف» صديق العمر مُدان.. ليس بقتل «مهد»، بل بقضايا أخرى كثيرة كشفها الإيميل الذي أرسلته لانا للنيابة، أسرار أكبر من وضع يده على ميراث زوجته وأموال أخيه والتي مررها له حمدي على مضض بحجة أنها أمور عائلية..

وأكبر حتى من المخالفات البسيطة في البناء أو المضاربة بالعقارات التي طالما أغلق أذنيه عن الهمهمات التي ينقلها حوله زملاؤه عنه..

لا أحد الآن يمكنه أن يسمع منه شكواه من صديق العمر الذي خذله في ثقته به، ومن صدمته في من بمرتبة ابنته له بتورطها ولو بالكلام مع المدعو حاتم..

«الحاجة»، لا يمكنها تحمُّل أي جدال الآن..

PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لا تحتمل حالتها بعد وفاة محمود أي صدام ولو بالكلام، هو بالأساس استسلم لإلحاحها أن يصطحبها معه لشقة عبد اللطيف بصعوبة خوفًا عليها..

لم يعلم قصة بحثها عن دفاتر مذكرات «مهد»، ودخولها غرفتها سوى حين فاجأته بالصندوق..

الحقيقة أن الدفتر جاء مخيبًا لتوقعاتها، باستثناء نسخة العقد التي لا تثبت أي شيء، حيث توقفت «مهد» عن الكتابة الورقية سريعًا..

صفحة وحيدة التي عثرت عليها وتدين عبد اللطيف..

وأضافت إليها واقعة أخرى من ذكرياتها هي بمناسبة عودتها لزيارة شقة عبد اللطيف..

تذكرت كيف صفعها وهي طفلة صغيرة على وجهها..

يتذكر هو أيضًا هذه الواقعة جيدًا..

انتفضت الحاجة يومها من جلستها لسماعها صوت بكاء «مهد» العالي يتجاوز الجدران الفاصلة بين الشقتين، انطلقت كالسهم لشقة الدكتور عبد اللطيف..

لأول مرة تدخلها منذ وفاة ثريا..

هي بالأساس لم تكن تزور ثريا كثيرًا..

انهالت عليه عتابًا ولومًا لتفاجأ به يبادلها الهجوم ويتهمها بإفساد الطفلة وتعليمها عادات سيئة..

PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

«فاكر لما قالي إنتي السبب في تربية سيكولوجية الجشع في الولاد وأفسدتي المجتمع»..

ضحك حمدي لتذكرها الجملة بصيغتها كما نطقها عبد اللطيف، كم ضايقتها هذه الجملة تحديدًا..

«ياه يا حاجة، إنتي لسه شايلة في قلبك»، رد عليها ضاحكًا:

صدّعه عبد اللطيف كثيرًا بعدها بحديثه عن النزعة الرأسمالية التي أصابت سكان القاهرة، وحالة صناعة الوعي الاستهلاكي التي نقلها التلفزيون للأجيال الصغيرة..

أما هي وبعد تأمل طويل في عينيه بحثًا عن نظرة ندم على فعلته، ولمّا لم تجدها ردت عليه بكلمة واحدة «أنت راجل معندكش قلب».

ومن دون استئذان وبثقة كأنها تتحرك في بيتها دخلت إلى غرفة «مهد»، جمعت بعض ملابس للصغيرة وخرجت عائدةً إلى شقتها مُقسمة ألا تعيدها إليه مرة أخرى..

تدخل حمدي للإصلاح بينهما، وإعلان الهدنة لمصلحة «مهد»..

غير أنه عرف من يومها أن زوجته «قلبها رهيف» بس إيدها سايبة، وأن عبد اللطيف راجل ناصح بس قلبه حجر، وقضى حياته يُوائم بينهما..

Battanaiiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

سر جديد

شخص آخر عليه إجادة المواءمة بين العالمين..

بدأها محمود بالكلام، سألها عن أي معلومة، أي سر كانت تعرفه عن «مهد»..

لقد انتهت «مهد» من قلبي تمامًا، برر سؤاله.

أنا لا يهمني منها الآن سوى أنها قريبتك انتي.. اعتبريني تعرفتي عليكي أولًا.. وأنت توسطتي لديَّ لأساعدك في مشكلة وفاة ابنة عمك، قال، فردت بضجر:

إذا كان الأمر كذلك؛ فأنا لا أريدك أن تبحث لي عنها، اعتدلت رشا في جلستها، وأصلحت من وضع الإيشارب فوق رأسها وتحدثت بنبرة أكثر جدية.

يا محمود، أنا لم أكن أريد إخبارك بهذا الأمر من قبل.. خفت أن تظن أني أفعل ذلك للتقرب منك.. خفت ألا تصدقني، ولكن إذا كنت اليوم تقول بصدق أني أنا الأقرب إليك.. فهناك سر آخر يخص «مهد» يجب أن تعرفه حتى تغلق هذه الصفحة من حياتك وأنت مطمئن..

راحت رشا تحكي بخجل..

«مهد» كانت بتعرف واحد تاني غيرك.. واسمه حاتم.. ناس جيرانها أصحابنا قالولي إنه كان بيروح عندها.

أمسكت رشا بيديه تحسبًا لرد فعله.

Battanjiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ولكن ما حدث هو أن محمود انفجر ضاحكًا بصوتٍ عالٍ، تملكت الدهشة من رشا.

أجابت بارتياح: لا كدا اتأكدت أنها اختفت من قلبك تمامًا، كما اختفت من الأرض كلها، أضافت عرفت ليه أنا مش كنت بحبها.

عشان كانت اللهم ارحمها وارحم موتانا واستر عرضنا جميعًا..

توقف محمود عن الضحك أخيرًا، تنهد قائلًا آه عرفت.. عرفت كتير أوي..

ربنا يستر ومعرفش حاجة تاني..

ردت رشا بنفس ذهولها، قصدك إيه؟

....

«لا يجب أن نسعى لنعرف كثيرًا عمَّن نحبهم، نبحث عن أعدائنا أكثر، مما نفعل مع أحبائنا، المعرفة تُنقص المحبة، كلما عرفنا أكثر أحببنا أقل..

المعرفة تحمّلنا عبء أن نتصرف كأشخاص عارفين..

لا يعود بإمكاننا أن ننعم بنعمة القلب الغافل المحب، لا يعود بإمكاننا أن نسامح وأن نتغاضى، لقد صار لزامًا علينا أن نحلل ونفسر كل شيء بناءً على ما عرفناه».

«مهد» كانت تخونه ليس فكريًّا فقط كما ظن، ولكنها فعليًّا كانت تخونه.. كانت هناك لقاءات عديدة بينهما، قالت رشا ذلك باعتبار جارتهم كانت ترى تردد حاتم بأوقات كثيرة عليها..

كم أنت مغفل حين صدقتها..

كانت تكذب في كل شيء..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

قلبها وفكرها وجسدها كلهم كانوا في يد حاتم..

ولماذا احتفظت إذن بخطبتها له؟!

أجابته رشا بأسوأ إجابة يمكن أن يسمعها شخص في وضعه..

كانت بتغيظنا بيك، بتغيظني أنا وماما بالذات، وكمان تسكت الناس اللي ممكن يتكلموا عليها..

شهر جديد انقضى ومحمود يزور بيت رشا وأمها، يحاولان في كل زيارة أن يثبتا له أنهما كان أحق به منذ البداية..

زاد وزنه 5 كيلو جرامات بفعل العزومات الكثيرة التي تستقبله بها أماني، وأنواع الحلوى الفريدة التي تتميز بها، وطبعًا عصير الكيوي بالليمون.. لا يمكن يغادر الشقة قبل أن ينهي كأسه..

ساعدته جلسات التطهير العائلية هذه في إزالة آثار الغربة وفتح قلبه، حكى كل شيء عن نفسه وعن طفولته..

غريب أن تجد نفسك الحقيقية بين أشخاص تفصلك عنهم صلة الدم.. بينما يسيطر عليك إحساس الغربة في بيتك بين أهلك..

وغريب أنك كلما ابتعدت عن القريبين منك أصبحت أكثر حريةً، لماذا نخاف أن تنكشف ذواتنا على الأقربين، ونعريها بكل ببساطة أمام من لا يعرفوننا..

ومع هذا ففي هذه الحياة لكل منا روح مصنوعة هي الأخرى من دورة دموية وجهاز هضمي وعصبي يشبهون جسده تمامًا..

Ballantiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

إذا كان الجهاز الهضمي لروحك مصابًا بالقولون، فأنت لا تناسبك المأكولات التي تهيجه، ولو كانت الحياة تمنح لك يوميًّا وجبة مجانية من أشهى الأطعمة المهيجة للقولون، لن تسعد روحك بأكلها، فهي تؤذيك، تتعبك، وترهقك، وتسبب لك الألم..

ستحن روحك لذلك الآخر وإن كان في وجهة نظر الكثيرين مجرد كوب من الزبادي الخالي الدسم..

مع كل جملة يقولها عن نفسه، عن ماضيه، عن أحلامه، يجد صدى مختلفًا تمامًا لدى رشا، يهيج قولونه، يدفعه للبحث بين بوستات «مهد» وأفكارها عن علبة زبادي خالية الدسم ليهضم بها..

لا يعرف محمود ما الذي يدفعه للعودة لقراءة بوستات «مهد» مرة أخرى.. لقد سلم لحمدي الفلاشة ونقل له كل المعلومات التي عرفها.. ربما هو حب استطلاع، فقط ليعرف كل ما كانت تخفيه.. ثم إن الصدمة الكبرى قد وقعت، ما الذي يمكن أن يعرفه أسوأ من ذلك..

«لن تسعد روحك بأكل وجبة مؤذية لجزء منك، ولو كان يقدم لك مجانًا»..

هذا واحد من بوستاتها العامة لا يعلم لماذا تذكره وبحث عنه اليوم، هي دائمًا ما كانت تسحره وتقنعه بشخصيتها.. كانت تجيد هذه اللعبة حقًّا «إقناع الآخرين».. لعل هذا ما جعل منها إنفلونسر رائعة.. تجيد ترتيب الكلمات لتخرج منها كالسحر..

صحيح، معكي حق أيتها المصلحة الاجتماعية القديرة.. ولكن ما ليس غريبًا هو أنك أنت من وضع هذه القاعدة، هكذا كنت تزرعين نفسك

دائمًا في أي أرض لا تنتمين إليها، وتقتلعين الجذور التي تربطك بكل من يحيطونك..

كان أكثر ما استوقفه في حواراتها مع حاتم هو كم الضحكات التي تكاد تسمعها مدويةً من بين كلمات الرسائل..

أحاديث طويلة ومتشابكة تطول كل شيء بينهم..

تراه على طرف النقيض من عبد اللطيف محبة الجميع له، جديته ونجاحه المسموع.

ويراودها إحساس منصف بالنقص أمامه، لانتمائها لهذا العالم المناقض لعالمه، والذي يمثله عبد اللطيف، حكت له قصة بطولتها بالنزول لإغاثة المصابين في أحداث الثورة والقبض عليها وكيف شبهها الظابط بثريا وملحوظته «أنها طالعة لأمها»، هذه القصة الممنوعة من ذكرها بأمر من حمدي وأوامر حمدي نافذة عليها لا تخالفها أبدًا، ومع هذا حكتها له هو.. حكتها بجميع تفاصيلها، إلا لقاءها به بين ردهات مبنى النيابة.. بعدها.

أنا كنت معك يا «مهد»، كنت شريكك.. أنا من كان يجب أن تشاركيه هذه القصة بحماس..

أكثر ما تعجب له أن حاتم في المقابل..

لا يقولها صريحة أبدًا..

لماذا صدقت يا «مهد» أنه يحبك أو أنه يمكن بالأساس أن يحبك.. بحث محمود بكل رسائلها السابقة على الواتساب تقريبًا.. العشرات من كلمة أحبك منها وفي المقابل أشكرك وأنا كمان واحدة منه.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تشكره على نصيحة تافهة في اختيار لون فستانها الذي ستسجل به حلقة جديدة لليوتيوب، مقدرةً له دوره في حياتها، وكيف يستطيع هو أن يلتقطها دائمًا كلما أوشكت على السقوط ويحيطها برعايته.

حقًّا؟! كل هذا لاختياره لون فستانك؟ هل كان الأمر يستدعي كل ذلك؟.. ما أغرب عقول النساء!

تشكره على المرات التي ينظر لها في الخفاء، وتعذره لأنه لا يطيق أن تلتقي عيناهما، وتؤوِّل كلماته البعيدة كأكثر الجمل حميميةً..

قل صباح الخير حتى، وسأسمعها أحبك.. كتبت في إحدى رسائلها:

كيف يدير هذا الجهاز الموجود بداخل أذنيك عملية الترجمة؟! سأل محمود نفسه مجددًا:

حقًّا وصدقًا.. ما أغرب عقل النساء!!

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

غدًا بداية جديدة

في نفس القاعة التي أقامت بها «مهد» حفل زفافها الأول مع حسام بفندق لو ميراج الهرم، لم يكن محمود بالطبع حاضرًا ذكرى هذا اليوم، الذي ظل يتحاكى به الجميع، الأعداد الكبيرة من المدعوين الهامين، والقاعة المضيئة بالفخامة من كل اتجاه، وفستان «مهد» الأسطوري بذيله الطويل، يلمع من أطرافه بفعل الحبات اللامعة التي تزينه.

نفس المشهد، ولكن هذه المرة اضطرت القاعة لإطفاء أنوارها لعطل في الكهرباء.

أمطار مفاجئة هذا الصباح شلّت حركة البلاد، لوثت الشوارع التي تحولت لبرك من الطين أطراف فستان العروس، ومنعت الشوارع التي شلت حركتها عددًا كبيرًا من الحضور..

القاعة شبه خالية..

عبد اللطيف وبعض أصدقاء محمود وأم أحمد واللواء حمدي.. نرمين أختها لم تستطع السفر لظروف حملها وعبد الهادي حاضر كالغائب.. يقف على مدخل القاعة لا يغادره في انتظار أن يظهر أحد..

أي أحد..

انتهى اليوم سريعًا، ما أن عادت الكهرباء حتى أسرعت إدارة القاعة بدمج فقرات الحفل وتقطيع التورتة وتوديع العروسين في نصف ساعة..

أغلق سواد الكحل عينيها الباكيتين، مفسدًا زينتها.

Battanäur PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

محمود بجوارها في السيارة التي أعادتهما مستمعًا بذهن شارد لقائمة الاتهامات الطويلة التي رمته بها.

اللوم.. اللوم.. اللوم.

هو كل ما حصلت عليه منه في المقابل طوال الطريق، إنتي اللي صممتي عالقاعة الكبيرة.. إنتي اللي دعيتي ناس متعرفيهاش، طبيعي ميجوش.. إنتي اللي اخترتي المكان.. إنتي اللي خططتي اليوم..

ردت رشا..

ردت بقوة..

قوة كانت كافية لتزيل كل طبقات الماكياج التي تغطي بها وجهها، وبدت أطراف الأظافر الاصطناعية المركبة على أصابع يدها كسكاكين المطبخ التي ستسنها في انتظاره إذا ما تأخر يومًا عن موعده أو قرر مقابلة صديق له على المقهى أو حادثته إحدى زميلاته في العمل، طال الحديث أم أحمد التي بدت حزينة في الحفل ثم انخرطت فجأة في بكاء حاد لحظة تبادل خواتم الخطبة ما جعل المدعوين القليلين بالأساس يتركون العروسين ويلتفون حولها لتهدئتها.

أنهى محمود الحوار تمامًا مع رشا حين قالت و«ست الحاجة اللي جاية تبوّظ لنا الفرح»..

أوصلها إلى بيتها، وقبل أن تخرج من السيارة خلع دبلته التي بالكاد لبسها ووضعها أمامها، قائلًا: الحمد لله إن المأذون مجاش هو كمان ومعملناش كتب الكتاب..

Battanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

طب «مهد» وكنت بتحبها، لكن مالك تخطب بنت عمها ليه، هي أي حاجة من ريحتها وخلاص..

ترددت الجملة الأخيرة التي قالتها له أمه كثيراً في عقله..

ريحة «مهد»!!

ربما كانت الأمور لتسير بشكل جيد لولاها..

ريحة «مهد».

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

الهروب

لم يكن يريد أن يعود لألمانيا..

أو على الأقل لم يكن يريد أن يعود خالي الوفاض، مهزومًا..

كان يريد انتصارًا ولو على «مهد».. انتصارًا بكشف سرها.. انتصارًا باقتلاعها من قلبه.. انتصارًا بالنجاح في حياته، ليثبت لها أنه أفضل من تلك الصورة التي رسمته بها بين حروفها السرية.. ليريها أنه كان أحق بحبها من هذا الذي منحته ثقتها وقلبها وسمعة أبيها ومنصبه..

ولم تحصل منه حتى على دقائق يقتطعها من وقته ليقدم فيها واجب العزاء..

أبلغ اللواء حمدي بقرار رجوعه لألمانيا..

لا تستطيع رشا أن تكون حتى رائحة «مهد».

رشا أشبه بمنزل مبني بأعواد الكبريت، شعلة نار بسيطة كانت كافية لإحراق أعمدته وإفنائه..

نظر لكرشه الممتد أمامه في بذلته، قرر النزول في الصباح لممارسة الرياضة من جديد استعدادًا لاسترداد لياقته التي جاء بها من الخارج..

عادت رشا لمتابعة أخبار الجميع في سرية على السوشيال ميديا، أختها ومحمود وريهام صديقتها حتى حسام زوج «مهد» السابق تتابع أخباره وزوجته يوميًّا.. غير أنها عادت أيضًا لتوقفها التام عن نشر أي بوستات أو التعليق أو المشاركة لأي شيء فقط تراقب وتنتظر.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

عاود متابعة حساب «مهد»، يرضي حب استطلاعه..

كلما ساعدته سرعة النت لتحميل مزيد من الرسائل السابقة، وصل بالحكاية حتى اليوم الأول للقائها بحاتم..

أول محاضرة ألقاها بأول يوم لها بالجامعة..

داخله شعور بأنه ربما لو استمر في بحثه لوجد جذورًا تجمعه بها تعود لأيام الفراعنة..

ألقمته «مهد» ردها كعادتها كلما حاول التطاول على سيرة حاتم..

كتبت «مهد»:

أنا في انتظارك منذ يوم ولدت لترشدني الطريق السليم.. لتنشئني على يديك كابنتك..

«ليتني كنت فعلًا ابنتك وليتك كنت أنت مكانه، ذلك الذي يقف على الطرف الآخر منك، ممسكًا بيدي يكبلها فلا تطالك.. ليت بك بعضًا من قسوة قلبه ما يسمح لك بأن نلتقي».

حسنًا، هل أقنعك أن تخليه عنك نبل وشهامة؟ ردد بينه وبين نفسه مندهشًا من تزويقها لكل أفعاله القبيحة.

لو عدت لبررتي له عدم تقديمه العزاء فيكي، برقة قدميه اللتين لا تسمحان له بالسير لمشوار قاسٍ كهذا.

«قل فقط أنك تريدني.. وسأحل لك كل هذه المعضلة التي توقفك.. سأقتل هذه المهد ابنة الدكتور عبد اللطيف»..

ذلك الرجل الذي كرهته دائمًا، وكرهته أنا أيضًا..

Battanalii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

سألقيها في أقرب بحر أو ترعة..

توقف محمود مستعيدًا شيئًا شبيهًا بهذا كتبته برسائلها له على الواتساب..

عاد للبحث بينها مجددًا..

أعدك أن أعود إليك فتاةً جديدةً..

الفتاة التي تتمناها..

سأغير اسمي وعنواني..

ملابسي التي لا تعجبك سأتركها.. سأترك كل هذه التكنولوجيا التي تكرهها أنت لا هاتف ولا لابتوب ولا سوشيال ميديا..

وهتعملي إيه في عقارات، سألها حاتم مازحًا:

«عبد اللطيف عقارات».. هذا هو الاسم الذي أطلقه حاتم عليه بين زملائهما بالجامعة ثم تسرب شيئًا فشيئًا لخارجها أيضًا.

وانتي تقدري تعيشي من غير النت؟ أضاف سؤاله الجديد، مستنكرًا بكل إيموجي التعجب بالواتساب..

قالت: نعم.. بشرط أن أعيش معك.. وجودك يغنيني عن كل ذلك.

قلت لك من قبل أنك تملأني، وأقولها لك دائمًا أنت تملؤني وتكفيني تشعلني بنارك وتدفئني من برد هذا العالم.

يكفيني متابعة إشراق وجهك كل صباح عن متابعة شمس هذا الكون..

سأكون هناك كما اتفقنا في انتظارك.

Ballantine PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

اتصل به اللواء حمدي، ليقطع المنشورات السرية الرومانسية التي ترد بها «مهد» عليه..

محتاجك معايا، قال له:

خير يا عمي؟

عرف منه محمود بورقة الإيصال التي تثبت أن «مهد» هي التي أرسلت ملابسها إلى لانا زيدون، كل ما تعرفه لانا أن «مهد» أخبرتها أنها ذاهبة في رحلة تأمل للفيوم، وتعود بعدها لإعلان خط الأزياء الذي اتفقت كلتاهما عليه، كانت لانا صادقة في منشوراتها، بداية الأمر عن نية «مهد» العودة، هذا ما تعرفه.

«أنا نفسي ما صدقت أنها تموت جد، توقعت أنها تحكي معي، تخبرني إيش نسوّي بالمشروع اللي اتفقنا عليه.

كان صعب أخسر كل شيء، استمريت بالقصة بس لحين ما انتهيت من مشروعي..

وما خصَّني وين بتكون ماتت عاشت مو قضيتي يا فندم»..

وصدقتها يا عمي؟!

كل اللي قالته صح، دورنا وراها كتير مفيش حاجة تدينها.

لم يخبره حمدي بباقي القصة حول الإيميل السري الذي أرسلته لانا لتدين عبد اللطيف، لم يشأ أن يشوه صورة صديقه في نظره.

كان هذا بطلب من «مهد» كجزء من الصفقة وهي من أرسل لها الصور..

قالت لانا أنا ما أعرف مين هدا أصلًا.. سويت الاتفاق بيننا وخلص الموضوع.

Bahandiili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وهي صادقة في هذا أيضًا.

كشف له محمود باقي حكايتها مع حاتم.. وما قالته عن نيتها تغيير حياتها لأجله..

حاتم!!

صاح حمدي.. حاتم صدّيق؟

أنت تعرفه؟

نعم!

أكيد أعرفه.

استطاع محمود أن يجذب انتباه حمدي، فهذه هي الحلقة المفقودة التي كان يبحث عنها.

من يحرك كل هذا ضد عبد اللطيف الآن! فقط استطاع أن يربط كل ما يحدث ببعضه وإن كان عاجزًا أيضًا عن تفسير انتحار «مهد».

قال لمحمود.. أقولك يابني سر، أنا كمان قلبي بيقولي إنها عايشة على الرغم من التحريات عن شقة إمبابة موصلتش لحاجة، أو يمكن نفسي تطلع عايشة، الحاجة كمان مش مصدقة أبدًا، وماشية ورا أحلامها، كل يوم تقول إنها جت في المنام، وقالت لها إنها راجعة.

لمس محمود أصبعه الخالي من أي دبلة.. يا ريتها تطلع عايشة يا عمي والله..

ترجع ومش مهم أي حاجة تانية.

تبادل الاثنان صراحة كل المعلومات التي جمعاها معًا.

اللعب عالمكشوف الآن قال محمود مازحًا..

فضحك حمدي في البداية ثم جاراه في مزاحه تمام على بركة الله يابني.. خالتي تعبانة آه، لكن مش مجنونة..

الله يعزك يابني ضحك حمدي مرة أخرى..

أنا آسف والله يا عمي.. بس هي بتقول إن «مهد» اتصلت بيها من فترة وكلمتها من مكان بعيد، و«مهد» فعلًا كلمتها.

لو بس عرفنا إيه حصل في اليوم الأخير، الأربع والعشرين ساعة دول، اتفق الاثنان على هذا.

طلب منه حمدي بشكل شخصي أن يؤجل سفره لألمانيا مرة أخرى، ويجمع له أكبر معلومات ممكنة عن حاتم.

قال بجدية أيضًا: هذه المرة سأفعلها لأجلك أنت يا عمي.. هذه العائلة لم تعد تخصني في شيء.. أنا آسف لحضرتك يعني.

ضحك حمدي مجددًا على طيبة محمود، تمام عشان خاطري أنا يابني المرة دي، وخاطر خالتك برضو أنت عارف بتعتبرك زي ابنها.

Battandili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

متابعة حاتم

ليس طيبًا إلى هذا الحد، بعض من الشر مهم بهذه الحياة لمواجهة من يستحقونه، ربما هي فرصته للانتقام منه وفضحه.. إن كانت حية فعلًا وارتبط بها سرًّا، فقد مد بيده حبل مشنقته ليحصل على حقه منهما الاثنين معًا..

متابعة شخص كحاتم أمر سهل.

شخص يملأ الدنيا بتحركاته وبنجاحه في كل مكان من الجامعة لشركته، للعديد من الأماكن التي يشغل مناصب مهمة فيها.. حاول مقابلته، ولكن حاتم رفض.

يرفض أي شيء من طرف عبد اللطيف، يعرف محمود الآن كل شيء.. يعرف كيف أن اشتراك عبد اللطيف في أعمال غير مشروعة، بالإضافة إلى أعمال السمسرة العقارية التي ينافس فيها بعلاقاته بالعديد من أصحاب النفوذ كل هذا، كان مسموعًا ومدويًا.. نفد حاتم بجلده كما بدا لـ«مهد»، حين استطاع حسم ما يشاع عن علاقته بها، قال محمود لنفسه «بمنتهى الذكاء اختار السلامة والنجاح والاستقرار العائلي».

انتقل محمود لبروفايل زوجة حاتم.. سيدة مجتمع تليق بوضع الدكتور حاتم صدّيق، تمسك بيده في خلفية احتفالية كبيرة، يبدو أنها كانت مناسبة تقليده إحدى الجوائز.. تطل السعادة من ابتسامته الواسعة بعرض الصورة..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وفي لحظة أنارت جمجته بفكرة، وهي إرسال بوستات «مهد» حول حاتم له عبر رسائل الماسنجر..

لو رد علينا بشكل طبيعي يبقى «مهد» حية وهو يعرف مكانها، شرح لحمدي خطته.

وإن لم يكن، فعلى الأقل يربك له حياته، ويذيقه قليلًا من عدم الراحة التي عاشها بسبب «مهد»، قال بينه وبين نفسه.

وإن كانت محبوبته حقًّا حية، فهو أولى بها وبالبحث عنها، ضغط زر إرسال الرسائل.

كانت هذه الرسائل هي محرك الحدث الأخير الذي عصف بعلاقة «مهد» بأبيها.. والذي أدى لانتحارها أو اختفائها أيضًا.

لماذا كان يحركها حاتم ضد عبد اللطيف؟! هذا هو السؤال المهم الآن لحمدي، الذي سيفسر له كل شيء.

لماذا لا يبلغ عنه بنفسه، وكيف استسلمت «مهد» لدفعه لها للإبلاغ عن أبيها بنفسها.

أجَّل محمود سفره بالفعل لأسبوعين فقط.. ليساعد حمدي في إجابة أسئلته هذه، في انتظار أن تأتي خطته بأي نتائج.

يعرف الآن بالطبع ما دار بين اللواء حمدي وعبد اللطيف.. شرح له لماذا يحفر حاتم بهذه القوة وراءه؟

علاقات عبد اللطيف بالمستثمرين الرئيسيين في مشروع مقر شركته الجديدة والتسهيلات التي قدمها لهم لشراء الأرض جعلته مرشحًا قويًا لتولي رئاسة الشركة، رئيسه هو شخصيًّا!

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

هذا ما لم يمكن أن يقبله ولو على رقبته، كما قال، ثم جاءت عداوته الكبرى له بوقوفه أمامه في الانتخابات.

لم يكن هناك سوى «مهد» القادرة على إثارة القلق حول سمعة عبد اللطيف وإقناع أصحاب القرار النهائي بفساده وعدم صلاحيته لتولي المسؤولية، يعرف عبد اللطيف بالخطة التي دبرها حاتم من خلال أصدقاء عديدين أخبروه بما يدور بين ابنته وحاتم، ولهذا كان شجاره الأخير معها.

استخرج لها بمعرفته نسخة عقد لأرض أمها يعرف عبد اللطيف هذا أيضًا، لأنها أخبرته أثناء مشاجرتهما كيف حصلت على عقد الأرض.

باكيًا راح يعيد على حمدي كل هذه التفاصيل، وما حدث بالمشاجرة الأخيرة مرة أخرى بما في ذلك إخفاؤه لمفتاح البيت القديم حتى لا تعثر عليه..

كانت هتبيعه عشانه، وتضيع حقها زي كل مرة.

أنا كل اللي عملته كان عشانها يا حمدي.. فلوس أمها كانت هتروح للأغراب.. قرايبها اللي ميعرفوش عنها حاجة، وهي بنت مش هتورث حاجة.

نفذت «مهد» الجزء الأول من الخطة، وأسمعته يومها قبل أن تختفي كلامًا كبيرًا، لقنها إياه حاتم كما قال عبد اللطيف..

هو اللي كان بيحفظها الكلام الخايب دا كله.

قالت: أنا كدا بساعدك عشان تتطهر.. طالبت بحقها في الميراث لتشاركه بين حاتم ولانا هذه.

احتدَّ عليها ورفض منحها أي أموال، يعرف مسبقًا أنها ستؤول لحاتم في النهاية.

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أنت لا بتفهمي في الدوا، ولا في الأزياء.. انفعلت عندما سمعت رفضه.. تقدمت ضده ببلاغ في اليوم التالي.

تأكد لحمدي أن «مهد» زارت شقتهم القديمة في اليوم المفقود قبل رسالتها.. على الرغم من التحريات التي لم تثبت شيئًا عن زيارتها هذه، يبدو أنها اتبعت أقصى درجات السرية والتكتم، هذه هي المعلومة الوحيدة التي استطاع اقتناصها من حاتم بعد استجوابه بشكل ودي لثلاث ساعات.

ثباته وهدوء أعصابه لم يفلتا منه للحظة.

ترجَّاه حمدي بشكل شخصي أن يقول أي شيء يعرفه.

ليس هناك أي سبب قانوني لتوجيه الاتهام لك.

أنا فقط اسألك كأب.

بالكاد قال إنها أخبرته في مكالمتها الأخيرة أنها ستذهب للبيت القديم بإمبابة.

إمبابة..

ذهب حمدي للشقة بنفسه ليقطع الشكوك بيقين نهائي، رفض طلب محمود مُصاحبته، إلى هنا وما تبقى منها لا يخصه.

خطوات مليئة بالحنين مثقلة بالتوجس، أخرج المفتاح من جيبه استعدادًا لفتح البوابة الخشبية القديمة دمعت عيناه حزنًا لمنظر الشارع والحي والبيت المتهالك، ودمعت فرحًا مقدمًا لاحتمال راوده أن ينفتح الباب فيفاجأ بها أمامه..

Battanäili
نسخة غير مخصصة للطباعة

سيُعاتبها كثيرًا.

استحضر كل كلمات اللوم في ذهنه مُمنيًا نفسه بأن يستطيع التمالك أمامها وعدم احتضانها بعد كل هذه الفترة من الغياب الطويل.

وحشتيني أوي يا بنتي.

بللت دموعه صدأ المفتاح القديم، فانفتح الباب ليطل الظلام من كل أطراف البيت الخالي إلا من أشباح الذكريات.

حطام..

أشعل النور بصعوبة..

ليس من جديد هنا غير الحطام..

حطام هاتفها وحطام اللابتوب الخاص بها.. وحطام مشغولاتها الذهبية وحطام ملابسها القليلة الباقية الممزقة.

يبدو أثر الدموع التي جفت على أرضية البلاط الموزاييك المزركش واضحًا..

يكاد ينطق بكل شيء.

فهم حمدي لماذا وجدت السيارة بجوار كورنيش النيل القريب من المنطقة..

خرج من الباب.

الله يرحمك يا بنتي.. خاطب نفسه تاركًا كل شيء وراءه.. لم تستطع يداه لملمة شيء من بقاياها، حتى المفتاح تركه معلقًا بفتحة الباب.

عاد إلى البيت.. استقبلته أم أحمد..

Battanüju PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أنا افتكرت يا حمدي، افتكرت مكالمتها ليّا..

قالت لي سامحيني يا خالتي..

ثم انهارت باكية حتى سقطت أرضًا.

بصعوبة تمكن من إفاقتها.. ناولها حبة الدواء الخاصة بها، وكوب ماء وآخر لنفسه ابتلع به ما عرفه.

والسبب..

حاتم..

راح يحكي لها، اتفقت معه أن تزيح أبوها من أمامه وتهرب ليلحق بها، فعلت كل شيء.. ستنتظره في البيت القديم لينهيا بيعه.. ثم ستشاركه بثمنه.. ويستأنفان حياتهما معًا، تحركت في كل الاتجاهات لتبلي له طلباته كلها، ووقف هو جامدًا، لا يأبه حتى لإعطائها موتًا لائقًا، واستقرارًا لجثتها في قبر يزوره محبوها.

كل دا بسببه ترددت الكلمات الغاضبة داخل جدران عقله تكاد تفجره..

يعرف أننا نفتش تحت الأرض وفوقها ولم ينطق حتى بمعلومة تجعلنا نبكي عليها باطمئنان.. يعرف أن دماءها ربما لوثت نهر النيل ويشرب منه يوميًّا بلا طعم، مرارة ينغص عليه مذاقه.

يالقسوة الرجال حين يحيلون القلوب لقوالب من حجر يبنون بها مجدهم..

اتصل بمحمود في اليوم التالي.. لم يعد يخفي أي منهما شيئًا عن الآخر..

شهقت أنفاس محمود بكاءً من جديد عندما عرف بنتيجة زيارة حمدي لشقة إمبابة..

Battanaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

رغم كل ما فعلته بك يابني.. تبكي..

غصب عني ياعمي..

حاول ملاطفته، يا ريت عندي بنت تانية غيرها مكنتش سبتك تمشي أبدًا..

اتفق الاثنان على اللعب بأعصاب حاتم، للوصول لآخر سطر في هذه القصة.

استقبل حاتم رسائل «مهد» التي أعاد محمود إرسالها إليه في البداية بفتور، هو يعرف كثيرًا مما كتبته، يعرف كم كانت متيمة به، تعيد الاتصال مرارًا مهما تجاهلها، لأسبوعين كاملين قبل الحادث توقف عن الرد عليها.

ولكن من الذي يدخل إلى الحساب ويعيد إرسال رسائلها إليه؟

ذهب شكه على الفور لعبد اللطيف وأراحه تاريخ العداء الطويل بينهما من محاولة توسيع دائرة الشك.

هو بالأساس لا يعرف شيئًا بعد خبر وفاتها.. ولم يهتم سوى لهذا القلق الذي سببته الرسائل المرسلة إليه.

اتصل بحمدي، طلب منه أن يريه الرسائل، فتحجج بمسحها خشية إطلاع زوجته عليها، قال إنه حتى لم يقرأها.

ادَّعى أنه أراد إخباره فقط أن هناك من يعبث بحسابها.

طمأنه حمدي قاصدًا أن التحقيقات كلها تشير لكونه حادث انتحار بالتأكيد..

أما الرسائل فشكك في صدق كلامه بالأساس، يمكن بيتهيألك يا دكتور..

رسائل إيه اللي هتجيلك من حساب واحدة ميتة.

Battanatt
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

طيب يعني النيابة اتأكدت أنها انتحرت.. سأل حاتم.. مفيش احتمال يعني للكلام اللي بيتقال دا.. إنها هربت واعتزلت، ولا أنها يمكن تكون يعني اتقتلت، برَّأ ساحته من المعلومات الأخيرة، بقوله إن الحاجة زوجتك قالت الكلام دا لما قابلتها في المستشفى عندي.

متاخدش عليها أم أحمد أعصابها تعبانة شوية.

سأل حاتم اللواء حمدي إن كان هناك احتمال أن تظهر بعد هذه المدة الطويلة..

أجابه متأثرًا بحق تظهر منين بعد ما غرقت فات أكتر من 6 شهور يا راجل، دا زمانها دابت في المية وبلعناها كلنا.. خلاص لو كان في جثة كانت ظهرت.

أكمل حمدي خطته وكلامه بصدق حقيقي، قائلًا:

الله يرحمك يا بنتي.

راح شبابك بلاش.

رد حاتم ببرود قبل أن يغادر مكتب حمدي الله يرحمها ويغفر لها، كانت بنت طيبة وجميلة أنا كنت بعتبرها أختي الصغيرة والله..

لم ترح هذه النتيجة حاتم بالتأكيد، وهو المطلوب بعينه.

أن تساوره الشكوك في مصدر الرسائل، عبد اللطيف لا يجيد التعامل مع التكنولوجيا ولا فيسبوك.

نجح محمود في تنغيص صفوه.

هل هي فعلًا «مهد»؟ بدأت الشكوك تقض مضجعه وتنغص عيشه الهادئ..

Bathandili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وقع في الشرك، وبدأ في الرد ليحكي كل ما صار.

طاردته كثيرًا بأحلامها وبأحزانها..

في البداية، استسلم لقلبه الذي جعله يتعاطف معها، ساعدها بالدراسة وبالعمل..

وانجرف فعلًا وراء زهوة الشباب المطلة من بين قسمات وجهها القوية.

خانته عيناه كثيرًا، وهو يتطلع إليها بشغف وارتعش قلبه كما لو كان يقابل فتاةً لأول مرة.

ثم..

ثم لم يكفِ الإعجاب، ولم يكفِ الحب الذي كان يشعر به تجاهها لأكثر من هذا.

نفد الوقود واضطر لإيقاف الرحلة، كما قالت له هي قبل أن يقول لها صراحة قبل اختفائها أن علاقتها به يجب أن تنتهي إلى هذا الحد، وأنها تسبب له حرجًا شديدًا.. رفض بالطبع خطتها المجنونة بالهروب معًا.. قالت إنها تعرف مكانًا يمكنهما أن يختفيا فيه والبدء هناك من جديد.

مجنونة كما قال لها، ومدعية أيضًا، فهي لا تستطيع العيش دون ملابسها وساعاتها وحقائبها ولا دون إنترنت.

فوجئ مثل الجميع بخبر موتها بعد ذلك.

اعترافات كثيرة قالها في هذا الحوار الافتراضي الذي استدرجه إليه محمود، أتبعه برسائل سب عنيفة ألقاها في وجهه أطفأت ناره قليلًا نيابة عنه وعنها هي الأخرى.

انتهت العلاقة سابقًا بوضعها له في قائمة البلوك.

والآن كيف انفك الحظر؟ ومن أرسل الرسائل مجددًا؟ دارت الأرض بحاتم وهو يبحث عن إجابة لهذا السؤال.

هو لا يعرف صدقًا عنها شيئًا منذ تشاجرا بآخر مرة.. أرسلت تخبره أنها فعلت كل شيء لترضيه وتنتظره الآن بشقتها القديمة ليرحلا معًا.

قال لها بدبلوماسية: إنه مشغول بارتباطات كثيرة ولا يمكنه المغادرة الآن.. زادت عصبيتها كيف لا يستطيع التخلي عن ارتباطاته بعد أن تخلت هي عن كل شيء في حياتها.

انفلت الحوار ولم تعد الدبلوماسية مناسبة لحسم الموقف.

أخبرها بوضوح أنها لا تعنيه.. أرسلت له كل الشتائم التي في قاموسها القديم والحديث.

هذا الجزء الممسوح من شات «مهد»، أرسله حاتم كسكرين شوت يذكّرها به وبخطئها في حقه وبنيته مقاضاتها إذا لم تخرج من حياته.

يجيد هو لعبة السكرين شوت ويجيد الاستفادة من التكنولوجيا بحق.

أنا نسيتك.. إيه رجعك تاني.. انسيني بقى.

لقد استأنف بعدها حياته التي لم تتوقف بالأساس.

تصفه «مهد» في رسائلها القديمة بالرجل السائر على خط مستقيم بلا اعوجاج، ملتزم في كل خطواته، غير أنه يخشى التحليق ويحتاج لملء خزانته بوقود يشعل رغبة المغامرة في قلبه، هذا الوقود هو «مهد»، حتى اكتشفت بآخر رسالة أنه لم يكن لديه بالأساس رغبة في الطيران،

لا يمكنه توريط نفسه وسمعته لأكثر من هذا، ضايقته تلميحات المحيطين به عن علاقته بها، يحاصره ماضيها وصورها الجريئة وفيديوهاتها المثيرة للجدل، في النهاية هي ابنة أبيها.. ولا يمكن لكل هذا الفساد سوى أن يطرح نبتةً مسمومةً تدمر حياة من يقترب منها.. وعلى الرغم من تحليلها الدقيق لشخصيته كانت تعود إليه تعيد طرق بابه بأي شكل.

لم يعد ممكنًا ترك الباب مواربًا، وإذا كان لحاتم أن يغلق الباب بأي اتجاه فحتمًا سيختار إغلاقه عكس اتجاه الريح ليضمن لنفسه استقرار حياته وهدوء المياه التي تسير فيها سفينته.

قال لمحمود أو كما يظن لها، لقد بدأت حياتي الحقيقية بغيابك.

حصل بالفعل بعد موتها على كل ما يريد في عمله واستقرت حياته الأسرية التي كانت تزعجها تلميحات «مهد» على حسابها بصور له في مناسبات مختلفة ومنشورات تحتمل تأويلات كثيرة.

انتظر حاتم بأعصاب محترقة حتى أتته الرسالة الجديدة من محمود نيابةً عن «مهد».

أنت قتلتني!

لم يستطع أن يتجاهل الأمر أكثر من ذلك، زالت مخاوفه من الرد باستغلال الرسائل ضده.

هي «مهد» إذن حية.. وتحاول توريطه من جديد.

انطلق في الرد عليها مفرغًا غضبه الشديد من عودتها.

قرأ آخر سطر كتبته له:

Baffandi PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

قتلتك!!

والآن فهمت.

أنتِ تريدين صنع بطلة من نفسك بهذا المسلسل الخائب، اختفاء، وإدعاء الانتحار، ثم العودة لشغل الترند ببطولة جديدة تجرين بها زبائنك لمتابعتك.

لا، ليس ترِيند يا حاتم..

أنا أحبك..

لا يعرف محمود كيف ضغطت يده هذه الكلمات، ولكنها الحقيقة وهو مضطر الآن للاعتراف بها.

هو الحب إذن.

مهما بلغ بريق الشهرة هو لا يدفعنا للموت لأجله.. وحده الحب يفعلها بنا..

على الرغم من تقمصه الجاد لصدق مشاعر «مهد»، جاءت ردود حاتم الفاترة والعصبية..

حب!!

هل صدقتِ كل هذه الترهات التي تكتبينها على صفحاتك للسذج الذين يتابعونك؟ الحياة ليست كلمات فضفاضة يا «مهد»، لدي بيت وأبناء صغار وزوجة قضت عمرها بجواري، هناك شركتي وصيدلياتي التي يعمل بها أشخاص مسؤولون من رقبتي، ماذا أقول لهم عندما يأتون لتسلم مرتباتهم؟ آسف أنا أحب فتاة ومضطر لاعتكاف الحياة معها.

Battanaih PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

والشركة الجديدة.. أتعلمين كم حاربت لأصل إلى هذا المكان.. كم كلفتني رحلة العمر لأحقق هذه المكانة التي وصلت إليها.

رئيس مجلس إدارة واحدة من أكبر شركات الأدوية.

اسألي أبوكي إذن عن هذا الحلم.. كان ليبيعك هو أيضًا لو استطاع ليصل إليه.

بدأ في كتابة رسالة جديدة عندما لم يصل إليه أي رد.

اكتفى محمود بإرسال إيموجي يبكي، فاندفع حاتم في هجومه مستمرًا..

أيًّا ما كان المكان الذي اختفيتي فيه فلا تعودي مرة أخرى..

انسي كل شيء..

نحن في عالم يدهس الأقوياء تحت قدميه، أما الضعفاء فهو باختصار يقذفهم خارج حدود دائرته، فيقضون حياتهم على هامش الحياة مثلك لا تأبه بحياتهم أو بموتهم.

ويجب أن تعرفي جيدًا أني رجل قوي بما يكفي لأدافع عن نفسي وعن حياتي وحمايتها من فتاة تافهة مثلك.

أنتِ لم تجربي يومًا سلطة أو قوة أو راحة أو إحساسًا حقيقيًّا بالنجاح لو جربتيها ما رددتي هذه الكلمات الجوفاء التي تملأين بها أدمغة الأطفال مثلك..

مرة أخرى أرسل محمود صورة لوجه يبكي بحرقة، فرد حاتم:

لماذا تبكين؟ ألم تجدي السعادة؟

«السعادة ليست في المال.. السعادة ليست في العمل.. السعادة ليست في الزواج.. ليس بالضرورة أن تكون ناجحًا في عملك لتكون سعيدًا»..

هاااه..

وما الضروري للسعادة إذن؟

الحب؟ الشغف؟! لماذا لستي سعيدة معهما إذن؟

أرجو أن يكون مذاقهما جيدًا في المكان الذي تعيشين فيه الآن..

ذهب محمود لحمدي واطلعه على نجاح الخطة.

يبدو أنه سيعترف يا عمي..

طلب حمدي منه أن يلمح له بخصوص البلاغات ضد عبد اللطيف ولانا وما علاقته بها..

كتب محمود..

لانا باعت كل شيء..

وما شأني أنا؟ رد حاتم..

قلت لك كثيرًا لا تثقي بها.. لا أعلم كيف وثقتي بإنسانة لا تعرفين عنها شيئًا سوى صورها المفلترة كصورك..

قلت لك إنها كاذبة ونصابة..

عيناها بتلمع يا حاتم.. في نصاب عينيه بتلمع برضو..

ألم يكن هذا كلامك؟ اطلبي من لمعة عينيها أن ترد لك أشياءك.. ولماذا تبحثين عن هذه الأشياء؟

ألم تقولي إنك ستثبتين أنك سعيدة بدونها.. اثبتي لنفسك لا داعي لتثبتي ذلك لي..

تجاهل محمود سيل الرسائل المتدفق من اتجاه حاتم..

Battanalu PUBLICATIONS
نسخة غير مخصصة للطباعة

سأل حمدي الذي يجلس بجواره ليتابع حواره مع حاتم..

لانا.. هل يمكن أن يكون هناك اتفاق بين لانا وحاتم؟!

استوقفت الشرطة لانا بالفعل بمجرد وصولها إلى القاهرة.. واجهها حمدي بعبد اللطيف، فأنكرت أي معرفة مسبقة به، نفت أن تكون أي من الصور التي أرسلتها للنيابة صحيحة.

كانت لعبة وسويتها..

نعم؟

أنا لا عندي معلومات ولا شي ولا بعرفه، هي أرسلت لي رسالة عرضت عليّا تعطيني كل شيء مجانًا دون مقابل.

مقابل مساعدتها قالت، هذا الرجل نصَّاب ولي عنده فلوس كتير.

قال حمدي للأسف كان هذا كلام «مهد»، وليس حاتم.

«مهد» من دبَّر للإبلاغ عنه، ولو كان بتحريض حاتم، ولكنها هي من فعلها..

أطلق حمدي سراحها، فقد أفادت شهادتها في تبرئة عبد اللطيف وتحسين موقفه كثيرًا، بأن كل ما أرسلته مفبرك، وليست هي مصدره.

مر عبد اللطيف بعام فاصل منذ فترة قصيرة، استطاع فيه مضاعفة مكاسبه وثروته مرتين.

ربح كل شيء وظل بعدها ينتقل من درجة للأعلى بمنتهى السهولة، وفي أقل من عام أيضًا ها هو يخسر كل شيء.

تمت تسوية القضايا كلها برد مبالغ كبيرة، قضت على معظم ثروته، وتم استبعاده من كل الأماكن التي يشغلها.

عاد لمهنته القديمة، التدريس فقط، واحتفظ بصداقة حمدي الذي غفر له كل شيء أمام براءته من قتل ابنته.. وتطهره من كل الأموال التي حصل عليها.. كفاية عليه الخسارة المادية، وكفاية خسارة بنته، الله يرحمها، وكفاية عليّا أنا كمان صراخ أم أحمد، التي لم تتوقف عن النداء على محمود من الفناء الخلفي للعمارة، ثم ترفع رأسها للأعلى لتنادي على «مهد» كعادتها «انزلي يا (مهد) اتغدّي مع خواتك»..

تسليها قليلًا الجلسات العائلية التي يجتمعون فيها ومعهم عبد اللطيف..

هكذا رد على سؤال محمود باعتبارهما صديقين الآن عن احتفاظه بصداقة عبد اللطيف على الرغم من اختلافهما الشاسع في الأخلاق.

بحث حمدي بجميع الأماكن التي يقيم فيها الشباب كامبات، سأل الأكمنة كلها ليتأكد من عدم مرور «مهد» لأي محافظة.

لم تنفذ «مهد» رحلتها، وهذا ما يفسر كتابتها لذات الرسالة مرتين.

مرة كخطة للهروب للعزلة ثم استكملتها بتعديل وجهتها والانتقال للأعلى.

خططت لرحلة جديدة بعد شجارها مع حاتم وخسارتها لكل ما تملكه.. شغفها وعملها وملابسها وسمعتها وقلبها وأبوها.

أضافت سطورًا لمنشورها الأخير، وقررت تغيير الحالة إلى بابليك.

طيب امسحي تاني كل الشات الوحش دا وتعالي نتكلم من جديد، نفس حيلته التي جعلتها تمسح من قبل شتائمها له.

أوعدك لما ترجعي هساعدك تخلصي دراستك، هتجوزك، هخليكي أشهر بنت في مصر.

Battanatt PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

أنا بحبك يا «مهد» طبعًا.. إنتي صدقتي عصبيتي؟

ليست هنا «مهد».

لتجيبك بسذاجتها..

بلا توقف استمرت رسائله المحذرة والراجية لها في أحيانٍ أخرى بألا تدمر حياته.

بينما حجز محمود تذكرة جديدة بالطائرة عائدًا لألمانيا.. ذهب ليودع حمدي قبل سفره.

الذي أبلغه بقرار النيابة بحفظ القضية مرة أخرى.

هذه المرَّة للأبد..

صهرهما الوداع ليحيل ملامحهما المتقاربة الشبه كما كان يقول له حمدي «إنت شبهي أكتر من ولادي».

طلب أخير قبل أن تسافر، قال حمدي..

من فضلك يا ابني:

امسح الأكونت.

Battanüni
PUBLISHING HOUSE

انتهى

11 يونيو 2020

نسخة غير مخصصة للطباعة

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/noura.noreldien

Battanāilit
PUBLISHING HOUSE
منشورات بتانة